THE DEMON NUMBER 21

كيرلس عاطف

الشيطان الواحد والعشرون

رواية

ساحر الكتب

إهداء

إلى من كانت إقامته قصيرة لكنها كانت رائعة

إلى (د/أحمد خالد توفيق)

هكذا صريحة دون ديباجات أو إسهابات لا داعي منها. فلازال كل شيء كما كان عليه دومًا. لازالت حالة الانبهار التي تعتريني حاضرة كلما قرأت لك عملًا أو مجرد خاطرة بسيطة. لازالت حالة الحزن تهيمن على كياني كلما جاءت سنويتك متذكرًا الدموع التي زرفتها والإكتئاب الذي توغل بروحي، لازلت أرى قسماتك الطيبة على كل الوجوه لما طبعته بنفوسنا من ألفة، لازال نفس الغيظ يتملكني حين يحاول أحدهم مقارنتك بالعامة أو التحذلق على أعمالك، لقد علمت أجيالًا القراءة ولقمتني أنا الكتابة.. فكانت أقصى أمنياتي مجرد اطلاعك ولو على سطر بسيط مما كتبت، لكني الآن سأحاول التكيف مع الاكتفاء بتتويج اسمك لهذة الرواية التي أسهرتني الليالي وأرهقت تلابيب ذهني حتى تخرج بتلك الصورة المرضية لي على الأقل.. عسى أن أستحق هذا الشرف. فكل شيء ينتهي إلا أسطورتك.

التمهيد

كانت الحكيمة تغير الشاش الطبي المغلف لجروح الرجل الممدد أمامها على الفراش، وهي تردد:

- كم كنت محظوظًا يا معلم؟

هل كان المعلم محظوظًا بحق؟ ولم لا؟ فقد عاصر بيوم واحد أكثر من معجزة إلهية، قد يحيله العامة بعدها لولي صالح يلتمسون منه الكرامات أو شيخ بار على أقل تقدير يتشرفون أن يأم بهم الصلوات.

في البدء نجى من تبادل اطلاق نار عشوائي بمكان فارغ، ليس به ساتر يحتمي خلفه أو فرصة للفرار بعربة الكاريتة خاصته. رغم أن عربته مستقرة على مسافة ليست بالبعيدة عن أرض المعركة، مع إنها بذات الوقت ليست بالقريبة كذلك، فأي التفاتة ستحيله لمصفاة بفعل طلقات الرصاص. حاول أن يستمد بعض الحماس باعتبار أن الكفة سترجح لصالحه، بسبب من يعينه من صبيان. لكنه يجب أن يكون هو مصدر بعث الثقة وليس متلقيه، بسبب وجود عمه بين رجاله.

كان المعلم أول من شاهد تلك الكائنات وهي تدنو صوبهم في عجالة، ظن أنهم قطيع من الديابة التي تعج بها الصحاري المصرية وهم في طريقهم للظفر بغنيمتهم المتمثلة في

الجثث الطازجة. لكن الحيوانات في العادة تفعل هذا بعد انتهاء الخطر المتمثل في الأعيرة النارية المتطايرة لا خلاله! فمهما بلغت درجات الجوع والتقشف لتلك الحيوانات، لن يخاطروا بحياتهم قرب هذا الدوي الصاخب. ثم أدرك المعلم إن تلك الكائنات أسرع وأقصر من أن تبيت محض ذئاب، هل هي قرود؟ لكن ما الذي سيأتي بها لتلك الصحراء المقفهرة؟ وبعد أن أبصر حوافرها الحادة وأنيابها المدببة، وتشوهها الجلي، فطن أنها شيء لم يسمع عنه يومًا، وتلك السرعة التي تقطع بها الفراغ لبلوغها تبشر أنها لا تنتوي خيرًا على الأطلاق!

لن يجد الوقت لأمر صبيانه بالانسحاب أو طلب هدنة من الطرف الأخر، فلا أي من الطرفين سيهدأ قبل أن يروي الصحراء بدماء الفريق المعادي. لهذا قرر المعلم أن ينجد شريكه باسم الجد أولًا. راح يركض منحنيًا بين الطلقات وأنامله لا تفارق زناد سلاحه الناري ولو لثانية في توزيع الرصاصات بعشوائية، حتى بلغ عمه.

كاد يقبض على تلابيبه فارًا من المكان، كاد يحتضنه فرحًا أنه يقاتل بهذه الاستماتة دفاعًا عن كرامة ابن أخيه، كاد يلقي بنفسه أمامه صانعًا من جسده درعًا آدميًا حتى تتسنى له فرصة للنجاة مع توصيته أن يعتني بأبنائه كما اعتنى به..

لكنه لم يجد الوقت لفعل أي من هذا ولا حتى النطق ببنت شفة.

فمجرد أن تلاقت عيناهما، بصق العم الدماء من فمه! تجمد المعلم حين أبصر شقيق أبيه والذي بمثابة والده وهو ينازع لحفظ روحه بجسده، رغم خطورة وقوفه هكذا بالعراء، الذي قد يودي بحياته بدوره. اعتقد المعلم أن هنالك رصاصة ما أصابت عمه بمقتل لكنه سرعان ما أعدل عن هذا الظن حين أبصر مخالب أقرب للرماح تنبثق من صدره، ملطخة بالدماء! لقد وصلت الجحافل الراكضة لأرض المعركة بالفعل.

كان يتشبث بظهر العم مسخ بغيض الهيئة والرائحة، تخترق مخالبه وربما ذراعه بأكملها جسد الرجل الضخم نافذة من صدره، ثم دفعه المسخ واثبًا لضحية أخرى بعد أن انتهى من الأولى له. ليهوي جسد العم كالجدار على ابن أخيه ليلثم ظهر هذا الأخير بأرض الصحراء الرملية وفوقه حائل يمنعه من النهوض.

حاول أن يزيحه من فوقه لكنه اكتشف أن محاولته تلك لن تعود إليه إلا بمشاركة عمه المصير الدامي، فما الذي سيمثله هو مقارنة بتلك المسوخ الغير آدمية، فآثر إدعاء أنه جثة كغيره، خاصة حين شرعت الجثث تتهاوى من كل جانب دافنة إياه حيًا.

رغم إنه معلم ذو سيط يفوق حكمدار القاهرة ذاته، ممن يعمل تحت سطانه من فتوات أو حتى أفندية، ورغم أنه عاصر الموت بنفسه كثيرًا، بل كانت يداه العاريتان مرسالًا لقابض الأرواح ذاته العديد من المرات، لكن خياله لم يتحمل أن يفتقر للحيلة بهذا الشكل المهين، لذلك قرر ذهنه أن يرحمه من هذا الإذلال ويغوص في غيبوبة من اللاوعي.

فقد الوعي لفترة قصيرة لكنها كانت كافية ليفيق على هدوء مرير. بعد عناء استطاع إخراج جسده الجريح من بين الجثث، كان جلده مليء بالجروح التي تنم أن تلك المسوخ كانت تتراقص على جثته لا تمر عليها فحسب، لكنه على الأقل لازال حيًا.

كان جلبابه ممزقًا، وهيئتة رثة لاختلاطها بالرمال والدماء المتجلطة، ناهيك عن دمائه التي لازال جسده ينزف بها حتى الآن. حالته يرثى لها كما لو أنه درويش فاقد العقل، وما يزيد الطين بلة، هو أن أي حركة يقدم عليها يتوغل على إثرها الرمل للجروح أكثر، ضاربًا كيانه بموجة من الألم الحارق.

عرج جارًا قدميه، أو زحف كالثعابين، أو حتى حبا كالرضع، فعل ما فعله المهم أنه استطاع الوصول للكاريتة التي كانت سليمة رغم تلك الجلبة. كانت الاسبتالية أقرب له من وكره الخاص. عليه أن يتذكر أنه بمجرد دلوفه للاسبتالية، سيقحم

نفسه بتساؤلات لا حصر لها عما حدث، على نقيض وكره الذي سيأتي فيه بمن يثق فيهم من الحكماء لمداواته، لكن هل سيظل حيًا حتى يبلغه؟.

وهكذا انتهى به المطاف –بعد أن أثبت أنه محظوظ- على هذا الفراش، في حالة أقرب فيها للأسير عن المريض العادي، حيث عزلوه في غرفة خاصة مع توفير طاقم خاص من الحكماء والتمورجية لرعايته.

اقتحم الغرفة بهذه الأثناء رجل ذو لحية وشارب كثيفين، لا تستطيع تحديد ملامح وجهه من خلفهما، يحمل تجاعيد مكثفة حول عينيه بما يوحي بأنه قد تخطى الخمسين من العمر تقريبًا، يرتدي حلة أنيقة قريبة لحلل الملوك. اتجه لأقرب مقعد من فراش المعلم محييًا إياه بعد أن جلس في عدم إذن.. إنه شخصية عسكرية بلا شك.

فمن إقامته القصيرة بهذه الاسبتالية، تعلم أن الشخصيات العسكرية تدلف للغرفة مباشرة بلا مقدمات، أما حين تأتي أسرته البسيطة لزيارته، تعلمه التمرجية قبلها مع وجود حراسة أثناء الزيارة.

طالبته الحكيمة بالتعريف عن نفسه. فالمعلم أقرب لأسير حرب بهذه الظروف، وكافة زياراته يتم حجزها أولًا، كما أنه ممنوع الاختلاط بالمدنيين إلا بأقلاء من أقاربه من الدرجة

الأولى.

أخرج الرجل بطاقة هويته مقدمًا إياها للحكيمة وهو يحل زر حلته سامحًا لكرشه بالترجرج مرتاحًا، دون أن يجيبها في كبرياء متعال. لتعيد الحكيمة البطاقة في أدب وهي تقول:

- أعذرني سيادة الأميرالاي (فكري بيك).. لكنها المرة الأولى التي أراك بها.

أميرالاي! لقد صدق حدس المعلم حين شك أن زائره عسكري لكن أقصى من زاره من البوليس الحربي من رتب لم تتعد الباكباشي، يبدو أن قضية المعلم قد تصاعدت لجهات عليا أكثر من اللازم، فلا يستبعد أن يدلف عليهما الخديوي (عباس حلمي) بنفسه!!

غادرت الحكيمة الغرفة تاركة المعلم بوجه المدفع وحيدًا، لينطق هذا الأخير بمجرد أن غادرت:

- أقسم بالله يا بيك، إني قد أدليت بشهادتي كاملة لمن سبقوك لمدة أسبوعين، وزيادة الرتب تلك لن تجعلني أغير شيء من أقوالي، فليس لدي أكثر لأتفوه به.

ابتسم (فكري بيك) وهو يشعل سيجاره الكوبي العملاق رغم أنها ممنوعة بين أروقة الاسبيتالية، قائلًا:

- بلا، لديك يا معلم.. ماذا عن تجارتك المشبوهة التي لم تذكرها ولا مرة أثناء التحقيقات؟

ارتبك المعلم بصدق هذه المرة رغم كثرة زيارات البوليس لحجرته، فكيف عرف هذا الرجل بأمر عمله الخفي الذي يتستر عليه خلف ادعاء امتلاك قهوة شعبية؟ فأكمل (فكري بيك) غير منتظر رد المعلم:

- بالطبع ليس لديك أي فكرة عن آخر مستجدات القضية. فهذه الأشياء لا تسرب للعامة بهذه البساطة.. دعني إذًا أطمئنك بأن نسبة خروجك من هنا تزداد.

تنهد المعلم براحة لكن أنفاسه تحشرجت بحلقه حين أكمل الرجل وهو يزفر دخان سيجارته:

- لكنك ستقضي ما بقي من عمرك بالموريستان.

انتفض المعلم وهو يسأل في قلة حيلة:

- لم يا بيك؟ لقد أدليت بالحقيقة دون تزييف.. أعترف أني أخفيت بعض المعلومات الشخصية لكن غيرها صحيح عن بكرة أبيه.

- بالله عليك يا معلم، أتريد مني تصديق أن هنالك مسوخ غير آدمية قضت على عصابتين مدججتين بالسلاح.. ما

عفريت إلا بني آدم كما يقال.. أعلم أنك لست متعلمًا، لكن أحقًا تظن أننا جهلة لهذه الدرجة لتصديق هذا الخرف؟.

بالطبع لن يصدق أحد القصة، فحتى المعلم ذاته أحيانًا يكذب ذاكرته، راميًا التهمة على الخمور التي عصفت بذهنه المنهك.. هل الدماء التي رآها كذب؟ هل جثة عمه المحملقة به وهي جاثية على صدره كانت غير حقيقية؟ هل هنالك احتمالية أنه قد أصيب رأسه بالمعركة ليتوهم بقية تلك الأحداث؟ لكن كيف هذا وهو الأمي الذي بالكاد يفك الخط؟ من أين له بهذا الخيال الخصب الذي قد ينافس به روائيين وشعراء هذا العصر وكافة الأزمان؟.. بالطبع كل هذا ليس بوهم، فأقصى ما راوده من أحلام أثناء نومه غرابة، هو رؤية أحد الآغاوات الأتراك وهو يرتدي جلبابًا مصريًا.. ما رأه كان حقيقة لكن من يصدقه؟

- ورغم هذا أنا أصدقك يا معلم.

قالها (فكري بيك) ليسأل المعلم متلهفًا عن مقصده، فيجيب الرجل بعد أن نحى سيجاره جانبًا علامة على التركيز:

- تلك ليست المرة الأولى التي نواجه مثل حالتك.. ناجي واحد أو أثنين على الأكثر من مذابح جماعية متنوعة، يتهمون بها مسوخ بعيدة عن هيئة البشر المعروفة.

وراح (فكري بيك) يعد الكثير من الوقائع، تنتهي على الصحف بإلقاء التهم على مناوشات الإنجليز مع المعارضة المصرية، فسأل المعلم في تعجب عن هوية المسؤول الحقيقي عن هذا الشغب. ليجيب الأميرالاي بما لم يتوقع أن يسمعه أبدًا:

- تلك المسوخ تابعة لعبادة سرية ما، حضرت لمصر منذ ما يقارب الستة أعوام، بأعداد مهولة قد تفوق تعداد اليونانيين بالإسكندرية على أقل تقدير، وهم في زيادة مستمرة.. ويمكنك القول أن لي مصلحة في وأد تلك الديانة قبل تشعبها، لهذا لحقت بها من موطني إلى مصر في محاولة للسيطرة عليها، لكن الأوان مع الأسف قد فات بالفعل.

سأل المعلم بتعجب:

- مهلًا لحظة.. من موطنك؟ ألست مصريًا؟

كان (فكري بيك) ينطق العامية المصرية بسلاسة تفوق سكانها الأصليين، فلو لم يكن هذا الرجل مصريًا، فمن يكون إذًا؟.. ليجيب ببساطة إنه ليس أميرالاي من الأساس كذلك!.

لقد بدأ ذهن المعلم في التلف أو التخريف، فكيف يتمكن رجل أجنبي من تزوير هوية بهذا الإتقان خالت على كل هذه القوات العسكرية بمختلف الرتب، القابعة حول الاسبتالية

لحراسته؟ إلا إذا..

- لأي جهة تنتمي يا بيك.. البوليس الحربي أم نظارة الداخلية؟.

سأله المعلم بشك، ليجيبه (فكري بيك) ببساطة مقهقهًا وهو ينزع طربوشه عن رأسه:

- لست أيًا من هذا أو ذاك، ولا حتى تابع لأي جماعة دينية أو سياسية لو خطر ببالك.. أنا كما أخبرتك، شخص يريد القضاء كل أتباع تلك الديانة كتعويض عن تأخرنا في الإمساك بهم.

(تأخرنا)؟ لقد بدأ الرجل يتحدث بصيغة الجمع مؤكدًا أنه ليس وحده بهذا الأمر. لكن لمَ يخبر المعلم بكل هذا؟ فجهر باستفساره علنًا ليجيب الرجل بسلاسة من جديد:

- أليس الأمر واضحًا بعد؟ أريدك أن تنضم إلينا يا معلم.. نحن نبحث عن أشخاص يمتلكون ثلاث صفات. أولًا أن تكون ذو نفوذ، لتساعدنا على تكوين أكبر قدر من الجيش لانتصارنا بتلك الحرب التي قد تكون سياسية أو ملحمية. ثانيًا أن يكون لديك الدافع للانتقام منهم، فحسب مصادري الخاصة أن عمك كان بمثابة أبًا ثاني لك بعد أن توفى الله والدك بشبابك. ثالثًا هو مبدأ يتولد لدى الأشخاص الذين

يتعرضون لمثل تلك المواقف بألا يسمحوا بتكراره مع غيرهم.. رجوعًا لتاريخك فأنت لست من هؤلاء الذين ينطبق عليهم الشرط الأخير، لكن البندين السابقين متوفران بك وبقوة.

- ماذا إن رفضت؟

- القرار لك، أنا لن أجبرك على شيء، سأختفي من هذا المكان كالدخان. لا أعلم إن كنت لاحظت أم لا، فهذا ليس اسمي الحقيقي ولا شكلي ولا وظيفتي ولا حتى جنسيتي.

ثم راح يكرر تلك العبارة الأخيرة بكافة اللكنات واللغات، فلا تعلم إن كان هذا الرجل إنجلزيًا أم تركيًا أم يونانيًا.

الآن فحسب يفطن المعلم أنه ما من ضابط ملتحي بهذا الشكل الفج، وما من شارب منمق بهذه الطريقة السمجة حتى لو أشرف عليه طاقم حلاقين أفندينا الخديوي ذاته، وما من كرش يتلائم مع جسده الرشيق بهذا الافتعال. ربما الرجل في الثلاثين من العمر أو حتى أصغر من المعلم ذاته، فكل شيء زائف.

- هذا يعني أنه ما من موريستان وأنها ليست إلا آداة للضغط؟.

- من قال هذا؟ جماعتنا تضم الأشخاص ذوي النفوذ كما

أعلمتك، فهم يسهلون الإلمام بالكثير من الأمور السرية، وكذلك يستطيعون إنزال كافة التهم عن عاتقك بأمر مني.

الأمر لازال وسيلة لإجباره على الموافقة لكن بصيغة متخفية كأغلب كلامه المنمق المنافق. لم يرتح المعلم لهذا الرجل، لكن هل بيده خيار من الأساس؟ لم يجد المعلم غير الإمائة بالموافقة لكن مع سؤال واحد إضافي..

- كيف سنحاربهم؟

نهض (فكري بيك) – ليس اسمه بالطبع- وهو يلملم حاجياته مبتسمًا. ثم قال بعد أن استنشق بعض أنفاس من سيجارته بأنهم سيحاربوهم بالقانون! تعجب المعلم أن يكون الأمر برمته متعلق بصراع قضائي بالمحاكم أو شيء من هذا القبيل.. لكن تفكيره كان ساذجًا للغاية، فالأمر أكثر تعقيدًا من هذا بمراحل، ويصعب توضيحه بجلسة واحدة.

(١)

بين طيات الفناء

عام ٧٣٨م

إحدى ضيعات صنعاء باليمن

كاد الشيخ أن يفقد صوابه من فرط التوتر. فراح يعدو بين جدران داره ذهابًا وإيابًا دون أن يحدد ما هي المؤن ذات الأولوية في مثل هذه الرحلة وما هي الثانويات التي يمكن التزود بها لاحقًا. هل يجب ملء الحقائب بالطعام لما يكفي مدة الرحلة التي قد تبلغ الشهرين؟ أم يملأها بقوارير الماء لترجلهم في صحراء شبه الجزيرة العربية الحارقة؟ بالتأكيد لا داع للملابس فهما ليسا ذاهبين لعطلة أو زيارة سياحية قصيرة، بل إن رحلتهما تلك قد يتوقف عليها مصير البشرية أجمع دون أي مبالغة، ولا وقت لتلك الكماليات.

لو سمع أحدهم بهذه الحالة المذرية التي أصابت الشيخ من التلعثم بالكلمات أو ارتجافات يديه الخائفة أو حتى نيته المفاجئة تلك بالسفر بين يوم وليلة، لنعته العامة بالجنون لا محالة. فما بالك إذًا ب(زبيدة) التي تشهد كل هذا على مرأى ومسمع منهما؟

دومًا ما حاولت (زبيدة) مجاراة موجة جنون الشيخ تلك بكل ما بوسعها، بأن تصدق ادعائاته المخرفة، أو تنصره في شجاراته الكثيرة مع أهل الضيعة حتى لو كان هو المخطئ. بل كانت أحيانًا تتشاجر هي مع العامة حين ينعتوه ب(عبدول المجنون) حفاظًا على كرامة أخيها. أو تحمل عاداته اليومية العجيبة مثل زج نفسه بغرفته الخاصة يكتب ويترنم بما لا تفهمه. لم تدري ما يخطه الشيخ على هذا الكم العظيم من الأوراق، بل لم تعاصره يتردد على أسواق الشعر أو دور العلوم لبيع كتاباته وجني أي ثمار من تدوينها، ومع ذلك كان الشيخ دومًا ممتلىء الجيبين بالدنانير من مصدر تجهله! لمَ تصبر على كل هذا؟ لأنها شقيقته بالطبع، فلو لم تتقبل أخته الوحيدة خباله فمن سيفعل؟

وقف الشيخ يلهث من فرط الحركة، لكن عينيه الزائغتين لم تشاركاه الهدوء بمحجريها أبدًا، فقد كانت تمسح المكان بعشوائية كما لو أنه يفتش عن شيء ما أو يتوقع ظهوره بأي لحظة. حتى وقع بصره على شقيقته (زبيدة) التي تتطلع إليه في حسرة بعد أن تيقنت أن الشيخوخة والوحدة قد نهشت تلابيب عقل أخيها. فركض صوبها في عجلة كما لو أنها المرة الأولى التي يلحظ وجودها، رغم أنه ما من غيرها يقيم معه بذات الدار، فتشبث بكتفها بيسراه في قوة لا يتحملها جسدها الأنثوي الرقيق، وهو يقول ماسحًا حبات

عرقه بيمناه:

- لو كان بموتي نهاية لبطشه، لجعلت من روحي أضحية فداءا للجميع، لكنه يعلم بتدويني لما أعرفه على الورق.

لم تفهم حرفًا مما ينطق به، عن بطش من يتحدث، وما الذي يعلمه أخيها قد يؤدي به للتضحية بروحه؟

لم يمهلها فرصة لفهم أي شيء، حين دس كفه بجيب حزامه مخرجًا ورقة صفراء بالية من تلك المخطوطات التي يعتكف بغرفته بالأيام الطوال لخطها، والتي دومًا ما تعجبت كيف يحيل الورق الجديد ذو البياض الناصع لتلك الحالة المزرية، التي توحي بأنه قد مر عليها عقود طوال رغم أنها تبتاعها له منذ يوم أو يومين على الأكثر.

- إن لهذا الشيطان وذمرته من الأخوة مخطط قد يفني البشرية في القريب العاجل أو حتى بالمستقبل البعيد، لكنهم سيفعلونها على أي حال حتى لو بعد حين، إن لم يتصدى لهم أحد أولًا.

من كثرة ما تحدث أخيها عن الشياطين والجان، لم يعد هذا الحوار بالعجيب عليها، فاليوم الذي يمر دون أن يعلمها أخيها بما رآه من عمار للمكان وأقران ثائرون على مقتل أصحابهم تستشعر أن بأخيها خطب ما. لكن الغريب هذه

المرة هي جديته المفرطة التي توحي بأنهما في خطرًا داهم بهذه الثوان.. هل من الممكن أنه يقصد شيطانًا حقيقيًا وليس إنسان شرير يصفه بالشيطان فحسب؟

- وبهذا المخطوط تكمن الطريقة الوحيدة لإيقافه أو تعطيله على أقل تقدير.. لكنه سيتتبعها بأي مكان حتى لو ألزمه الأمر لتدمير مدن كاملة للظفر بتلك الورقة.

فراح الشيخ يمزق المخطوط في ثورة، والشرر يتطاير من عينيه مكملًا:

- لقد وسمتك يا (زبيدة) بحماية تجعلك أقرب للأطياف في أنظار الشياطين وكافة أجناسهم وسخرت لك اثنين من أعتى فرسان الجان، ليمكثا في خدمتك الأزلية ونسلك من بعدك.

في الحالات الطبيعية التي ينطق بها شقيقها بمثل هذا الخرف، تنصرف من أمامه متعمدة تجاهله حتى يسأم ويكف عن ملء رأسها هي الأخرى بهذه الهرطقات. لكن التوتر المهيمن على الأجواء والصرامة التي يتحدث بها، جعل الخوف يمس قلبها بل وجعلها تصدقه!.

أعاد قصاصات الورق لجيب حزامه مرة أخرى، ثم تركها الشيخ (عبدالله) معاودًا دس الطعام وقوارير المياة

بالحقيبة، لكنها كانت تخص (زبيدة) هذه المرة وليست حقيبته! مكملًا:

- هذا الشيطان يعلم الكثير عني بالفعل وعلينا التحرك قبل أن نجده يحيل دارنا لكومة من الهشيم بأي ثانية، لكنه بذات اللحظة لا يعلم عنك أي شيء.. لهذا أريدك أن تهربي بهذا المخطوط لمصر حيث يمكننا التغلب على هذا الكيان الشيطاني هناك. قد تستغرق الرحلة ما يقارب الشهر إبحارًا بالسفن، أريدك أن تنتظري على حدودها لشهرين إضافيين. لو لم أقابلك بعد انقضاء تلك المدة، فري لأي مكان عشوائي قد لا يخطر على بال أحد، كـ.. كإحدى دول الفرنجة على سبيل المثال.. إن ظللت حيًا سيجمع بيننا لقاء حتمي حتى لو كنت بآخر العالم، وإن لم أفعل فانسي كل شيء عني، وتمتعي بحياة جديدة بعيدة عن كل هذا الخطر.

أمسك ساعدها بيمناه وهو يقودها صوب باب الدار، وبيسراه يقبض على حقيبتها المدججة بالطعام والشراب، حتى بلغا الناقتين الرابضتين ببهو المنزل. بينما (زبيدة) تسير خلفه والدهشة تعتريها حتى أخمص قدميها. هي لم تصدق يومًا أي من ادعاءات شقيقها عن تلك الكيانات، مهما أتاها بأدلة أو أقسم لها بكل الأيمان على جهره بالحقائق. لكنها هذه المرة تصدق كل شيء! بل وتشعر أن حياتها معرضة

للخطر بأي ثانية وعليها الفرار الأن.

فما حدث بدارهما على مدار الأسبوع المنصرم من حوادث غريبة لم يكن بالقليل الذي يمكن غض البصر عنه أو تجاهله، كتعفن الطعام في أقل من سويعات بمجرد دلوفه من عتبة دارهما، وجميع نباتاتها والأشجار المحيطة التي ذبلت رغم اعتنائها بها لتحيل دارهما لبقعة جافة خالية من أي حياة، ومصرع بغلتها التي تعرج بها على الأسواق دون أي مقدمات أو حتى فرصة في طلب حكيم المواشي، ناهيك عن العقارب والثعابين التي انتشرت بين أروقة منزلهما دون السيطرة على كثرتها مما جعل من الحياة بدارهما مرهقة كالجحيم، بخلاف الأصوات العجيبة والأضواء الأعجب النابعة من حجرة شقيقها.. لقد جن جنون دارهما التي نشأت وتربت فيها لتضحى كالمنازل التي يزعم الدجالين ملئها بالشياطين. وإذا سألت (زبيدة) أخيها عن المدة التي استغرقها في كتابة هذا المخطوط اللعين الذي مزقه منذ دقيقة، سيجيبها بأنه شرع في كتابته منذ أسبوع لا أكثر.

- سأمحي عن عقلي كل ذكرى تخصك أنت والمخطوط إلا من واحدة ستومض بالحقيقة كاملة بمجرد إقصاء هذا الخطر عني، لذلك ستكونين بخير دون مطاردات أو متعقبين من الشيطان. في حين أسلك أنا طريقًا بريًا لمصر، متجهزًا

لأي هجوم من الشيطان وأتباعه، جاذبًا أنظارهم عنك.. ولكي لا يعلم الشيطان بموضع المخطوط الأصلي معك، عليك أن تبتلعيه.

يمحو ذاكرته؟ هل بمقدوره هذا من الأساس؟ ولم لا؟ فمن يسخر الجان ويدس نفسه في عداوات مع الشياطين، لا بد أنه يجيد الكثير من التعاويذ التي تطمس معها أصله البشري، كما أطاحت بعقله منذ زمن.

ضيقت (زبيدة) عينيها كما لو أنها تتأكد أن ما سمعته صحيحا ولم تخدعها أذنيها. لكنها سرعان ما حصلت على تأكيدها، حين وجدت الشيخ ينتشل قارورة ماء من حقيبتها التي أعدها بنفسه، بعد أن أخرج قصاصات المخطوط مرة أخرى من جيب حزامه.. وهو يمدها صوب فمها!

حاولت (زبيدة) ان تشيح برأسها علامة على النفي، لكن الشيخ لم يمهلها وقتًا لإبداء أي ردة فعل وهو يصيح بصوت مكتوم خشية أن يجذب أنظار المارة بعد أن أصبحا بالشارع:

- مناعة الجسد البشري الموصوم بعزائم الحماية أقوى مئات المرات من أعتى الحصون تأمينًا.. لهذا لن أخاطر بدفنها بين خدم من الجان أو حتى أتباع من الشياطين، بقدر ما أأمن عليها بجوفك.

ليدس بعدها الشيخ القصاصات بحلق (زبيدة) جبرًا، وعقبها المياة عنوة لتسهل عملية الابتلاع.. وهنا لم تشعر (زبيدة) بالخوف من الشيطان الذي يطاردهما فحسب، بل من أخيها كذلك الذي ألقى بها لأرض المعركة عنوة دون أي خبرة لها في هذه الأمور، ودون حتى أن يكون لها علاقة بكافة تلك الصراعات.. لكن هل لها خيار أو حق للاعتراض على الأمر؟ فقد أصبحت إحدى أطراف النزاع بالفعل دون رجعة.

بعد أن تأكد الشيخ أنها ابتلعت جميع القصاصات دون أن تخلف واحدة، راح يعد ناقتها للانطلاق في رحلتها، ثم جذبها لتعتلي دابتها وهو يقول، غير عابئ بسعالها مما ابتلعته حتى كادت تلفظ روحها:

-لي طرقي الخاصة في إعادة المخطوط لسابق عهده لتنفيذ خطتي بمصر.. أما الآن عليك الرحيل صوب الميناء لتستقلي أول سفينة لمصر، ولا تهتمي بخارطة أو بوصلة فناقتك ستعلم الطريق جيدًا.

ثم راح الشيخ يتمتم ببعض الجمل القلائل في أذن الناقة، وهي جالسة مفترشة رمال الأرض. لقد تأكدت (زبيدة) أنها بعضًا من عزائمه الشيطانية، كما أيقنت أن شقيقها كان صادقًا بكل حرف نطق به على مر السنوات الماضية. خاصة

حين ضاقت حدقتي الناقة مع إنهاء الشيخ لعباراته، لتهب منتصبة على أربع بشكل آلي مفاجيء حتى كادت (زبيدة) تهوي من فوقها.

فانطلقت شاقة أروقة الضيعة حتى بلغت الصحراء قاصدة الميناء، بسرعة لم تطرق يومًا على جنسها من الجمال كما لو أن حياة أخرى مست هذا الجسد. دون أن تتيح ل(زبيدة) الفرصة كي تودع شقيقها على أقل تقدير.

كادت الدموع تزرف من عيني الشيخ على فراق شقيقته دون أي ضمان إن كانت ستنتهي هذه الرحلة على الجمع بينهما من جديد، أم أن تلك هي المرة الأخيرة التي يراها بها. لقد عانى الشيخ الأمرين حتى يقصيها عن عالمه المحمل بالشعوذة والسحر الأسود، وما كان يطلعها عليه ليس سوى فضفضة أخوية محملة بتفاهات الأحداث الجلية التي يعاصرها أو تصله أخبارها. جاعلًا من كافة صراعاته شخصية، دون أن يطول بطشها أحدهم سواء قريب أو غريب. لكنه الآن يتعامل مع أخطر كيانات الكون التي ستفتك به لا محالة إن كان وحيدًا، أما بعون شقيقته قد يتولد لديه ولو بصيص من الأمل في الانتصار عليها.

ليس لدى الشيخ رفاهية الوقت لكافة هراءات المشاعر تلك، فقد يبلغه الشيطان بأي ثانية وعليه الآن تنفيذ جزءه

الخاص من الخطة.. لكن هل يقدر بشري على خداع الشيطان الواحد والعشرين؟!

***

(٢)

ما قصتك؟

عام ٢٠٢٠

القاهرة - مصر

إنه الميلاد الجديد لمرحلة تعليمية جديدة.

تذكر (علاء) اليوم الذي غنم فيه شهادته الإبتدائية بعدما خاض عناء مرير مقارنة بمجهوده الصبياني. حيث صور له خياله المحدود أن بالدرجات النهائية بامتحانات مواده الدراسية يكمن فردوسًا قدسي لا يبلغه إلا النخبة من الطلاب، الذين عليه أن يدرج اسمه بين طيات قائمتهم المحدودة حتى لو عنوة، وإلا ما ناله غير المهانة والتهميش من أقرانه بل ومن العالم أجمع إن فشل في مهمته. حيث من ليس له بين الصفوة مجلسًا، لن يضحى له مقامًا بأي مقر أو بين أي قوم.. أو هكذا آمن دومًا بعدما زرعت والدته تلك الأفكار بعقله لضمانها حرصه على التفوق دون تقاعس. معتقداً بداخله أنه بختام تلك الحقبة أضحى رجلاً يافعاً قادراً على تحطيم الصخور بقبضته لو أراد أو اقتلاع الأبواب المعدنية بضربة ساق واحدة إن غلبه الهوى، في حين أنه كان يخشى حتى ركوب المصعد الكهربائي وحده.

إنها أحلام الصبا البريئة، التي لم تتوقع أن المرحلة الإعدادية لا تختلف عن سابقتها بشيء، غير هجرة الفصل المدرسي كسابقتها، أو ربما المدرسة برمتها، إلى نفس كل شيء من جدران الفصل المتآكلة، ومقاعد بطاولات مهترئة تبرز مساميرها في فجور تمردًا على الزمن ومستهلكيه.

يا لها من حفنة ذكريات تجول بخاطره بيومه الأول بالمدرسة الثانوية الجديدة. لقد حضرها مرة واحدة في امتحانات القبول ولم تطرقها قدمه مرة أخرى بعد ذلك، أملًا أن يضحى دلوفه الثاني لها كطالب من تلاميذها لا كزائر.

هرول (علاء) في عجلة لحجز مكان بطابور المدرسة الصباحي لتحية العلم، فآخر ما يتمناه هو أن يتم توبيخه بأول يوم دراسي له على تلكعه. أبلغهم مدير المدرسة الكهل عبر مكبر صوت الإذاعة المدرسية الأوحد، بأن هذا اليوم سيضحى تعارفيًا على مباني المدرسة وحجراتها المتنوعة، التي لم يكفل امتحان القبول لأي منهم بتبينها بوجه حق. إنه يوم استقبال تمهيدي وليأتي الغد بدروسه الثقيلة كما يبغي فيما بعد.. وعقب حفنة من كلمات التشجيع الركيكة وبنهاية تحية العلم، انطلق كل طالب في جولته الهائمة بهذا المكان الواسع.

تأمل (علاء) المباني المتهالكة المقبلة على عناق الأرض

في حميمية بأي لحظة، المساحات الخضراء الشاسعة قليلة العناية، أوراق الأشجار التي فضلت الموت على الرقود في وقفتها على الغصون هكذا للأبد، الملاعب الثلاثة التي امتلئت في لمح البصر بالصبية المتحمسين للعب.

هذا المكان في اتساعه وحدائقه الكثيرة لا يتناسب مع كونه مدرسة! فقد عهد من مدرستيه الإبتدائية والإعدادية الأرض الأسفلتية أو الرخامية الصلبة التي بالكاد يكفي فناؤها لشمل طلبة فصله فحسب فما بالك إذا بطلاب المدرسة برمتها.

فالمدرسة بها سكن للطلاب كالجامعات، الذي يندر بمصر بين أمثلتها من المدارس، والذي يمثل الحاجز الوحيد أمام الطلاب، حيث ليس لجميع الصبية ذات الشخصية التي تتقبل أن يقذف بها بين جلبات حجرة أجنبية عليه مطلوبا منه سرعة التكيف على روتين حياته الجديدة، فهنالك من سينساق مع الأمر بصدر رحب، وهنالك من سيرتعب من مجرد الفكرة مفضلين البعد عن تعقيداتها.

يتكون المبنى الداخلي من ثلاث طوابق، ينقسم كل منها لعنبرين يقطن بهما طلاب الفصل الدراسي الواحد، مقسمين على حجرات ضيقة لا تتسع إلا لطالبين. وإذا تراجع أحد الطلاب عن قراره بالمشاركة بالتسجيل بالمدرسة بعد قبوله

بالاختبارات، يتم ترك مكانه لمن هم في قائمة الانتظار، فالمدرسة مكلفة بعدد ثابت كل عام من الطلاب، لا يمكنها الانحراف عنه سواء بالزيادة أو النقصان.

هذا المبنى الجديد نوعًا ما هو مبنى الفصول الدراسية بطوابقه الثلاث للمراحل الثانوية بترتيبها، المجاور لمبنى استراحة المعلمين، وعلى بعد أمتار يوجد مبنى المعامل. وبالخلف ذلك المبنى الحامل للكثير من المرفقات المدرسية كغرف المجالات النشاطية المتنوعة من الموسيقي أو الزراعة أو الرسم وغيرها الكثير، لكن أهمهم هي المكتبة بشموخها في تربعها لمنتصف المبنى في وقار.

وبالنصف الآخر من المدرسة يوجد مبنى المسرح بكراسيه المتراصة و منبره الرخامي، بجانب هذا المبنى الكئيب الذي تتكاثف تحت سقفه القطط بنشوة غريبة فهو المطعم بمأكولاته الغير آدمية بالأخص على من اعتاد طهي والدته الحبيبة.

بجانب الحدائق وغيرها من الملاعب المزدحمة بالطلاب -والمبنى الداخلي بالطبع-، هذه هي كل المباني بالمدرسة التي جار عليها الزمن، لتعطيك الإيحاء أن ما من شيء تم تجديده أو حتى ترميمه، منذ أول عام فتحت به بوابات المدرسة لاستقبال طلاب العلم، كما لو أنها خارج اهتمامات

الدولة. ثم أبصر هذا المبنى المهيب!.

ينتصب بحزن العالم أجمع بين المبنى الداخلي والمطعم. نوافذه المفتوحة على مصرعيها كاشفةً عن سواد يبدد أي ضوء، ومحطمة أشرعته في إهمال. جدرانه الخارجية متآكلة مؤكدة على لمسة الزمن التخريبية. تساقط عن سطحه الطلاء منذ عقود، ليظهر اللون الأحمر القاتم المميز للطوب، بعدما التحمت معه الأتربة كاشفة عن لون قابض للأنفس. مدخله الوحيد مكدس بكم هائل من الكراسي الخشبية المحطمة، وبعض فروع الأشجار التي كُلف لها مهمة أخرى غير أن تكون مطارًا للعصافير. ليس إلا مقلب قمامة عملاق.. لكن ما كان هذا المبنى من الأساس!.

لم يستطع (علاء) استكشافه من الداخل بسبب عقبات مدخله، ناهيك عن الصمت القاتل النابع من أحشائه، على نقيض المدرسة بأسرها كما لو أن الأصوات ذاتها تخشى الدنو منه.

تلفت حوله حتى وقعت عيناه على أقرب طالب لا يشارك الآخرين الملاعب، ربما هو من غير المحبين للألعاب الرياضية مثله، أو ينتظر دوره حتى تنقضي تلك المباراة ليستعمر الملعب مع فريقه. المهم أنه كان جالسًا على إحدى المقاعد يتبادل جملة أو اثنتين مع من يجاوره معلقين على المبارة

كأعتى حكام عصره.. يبدو أنه لا يعلم أحدًا بهذه المدرسة ك(علاء) وهذا عز الطلب.

راح (علاء) يجاوره المجلس، ثم تبادل معه بعض أطراف الحديث الذي سرعان ما تدرج بالحوار للتعارف دون أي إهدار للوقت. وبعد عدة دقائق من هراء التعارف المبدأي على غرار كيف علم بالمدرسة وماهية المجموع الذي ظفر به من المرحلة الإعدادية وأين كانت مدرسته حينها والكثير من هذه الثرثرة.

لم يعبأ (علاء) بأي منها، بخلاف اسم الفتى والذي كان (محسن)، حتى يتمكن من مناداته على أقل تقدير أو ليبدي بعض الاهتمام المنافق على كلامه. سأله أخيرًا عن هذا المبنى الكئيب وهو يشير إليه بسبابته. ليجيبه (محسن) بأريحية كما أن الأمر بديهي:

- هذا هو المبنى المهجور.

مهجور! ما هذا الاسم العجيب؟ لقد سمع (علاء) أن المدرسة قد نالت شهادة الجودة من قبل، كيف هذا وهنالك مبنى بهذا الإسم الشؤم بين كنفاتها؟ فعاود يسأل عن سبب هذا اللقب، ليجيب (محسن) بنوع من الحماس، بعد أن صرف تركيزه عن المبارة نهائيًا بحديثه مع (علاء):

- يقال أنه كان مبنى سكني آخر، لكن هذا منذ سنين طويلة قبل أن يتم غلقه لسبب أجهله ويظل على تلك الحالة ليومنا، مع وعود كاذبة من الوزارة بتجديده يومًا ما.. قد نتخرج من المدرسة ومن الجامعة كذلك قبل أن يتذكروا الأمر حتى.

فعاود (علاء) السؤال عن السبب وراء غلق المبنى وإحالته لتلك الحالة. ليرفع (محسن) كتفيه علامة على الجهل وما يتناثر بين الطلبة لا يتعدى حيز الإشاعات. ثم راح هو من يسأل (علاء) هذه المرة:

- كيف لا تعرف المبنى المهجور والحكايات الشائعة عنه؟، هذا يعني أنك لم تسمع بمقطع الفيديو الخاص بالمبنى المنتشر بين الطلاب، أليس كذلك؟

في المواقف العادية لا يفضل (علاء) أن يبدو جاهلًا لهذه الدرجة، فيدعي أي شيء من المعرفة حتى لو فطن من أمامه أنه يكذب، المهم أن يرضي غروره أنه ليس منقطعًا عن أخبار العالم لهذه الدرجة. لكن هذه المرة تختلف، فهو بالفعل يريد أن يعرف عن أي مقطع فيديو يتحدث، ولا بأس أن يبدو جاهلًا ليوم واحد.

اختصر (محسن) على (علاء) كل هذا التفكير، وهو يخرج هاتفه المحمول الحديث من جيبه عارضًا له المقطع المنشود بنشوة، كما لو أنه يحب مناقشة الآخرين حول غرابة الأمر..

وللحق كان الأمر أكثر من مجرد غريب.. بل كان مفزعًا.

***

مقطع الفيديو الأول:

الشاشة توضح شابًا يسرع الخطى محاولًا مجاراة زميله –حامل الكاميرا- في حركاته المتحمسة، ليس حبًا في صحبته بالطبع، فلو كان زمام الأمور بيده المرتعشة تلك، لكانتا قد أحكمتا الخناق على هذا الشاب الأهوج حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة في توديعه للحياة. فالعالم لن يشعر بأي حنين أو افتقاد له. فمن يسأم سحر الحياة الهادئة ليتجول بهذا المكان الموحش في هذه الساعة، ظمئًا لنشوة الخوف التي لم يعد يتشبع منها بأفلام الرعب أو حكايات الأساطير.. فالعالم بدوره سينكره.

ما باليد حيلة، عليه الآن الإسراع ليكسب أنسًا من وجود صديقه بجواره، حتى ولو باطنيًا لا يريد تحمل هذه الصداقة أكثر من هذا ويشتهي حسمها اليوم قبل الغد. لكن صحبة هذا المعتوه أفضل ألف مرة من التواجد بهذا المكان وحيدًا.. فالأشباح لا تهاجم الحمقى إلا وهم بمفردهم.

بالطبع هو أحمق. فلا مبرر غير الحمق دفعه لاتباع نية صديقه في اكتشاف هذا المكان رغم رفضه التام للأمر،

فضعف شخصيته ستؤدي به للتهلكة يومًا ما إن لم يكن سقط بها بالفعل.

كما أن بالطبع صديقه معتوه. لأن من يخطو بإرادته الحرة لهذا المكان الذي تتحاشاه الحيوانات قبل البشر بهدف التسلية، فما هو إلا معتوه ذاهب العقل تستحق حالته العرض في إحدى حلقات (مختلين حول العالم) الوثائقية.

ستظل نظرية ظهور الأشباح بأي لحظة قائمة. فيكفيك أن تبصر إطلالة المبنى القاتمة من الخارج، وتستعيد بذهنك كل الشائعات الحائمة حول غرابته بالأصوات المقبضة للقلوب الصادرة من عتمته بعد منتصف الليل، ناهيك عن الأضواء التي تصدر من إحدى نوافذه في حين انقطاع الكهرباء عن المبنى بأكمله، بل واستحالة أن يكون بتلك الخرابة مصباحًا على قيد الحياة.

غاب الشاب في هواجسه لعشر ثوان أو أقل، لكنها كانت كفيلة بإخفاء صديقه –المعتوه- عن الأنظار. ابتلع ريقه وهو يمسح المكان بكشافه الصغير باحثًا عن صديقه الغائب، هل يخاطر بمناداة اسم صاحبه فتعلم الأشباح أن فريستيها أصبحتا متفرقتين وحيدتين، لتعلن بدء الصيد على كليهما؟

كان الكشاف القابع بين أنامل يده المرتعشة، يهتز راسمًا أبشع الخيالات على الجدران، قادرة على دب الفزع في قلوب

أعتى الرجال. أيعود أدراجه ما دام يستطيع؟ أم يكون في وجوده نجاة لصديقه بطريقة أو بأخرى؟ فقد وصل لمرحلة الخوف من مجرد الرمش بعينيه، فلا يضمن فتحهما على ذات المشهد.

فجأة سمع صوت صيحة باسمه من الخلف وأنامل تلمس جسده بعشوائية.. مدغدغة إياه مع اقتراب الكاميرا!

انتفض وهو يصرخ كفتاة رأت حشرة على شعرها. نظر للخلف وهو بالكاد يقاوم فقدان وعيه، ليجد صديقه يكركر واضعًا يده على معدته من فرط الضحك حتى أوشك أن يهوي أرضًا! استوعب الموقف وهو يحاول تنظيم أنفاسه التي كادت تنقطع مع دقات قلبه في آن واحد.. فقال من بين أنفاسه المتلاحقة لاهثًا:

- كدت تقتلني يا (سليمان).

أجابه وهو يمسح دمعة تحررت من جفونه الضاحكة رغمًا عنه:

- الغريب أنك لم تبلل سروالك بعد.

ليعاود القهقهة المصدرة دويًا مخيفًا بهذا المكان رغم أنها مجرد ضحكات، فيبدو أن أي شيء مهما كان تافهًا عندما يحوم بالمبنى يمسي مرعبًا، أو هكذا توهم عقله المرتعب.

تلفت حوله ليقول بلهجة متوترة بعد أن لملم جزءًا من شتات نفسه المتذبذبة:

- يمكننا أن نستمر بالضحك بالخارج.. دعنا نرحل أرجوك وسيكون للمزاح نكهة أفضل.

فأجاب (سليمان) مستعيدًا جديته وهو يصوب كشاف هاتفه المحمول لعمق المبنى، بأنه أتى هنا لاستكشاف المكان ولن يرحل قبل أن يحقق مبتغاه. كاد يتقدم لكن صديقه –الأحمق- تشبث بذراعه محاولًا منعه بحجة أنهما يعرفان ما يوجد بالمبنى مسبقًا الذي لن يختلف عن أي خرابة، لكن (سليمان) نفض ذراع صاحبه عنه، قائلًا بعد أن التفت له بحدة:

- لن ننصاع خلف روايات مدعي الشجاعة والمغامرة بدخولهم لهنا، وهم في الأصل يتحاشون حتى النظر للمكان. ما دمت خائفًا، فبوابة المبنى على بعد خطوات قلائل خلفك.

ابتسم ساخرًا وهو يتأمل صديقه مكملًا:

- اركض كطفل باكي سقطت منه حلواه، ولا تنس أن تبكي بأحضان أمك الغالية عندما تراها.. لكنني سأظل هنا لأسكتشف المكان عن بكرة أبيه بك أو من دونك. كنت أعلم أنك جبان يا (شوقي) لكن التجربة الواقعية أثبتت أن لفظ

(جبان) قد أشتق منك في الأصل.. لو كان للفراعنة آلهةً للتخاذل، لكن اسمك محفورًا تحت واحد منهم مصنوع من الروث.

كانت الإهانة أقصى مما تصورا! ليكن جبانًا إذًا مادام سيظل جبانًا حيًا على الأقل، ذو رئتين وقلب يعملان ليس مهددان بالتراخي عن أداء وظيفتهما بأي ثانية. فما فائدة الشجاعة إذا خسر المرء روحه أو ابتلي بمرضٍ نفسي مزمن يصاحبه حتى القبر، أو يخرج من هذه التجربة بمرض الضغط الملقب بالموت الصامت.. فالجبن هو طريقة الحياة الهادئة الأولى التي يرسمها العقل للإنسان، للنجاة.

هرول (شوقي) لخارج المبنى ليبتلع أكبر قدر من الهواء في رئتيه، مبددًا غازات المبنى المسممة. ترك المكان بأسره ليعود لحياته المملة التي يعشقها والتي يحيا بها سالمًا آمنًا. لم يعد يهتم بما سيحل ب(سليمان) فهو شاب بالغ واع بتصرفاته قادر على حل مشكلاته بنفسه.. ولن يشعر ضميره بالندم عليه لو أصابه أي مكروه مهما كان عظيمًا.. فالمعاتيه لا يستحقون الشفقة.

في هذه الأثناء كان (سليمان) يتجول بالمكان ماسحًا الموجودات ببصره في حماس صبياني. فرغم كثرة الأتربة والقمامة التي وجدت كنفها هنا بطريقة ما، لكنه راح يطالع

كل شيء بانبهار (هاورد كارتر) إثر اكتشافه لمقبرة توت عنخ أمون.

إنه على نقيض شخصية (شوقي) تمامًا يندفع بحماسه قبل أن يعمل عقله أو يضع حساب لأي شيء مستقبلي. شاهد العديد من الأفلام الأجنبية، لعب العشرات من ألعاب الفيديو، قرأ مئات الروايات، لقد عاش ألف مغامرة خيالية حتى سأم رتابة الحياة الواقعية.. فكان هذا الباب المتآكل أو هذا الكرسي المعدني الصدئ في عينه كالتاج الذهبي أو اللؤلؤ الألمعي.

في حركته الهائمة المنبهرة بالموجودات، صدم بظهره طاولة خشبية صغيرة عليها قارورة زجاجية لإحدى ماركات المياه الغازية، ظلت تهتز على الطاولة مترددة في اتخاذ موقفها، أتسقط أرضًا لتتهشم؟ أم تتراجع عن الأمر وتظل على وضعيتها من السكون حتى إشعار آخر؟ فقام (سليمان) بحسم حيرتها دافعًا الزجاجة في لا مبالاة. لم يتبع سقوطها وملامستها للأرض صوت تهشيم الزجاج المعتاد، بل كان دويًا أقرب للإنفجار!

***

مقطع الفيديو الثاني:

يبدو أن صخب الصوت قد أجفل (سليمان) ذاته، فضغط على سطح هاتفه المحمول بعشوائية مما أغلق التسجيل، لكنه عاود تشغيله مرة أخرى مصحوبًا بضوء (الفلاش) حتى لا يغفل عن توثيق أي لحظة بهذا المكان المحبب. تلفت حوله مدعيًا القلق، لكن هناك ضحكة قصيرة انسلت من بين شفتيه ساخرًا من المكان. كان في ذروة متعته، بل كانت عينه تلمع بنشوةٍ غريبة.

لم يكن ضوء الهاتف بالقوي كفايةً لتصوير كافة أرجاء المكان من موضعه، فوجب عليه الدنو بشدة من الشيء المرغوب تصويره حد الالتصاق ليتبدد عنه الظلام، ثم يسطع بوضوح على شاشة هاتفه. فالظلام كان كالجراد، بمجرد أن ينكشف الضوء عن الشيء تحله العتمة في جشع لا يرتوي كما لو أنها تلاحق (سليمان) سعيًا للانتقام منه لإفساد قدسيتها ولمشاركته فراغها.

صعد السلالم قاصدًا تفقد غرف الطلاب. لقد غاص أكثر بأعماق المبنى، مما جعل ضوء كشافه كعدمه بلا أثر ملموس. فلم يكن بيده حيلة سوى الاسترشاد بتصميم مبناه الخاص عسى أن يكونا متطابقان بالتصميم الداخلي. يترجل يسارًا ثم ينعطف لليسار مجددًا، والآن عليه أن يسير بشكل مستقيم أملًا أن يجد عنبر غرف السكن على يمينه.. إنه هو

بالفعل بغرفه المطلة على الجانبين. كاد أن يحمد الله أن المبنيين متماثلان إلا أن وجه الكلب الذي ظهر على شاشة هاتفه استوقفه عن أي شيء!

تعجب (سليمان) في البداية لكنه سرعان ما تفهم الأمر، لقد فتح كاميرا تطبيق (سناب شات) بدلاً من الكاميرا العادية للهاتف حين أجفل، ولم يلحظ هذا من فرط نشوته لتدوين كل شيء.. وها هو ال(سناب شات) يخلق وجوهه الطفولية التي يلقبها العامة بال(فلاتر).

لكن لماذا يوجد وجه صغير هكذا؟. فذلك الصغر يدل أنه بعيدٌ جدًا بآخر الردهة تقريبًا. لكن طبقًا لنوع هاتفه حديث الماركة والإصدار، فإن كاميرته دقيقة في توضيح كل الأوجه مهما كانت بعيدة أو متحركة وهو بالطبع مبرمج جيدًا على عدم افتعال وجوه من الظلام أو غيرها.. بل السؤال الأهم هنا، هو أين وجه الكلب الكارتوني اللطيف الذي يعهده؟ ومنذ متى يوجد بالتطبيق هذا ال(فلتر) لوجه كلب حقيقي مخيف؟

ظل وجه الكلب يقف بعيدًا ساكنًا لفترة تفوق ارتكاب الهاتف لخطأ ثم تداركه لمسحه في حين أنه مكث على تلك الحالة من انعدام الحركة كما لو أنه رصد وجهًا حقيقيًا لتمثال أو دمية! لكن ما الذي قد يأتي بمثل هذه الأشياء في

مبنى سكن طلابي؟.. حتى اختفى الوجه فجأة!.

كان اختفاء الوجه من المفترض أنه سيعود على (سليمان) بالراحة النفسية لكنه سرعان ما أثار حيرته أكثر، فعندما كاد أن يتقدم ليستنبط الأمر، ظهر الوجه من جديد!

رفع وجهه عن شاشة الهاتف ليتفقد هذا الأمر بعينيه، لكنه لم يجد سوى الظلام في ملتقاه. فعاد بنظره لهاتفه ليجد وجه الكلب قد اختفى ثانية، لكنه سرعان ما ظهر مع اختلاف أنه كان مقلوبًا رأسًا على عقب بنفس الصغر تلك المرة!

لا يعلم (سليمان) سبب تلك الرعشة التي أصابت عموده الفقري في عنف وجعلته يحكم قبضته على هاتفه بيد ترتجف كما لو أنه يستمد من معدنه الساخن ما يكفي لرباطة جأشه. أهو الخوف الذي شعر به لأول مرة منذ أن طرق لهذا المكان؟ أم هو تغير درجة الحرارة للبرودة المباغتة التي شعر بها؟

اختفى وجه الكلب ثم ظهر بعدها بثوان وهو أكبر! هذا يدل على دنو صاحب الوجه –أيًا يكن- من (سليمان). إنه بالتأكيد ليس حيوانًا من قطط أو كلاب كما هُيئ له، فلا يستطيع حيوان اجتياز تلك المسافة البعيدة بتلك السرعة المهولة، بخلاف استحالة وجود حيوان بهذا الارتفاع من البداية.. فتكونت حبات عرق على جبهته من التوتر رغم

برودة الجو لتزيد من ارتجافه.

فجأة ظهرت عشرات أوجه لكلاب بشكل عشوائي على الهاتف، القريب منها والبعيد، المقلوب والمعدول والذي يدور كعقارب الساعة لتغير وضعه من أحدهما للآخر، على الجدران وعلى السقف والأرض!

لقد اتخذ (سليمان) قراره بالركض من هذا المكان الآن، بعدما استبصر مدى سذاجة كل ما شاهده من أفلام أجنبية. لكنه لم يملك الوقت للإقدام على هذا القرار.

اختفت أوجه كل تلك الكلاب في ثانية واحدة ليظهر في الثانية التي تليها وجهٌ واحد قريبٌ جدًا من الهاتف وهو يفتح فمه كاشفًا عن أنياب كما لو أنه يزأر استعدادًا لانقضاضه على ضحيته، التي ستطلي هذه الأنياب بالأحمر الدامي قريباً. ليشعر (سليمان) بدوره برائحة أنفاس كريهة تقتحم خياشيمه اقتحامًا، مثيرة غثيانه.

فأطلق (سليمان) العنان لساقيه هروبًا، لينسى الاتجاهات التي اتبعها في مجيئه من فرط الفزع، متخبطًا بكل باب تحاشاه من قبل ومتعثرًا بمختلف قطع الخشب المبعثرة ليوقظها من ثباتها الأزلي مرتجفة لتشاركه ذعره، فيزعج حبات التراب النائمة بين ثناياها لتشاطره آلام اصطداماته بدورها.

خرج من المبنى وجسده مليء بالخدوش والكدمات، قابضًا على هاتفه في حركة عصبية قد تحتاج لأيام لإقناعه بزوال الخطر وأن قبضته عليه دون فائدة. لكنه ظل يركض فرارًا من هذا الجحيم محتميًا بغرفته مع (شوقي).. فما يحتاجه الآن هو فراشه الدافئ وبطانيته الثقيله ليقلص جسده أسفلها كالرضيع لاعنًا عتهه. فلا بأس أن يكون المرء معتوهًا لكن حيًا.

***

لم يحوي المقطعان كافة تلك التفاصيل، لكن مخيلة (علاء) بجانب سرد (محسن) لكافة الأقاويل التي تبعت انتشار الفيديو، كونت له صورة لا بأس بها عما حدث.

أضاف (محسن) أن بطلا الفيديو قد يكونا في دفعة تكبرهما أو ربما تخرجا من المدرسة من الأساس والكثير من الكلام الذي لم يبالي به (علاء)، حيث ظل بصره متعلقًا بالمبنى جاذبًا معه كافة حواسه.. لم يكن شاردًا أو مفكرًا بما شاهده لتوه على هاتف (محسن)، بل كان جافلًا حين رأى شخصًا من إحدى نوافذ المبنى، يستتر بين ظلام حجراته!

***

(٣)

ما كنا عليه دوما

عام ٧٣٨م

صحراء دمشق

في هذه الأثناء كان كل شيء وأي شيء يخوض معارك مبتذلة في استعراض القوى. حاولت الرياح أن تجهر بقوتها في الإطاحة بالقوافل أو إحالة الطقس لعاصفة، لكنها هبت كنسمات هشة، أقصى ما تصنعه من إزعاج هو زعزعة عمة الشيخ (عبدالله) عن رأسه بعض الشيء، ليعيد تثبيتها بموضعها بتأفف.

شرعت الصحراء في التباهي بما تحويه من أهوال، سواء تعرجات تعيق التقدم أو انبعاجات ترهق الأبدان، لكنها هي الأخرى فشلت في مبتغاها. حيث جاءت كثبانها الرملية منتظمة لا يعيبها نتوء أو ندوب، تخطو عليها ناقة الشيخ بكل يسر.

وبالمثل لم يكن هنالك أيًا من مفترسي الصحراء المتعطشين للحوم الآدمية بالأرجاء، أو حتى تلك الزواحف صاحبة النشوة العمياء لطعن المسالمين من المارة وتفريغ

سمومها القاتلة بأجسادهم.

الكل حاول لكنه عاد خائب الرجاء لجحره مداريًا وهنه، أو أنهم لم يكلفوا خاطرهم بالمواجهة من البداية آثرين السلامة.. فمن يقدر على تحدي الشمس في عزّ دارها وبوقت ذروتها.

رغم كل هذا، استكمل الشيخ (عبدالله) رحلته لمصر دون أي نية في التقاعس عن الأمر، أو الاحتماء فى إحدى المقاطعات السكنية حتى غروب الشمس على أقل تقدير. وهل حرارة الشمس تعتبر سبب كاف لتغير رأيه؟ لقد قضى الشيخ قرابة الشهر في رحلته تلك، لا يعرج على المدن إلا للتزود بالزاد ورشفات الماء، ولا يخلد للنوم إلا لساعة أو ساعتين يوميًا لإراحة ناقته المجهدة أو إشباع جسده بوقود النوم. فلو كان الأمر مقتصرًا عليه لما نام ولو لدقيقة واحدة مستغلًا إياها في تسريع بلوغه مصر.

لكن الليلة تختلف! فظل الشيخ يمسح كل شيء من حوله بعين متوجسة، كما لو أنه على دراية كاملة أن هنالك شيء ما سيحدث قريبًا. فيوميًا منذ بداية تلك الرحلة وهو يتعرض لهجوم مختلف الهيئة، صقور جارحة تارة، ضباع مفترسة تارة أخرى، عقارب سامة تارة ثالثة. كان يتصدى لها جميعًا، لذلك حرص على عدم الاستقرار في مكان واحد لأكثر من

ساعة، استعدادًا لأي غارات متنوعة.. إلا الأمس!

لم يصبه أي مكروه، بل وحتى الآن لم يعترض طريقه ولو صرصور صغير. هل يأس مطارده من صيده؟! بالطبع لا، فمطارده له من طول البال ما يكفل للشيخ الانغماس بحياة تتخذ من الخطر عنوانًا لأبد الدهر. حتمًا هذا الهدوء الذي يسبق العاصفة التي ستطيح به هذه المرة مهما امتاز بتفوق وحنكة.

وعلى حين غرة هبت العاصفة! إنها عاصفة حقيقية دون أي مبالغة أو كناية. حيث شرعت الدوامات الهوائية في التشكل مبعثرة رمال الصحراء المنتظمة، تصحبها هزة أرضية عنيفة تتموج على إثرها الصحراء بالكامل كالبحار. كيف ثارت الصحراء بتلك الشاكلة المفاجئة؟ لقد قضى الشيخ (عبدالله) حياته بأكملها بين وديان الصحاري وعلى قمم التلال، وتلك ليست العاصفة الأولى التي يشهد عليها، بل مر من قبل على أعاصير ساوت قرى بأكملها بالأرض أو أحالتها لذكرى. لكنها المرة الأولى التي يشهد فيها تكون عاصفة بتلك السرعة! ربما شرد في تذكره للشيطان الواحد والعشرين ومطاردته له. سيفكر بالأمر مليًا على أي حال فيما بعد، أما الآن عليه الاحتماء في أي مأوى أمان قبل أن يقضي نحبه بفعل العاصفة.

راح يحكم ربط وشاحه حول وجهه حتى لا تصطدم به ذرات الرمال المتطايرة، وهو يفكر إلى أين سيذهب؟ الصحراء أمامه منبسطة من كل صوب حوله لا يتوسم بها أي قرية قريبة أو ملاذ مؤقت، وحتى إن وجد فالعاصفة كفيلة بإخفائها عن بصر الشيخ.

ظل يتنقل في الأرجاء بعشوائية على ظهر ناقته، محاولًا الابتعاد بقدر الإمكان عن تلك العاصفة دون أن يحدد وجهة معينة. وهو يلمس بأنامله طرف قارورته على جانب خصره الأيمن، تحسبًا لاستخدامها في الوقت المناسب.. لكنه لم يفعل حين أبصر تلك الدابة!

كانت أقرب للكلب أو الذئب رمادي اللون، لم يستطع تحديد كنهه بفضل تلك العاصفة، على الأقل من هيئته الجسدية الضئيلة، ضمن أنه ليس أسدًا أو ضبعًا أو أي مفترس آخر. المهم أنه حيوان يفر من تلك العاصفة ولكن إلى أين؟

على الأغلب أن تلك الحيوانات تستشعر العواصف والهزات الأرضية قبل اندلاعها ويسرعون في التقهقر عن المكان آثرين السلامة. وهذا يفسر خلو الصحراء من أي كائنات حية طوال اليوم، أما وجود هذه الدابة وحيدة، فهذا يعني أنه كان برحلة صيد أخرته عن الهروب أو أي شيء مماثل.

فليس لدى الشيخ متسع من الوقت لحساب كافة النظريات

عن حياة الكلب. المهم أنه الآن يتجه لملجأ ما محتميًا من غضب الصحراء هذا، بدلالة أنه يسير في خط مستقيم.

قد تكون تلك مخاطرة في أن يدلف الشيخ وكرًا لقطيع من الذئاب الجائعة أو الكلاب المصابة بالسعار، لكنه قضاء أخف من قضاء كما يقال، وعليه المجازفة.. فأمر ناقته في تتبع تلك الدابة متمنيًا أن يضحى مضجعها قريبًا.

وبتلك الأثناء، ظلت أنفاس الشيخ (عبدالله) تنحسر من رئتيه حتى أضحت عملية التنفس عسيرة وسط هذا الكم المهول من الرمال المتطايرة، لا تصله أي أصوات تُذكر كما لو أن الرمال سدت أذنيه حد الصمم، يضيق جفنيه خشية من أن تمسها الرمال بدورها، تاركًا بصيصًا ضيقًا يبصر به طريقه في إتباع الحيوان الذي اتضح أنه كلب بالفعل. حتى بلغ ضالته أخيرًا.

كانت مغارة حجرية بالكاد تتسع لناقته، لكن لا بأس بها كملاذ مؤقت حتى انتهاء هذه العاصفة.

ظل يعبأ رئتيه بالهواء شبه النقي مستريح البال. فترجل عن ناقته بعد أن عقد عزمه على التجرد من كافة ملابسه لنفضها من الرمال التي ابتلعتها، لكنه تراجع عن الأمر بمجرد أن لامس أرض المغارة متذكرًا أمر الكلب الرمادي! أنه ليس وحيدًا هنا وعليه تذكر الحرص. أين إذن ذلك الكلب أو بقية

قطيعه؟

تطلع لجب المغارة فأبصره، وكادت عيناه تسقطان من محجريها من هول المفاجأة. ناهيك أن آثار أقدام الكلب على رمال المغارة المنتظمة، تدل على أنه يملك ثلاثة أصابع فحسب بأقدامه لا أربعة كسائر الكلاب، بخلاف أنه يملك لسانًا مشقوقًا كالأفاعي ويحمل عينين صفراويتين كالذهب، فكل هذا طبيعيي ويمكن التغاضي عنه رغم غرابته. لكن الكيان المنتصب بجوار الكلب، كان هو المفاجأة بالفعل.

أن يبصر المرء الأموات، هذا أمر وارد الحدوث، خاصة لو تحمل بالعلوم التي يعرفها الشيخ، وبالأخص عينيه الغير آدمية المبصرة للشياطين والأرواح. لكن أن يرى المرء نفسه دون مرآة أو انعكاس على بركة ماء، فهذا هو الأمر الجديد المثير للفزع! كان الشخص المجاور للكلب يقف على مرأى الضوء، متجليًا ما يحمله من قسمات الشيخ الكئيبة التي يحفظها عن ظهر قلب، بلحيته الشائبة وأنفه المعقوف، لكن مع عينين لامعتين بلون أحمر كالجمرات!

لم يترك هذا المستنسخ فرصة للشيخ لابتلاع ريقه أو معرفة ماهية الواقف في مواجهته، حيث تراجع خطوة واحدة للخلف ليبتلعه ظلام المغارة بأكلمه، فلولا عينيه الحمراويتين المشعتين لظننت أن هذا الكائن لم يكن بالمغارة

من الأساس. ثم عاود التقدم مرة أخرى كاشفًا عن هيئته الحقيقية بعيدًا عن تلك الألاعيب لاستعراض مهارات التشكل خاصته.

كان ضخمًا، يفوق حجم الشيخ أضعافًا بطوله الفارع ومنكبيه العريضتين. نصف جسده العلوي هو جذع بشري عاري، تبرز عضلات بطنه وصدره أسفل شعر كثيف السواد يغلفه، وما يظهر من جسده غير مغلفًا بالشعر كان ذو لون أحمر كالدم. ذو وجهٍ مشوهٍ لا تتطلع له ثوان إلا وتبصر شياطين الجحيم بأثرها تتراقص حوله. فكه بارزٌ عن وجهه، يحمل فوقه أنف دائري أشبه بمقدمة جبهة الحيوانات.. إنه لخليط شنيع بين وجه بشري وضبع نتج عنه هذا المسخ الذميم.

أما نصفه السفلي فهو ملئ بالعضلات هو الآخر، حتى تبلغ ركبته التي تنثني للخلف في وضع مخالف لتكوين جسد البشر، لتنتهي بحوافر أقرب لأقدام الثيران.

بالكيان الكثير من العلامات الشاذة عن البشر التي تلفت الأنظار إليها، كقبضته التي لا تحتوي سوى على أربعة أصابع بخلاف أظافره الأقرب للخناجر في حدتها وطولها، وناهيك بالطبع عن فكه المكدس بالأنياب لا أنواع أخرى للأسنان، بخلاف ما ينبع عنه من رائحة كريهة أقرب لتعفن مئات

الجثث أو تفحمها.

ثم قال مبتسمًا في زهو المنتصر بصوته الغليظ المثير للقشعريرة بالقلوب:

- ها قد وقعت أخيرًا يا شيخ (عبدالله).. أم تفضل أن أدعوك ب(ابن الحظرد)؟!

***

التشكل ليس بالأمر الصعب أو المستعصي على الشياطين، لكنهم دائمًا ما يفشلون في عمل تشكل متكامل، مثلما حدث مع الكلب الرمادي، الذي بالرغم من أن تجسده متقن، لكنه أغفل بعض الثغرات التي سيميزها أي باحث بأسرار الشياطين مثله أو أي ساكن للصحراء بوجه عام.. أما هذا الشيطان الذي تجسد في انعكاسه فهو غير الشياطين أجمع!

التجسدات المعهودة للشياطين غير حالات التلبس والاستحواذ تقتصر على الحيوانات أو الزواحف وبأقصى الحالات تكون على هيئة أطفال، أما التشكل في هيئة البشر تلك، فهي خاصية لا يمتلكها إلا قبائل الغيلان من الجان.. وما ينتصب أمامه الأن ليس جنًا على الإطلاق، بل هو شيطان رجيم، وليس أي شيطان كذلك، بل هو الشيطان الواحد والعشرين بهيبته المقبضة للقلوب وقدراته التي تفوق جميع

ساكني العوالم السفلية.

لقد وقع الشيخ (عبدالله) في شراك مطارده أخيرًا، وهو ليس وحده! فحين أبصر الشيخ كافة تلك الأزواج من الأعين المتلألأة في ظلام المغارة خلف الشيطان الواحد والعشرين، أدرك أنه هالك لا محالة. حيث باتت المواجهة محسومة النتيجة قبل اندلاعها.. لذا عليه الهروب.

التفت الشيخ لناقته ولكنه لم يفعل أي شيء آخر بعدها، حيث أبصر الناقة وهي تصيح، إنه ألم مصاحب لذلك الانبعاج في أحد سيقانها، كما لو أنها تعرضت لضربة خفية كسرت رجلها. ثم لحقتها عدد ضخم من التكات مع المزيد من الإلتوائات بجسد الناقة نفسها، مؤكدة على أن كل عظمة حالت لرميم وإن جسدها الآن ما هو إلا كيس من اللحم لهذه العظام المهشمة.

ارتجفت أوصال الشيخ من فرط الخوف الذي لم يصادفه يومًا بهذا الشكل المبالغ به، مع كل عظمة تكسر أو كل انتفاضة لكيان الناقة. لم تكن تلك الناقة بالعادية، كغيرها من الأمور المريبة بحياة الشيخ، التي تفتقر للتقليدية. بل كانت إحدى أقوى خدام الشيخ وأكثرهم إخلاصًا من الجان، فمنذ متى ظهر لأقرانها من الجمال هذان القرنان الصغيران على مقدمة الرأس؟ وها هي الآن ملقاة أرضًا، متذوقة للويل أثناء

تجسدها.

حتى ختمت هذه المعاناه بانكسار رقبتها أخيرًا، وتسيل الدماء من فمها وكافة فتحات وجهها. تأمل الشيخ وجه الناقة الهامد وهو يتذكر ما عاصره من أهوال سابقة، كفيلة بهيمنة الشيب على شعيرات جسده كلها. وما عاشر من هلع، لا يهجر صاحبه إلا بلوثة عقلية أو حالة عصبية مميتة.. لكنها لم تعادل يومًا هذا الموقف في خطورته.

حاول الركض من المكان معتمدًا على ساقيه، لكنه تفاجأ باصطدامه بحائل خفي يمنع خروجه من دائرة محددة، أزال بعض الأتربة من على أرض المغارة بنعل مداسه، فأدرك أنها إحدى تعويذات (الأسر). في الحالات الأخرى كان سيحل تلك التعويذة في مجرد لحظات بما يمتلكه من عزائم بعقله يحفظها عن ظهر قلب، لكنه هنا يتعامل مع تعويذة مصنوعة من دماء الشيطان الواحد والعشرين ذاته، التي قد تأخذ نصف يوم على الأقل لفكها.

لم تكن فكرة الفرار عدوًا من المكان ستنجح على أي حال، فسيقانه الهشة التي بالكاد تحمله دون أن يلثم الأرض بوجهه، بجانب حالة الفزع المتملكة لكيانه التي تجبره على التعثر دون قصد، ستجعل منه محض سخرية أمام تلك الشياطين لا أكثر ليعاودوا أسره بعدها بكل يسر. وبالطبع

ليس لديه نصف يوم ليحل تلك التعويذة عن عاتقه، فهو يشعر بقبضة ملك الموت وهي تقرب على الفتك به بأي ثانية. لذا عليه تغيير خطته.

التفت الشيخ صوب الشيطان الواحد والعشرين ليجده جالسًا على عرش، الله وحده أعلم من أين ظهر، ربما نبت من أعماق المغارة كالشيطان ذاته أو ربما انشقت الأرض ولفظته عن فحواها. المهم أن الشيطان يحاول التباهي بأنه ملكًا، وأن الشيخ ليس سوى متمرد قليل الحيلة. لقد نجح في إيصال رسالته عن جدارة، فانحنى الشيخ ليلامس دماء ناقته بأنامله وهو يتمتم بما يحفظه من تعاويذ حماية لنفسه بصوت خافت، راسمًا بتلك الدماء على الأرض.

قد يعود العتاب على أمراض الشيخوخة، لكن الشيخ بالفعل لم يعد يتذكر كيف حفظ تلك العزائم أو متى بدأ الأمر بأسره من الأساس. كما لو أنه أنزل من بطن أمه يبصر الجان ويحادث الشياطين.. بفضل البصاصين!

كيانات صغيرة أقرب لعمار المكان في متابعتهم للأحداث دون تدخل، حتى لو باستطاعتهم إيقاف مئات الفاجعات المميتة أو إنقاذ آلاف الأرواح البريئة، لكن البصاصين على نقيض العمار لا يمكن تحضيرهم أو رؤيتهم بأي عالم، حتى ظن البعض أنهم مجرد أسطورة، في حين أنهم موجودون

منذ الأزل وباقون حتى الأبد.. وكان (عبدالله بن الحظرد) من الأقلاء -لا يمكنك تحديد إن كان هذا من حسن حظه أم كرب طالعه- الذين ظهر لهم البصاصين.

وهكذا وبكل بساطة الدنيا يقصون عليه كافة أسرار العوالم السفلية منها والكونية، التي قد يشعل بعضهم ملاحم دولية لكتمها أو يلهب بعضهم الآخر مجازر عالمية للظفر بها. غير عالمين أنها تصب على مسامع الشيخ (عبدالله) دون مجهود يذكر وبلا اختيار بيديه، مؤكدين على أن هذا قدره المحتوم الذي لا فرار منه ولو بالموت.

فقرر هجرة البشر كما نبذوه مسبقًا، مكملًا دراساته المعتكفة في ثلاثة أشياء لا رابع لها:

١- التشريح الجسدي للكيانات القديمة وأنظمتها الحيوية.

٢- طريقة تحضير كل منها.

٣- طريقة القضاء على أي منها.

مدونًا إياها بكتابه المطلسم، الذي أطلق عليه (العزيف) –التي تعني بالعربية صوت الجان- تيمنًا بأصوات الكيانات، التي تملي عليه ما يكتبه بل تجعله يزور تلك العوالم بنومه ببعض الأحيان كهالة طيفية، ليكتسب خبرة مضاعفة. لكن مهما بلغت تلك الأسرار من رهبة لم تصل أبدًا لهول سر

العشرين شيطان.

كانت خطتهم تتمثل في التزاوج وإعمار الأرض بنسل هجين من نار وطين يستولون به على بقاع الأرض، ليرجعوا أمجادهم بعيدًا عن سطو أمير الجحيم، لكنهم فوجئوا بفشل خطتهم حين علقوا بأجساد خالدة عقيمة، لن يكتب لها إنجاب ذرية من نار أو حتى ماء، ذكورًا كانوا أو إناث. فما الفائدة من التعايش مع قوم يمقتونهم حتى يوم الدينونة؟

حتى أتاهم أخوهم الأخير والأكثر قوة بمخططه الجهنمي. استنبط الشيطان الواحد والعشرين سخافة الفكرة منذ لحظتها الأولى فلم يشاركهم بها، بل لم يرمي بالًا لها. حتى أتته الفكرة التي قد تقلب كفة ميزان العالم لصالحه عن حق تلك المرة، وليست على هيئة أحلام بعيدة المدى كأخوته، وهي بصنع (عتاد الخطاه)! التي لم يكفل الشيخ الوقت لمعرفة الغرض منها بعد، لكنها لن تخرج عن حيز فتح بوابات الجحيم السبعة أو التعجيل بظهور المسيخ الدجال. لأن هذا الشيطان دونًا عن كافة الكيانات المرعبة التي كتب عنها الشيخ، هو الوحيد الذي من شعر بمعرفة الشيخ أكثر من اللازم، عالمًا أن سره الأعظم خرج عن دائرة اخوته الضيقة. بل إن هنالك ورقة مخطوط عليها طريقة تحضيره وقتله!

فرغم كافة خطط الشياطين والجان في إفناء البشرية

وإعادة سطو حكمهم الزائل، إلا أنها لم تخرج عن حيز النوايا المستبيتة، وإن تحولت لفعل على أرض الواقع، لن تتعدى بند المناوشات التي سرعان ما يتم كتمها.. لكن للشيطان الواحد والعشرون السبق في التنفيذ والاستمرارية، التي وجب على أحدهم التصدي لها حتى لو كان هذا الأحد هو محض إنسان بسيط عانى طوال عمره من سخرية الآخرين ونعته بالجنون.. مهما بلغ فساد هؤلاء البشر فهم لا يستحقون إبادة جماعية من قبل الشياطين.

فانطلق الشيخ (عبدالله بن الحظرد) في رحلته قاصدًا مصر، مع تقضية الغالبية العظمى من اليوم في صد هجمات أتباع الشيطان الواحد والعشرين. والذي كان أول اختيار له بحياته المسيرة. ومن الأوضاع الراهنة حوله سيبيت هذا اختياره الأخير.

- هلم أيها الطيني.. لم يعد لديك الكثير من الوقت قبل أن أأسر روحك لأعذبها بجحيمي كيفما شئت، فلا تماطل وأطلعني بمستقر مخطوطي.

نطق بها الشيطان مجلجلًا المغارة من حوله.

المخطوط! عن أي مخطوط يتحدث هذا المدنس؟ لقد أنسته التعويذة التي ألقاها على نفسه الأمر برمته ولا يذكر الآن سوى أن الشيطان يريد سرقة شيء نفيس منه لا يعلم

كنهه.

لم يتذكر الشيخ أن المخطوط الذي يتحدث عنه الشيطان الواحد والعشرين، لم يصنع منه أي نسخ. رغم أن به طريقة الخلاص من هذا الكيان الجهنمي، لكن الشيخ لن يسمح بتفشي تلك الطلاسم بين العامة، خاصة مع اللعنة التي وضعها الشيطان حول اسمه، التي تعلمه بموضع لقبه إذا كان منطوقًا تتبادله الآذان أم منقوشًا على ورق أو صخر. ولهذا فطن الشيطان لمعرفة الشيخ عنه وعن مخطته، على نقيض أقرانه من الكيانات.

فيبدو أن إخفاء إسم الشيطان الحقيقي عن العامة هو اهتمامه الأول والأخير، فهذا الكم من العناد بعينيه، يؤكد أن ليس له أي موانع عن القذف بمدن كاملة، مقابل تحقيق الأمر. كما أنه لن يقتل الشيخ كي يفقد المخطوط بتلك البساطة. دون أن يعلم أن المخطوط الأصلي في مكان آخر وربما في دولة أخرى من الأساس.

لم يكن لدى الشيخ خيارًا في توريط (زبيدة) بالأمر.. فعلى ورثته أن يستمروا

مهلًا لحظة! ورثته! هل له ورثة من الأساس ولا يتذكرهم بفعل تعاويذ التلاعب بالذاكرة تلك التي أنسته أن له أختًا من الأساس؟ أم أنها من لحظات سكرات الموت؟ والسؤال

المهم هنا، لمَ يفكر بكل هذا الآن؟ يبدو أن الشيطان الواحد والعشرين قد بدأ في قراءة ذاكرة الشيخ بالفعل، عليه التركيز في ردعه قبل أن يصل لخطته التي طمسها بتلافيف عقله.

شعر الشيطان بمقاومة الشيخ، صرخ به من جديد:

- انطق أيها الطيني من سواك يعلم بما انتويه؟

لم يعد الموت احتمالًا، بل مصيرًا لا فرار منه. وحتى لو توسل الشيخ لبصّاصيه لما أغاثوه ولما تحركوا حتى قيد أنملة لو شهدوه يشوى حيًا، فمهمتهم الأزلية هي المراقبة وإفشاء الأسرار لمختاريهم دون زيادة أو نقصان.. فلو كان الموت حتميًا ليصنع من خاتمته ما يثني عليه الزمن.

تحسس الشيخ سلاحه السري الذي أدخره طويلًا للتصدي لشر عظيم، ويبدو أن الشيطان الواحد والعشريين استحق هذا الإنتظار، كما لم يعد له بالحياة متسعًا لاكتشاف من يمكنه منافسته على هذا اللقب.. إنها قارورته المرتكزة على جانب خصره الأيمن.

لم يكن بالقارورة ماءًا بل عصارة سنواته التي أفناها في تدوين همسات البصاصين في أذنيه، والتي لم تقتصر على دراسة الكيانات فحسب، بل شملت التعاويذ المحرمة على

البشر بكافة أصنافها وكانت أخطرهم هي تعويذة (الحلقة).

فأطلق العنان لسدادة قارورته منسالًا منها رمالًا ذهبية ودماءً قانية، كانا يسبحان بالفراغ دون أن يمسا الأرض، كما أن الهواء ذاته يحملهما في معاونة الشيخ، دون أن يلمس أي منهما الآخر أو تلتحم الدماء مع الرمال صانعة كتلة طينية متجلطة، بل كان كل منهما منفصلًا كما لو لم يجمعهما حاويةً واحدةً.

فلم تكن تلك أي رمال أو أي دماء، حيث كانت رمال بئر (راهوت) المحصنة التي تسجن بين طياتها دزائن من طغاة الجان وجبابرة الشياطين. كما أن البصاصيين زعموا عن تلك الدماء أنها لأحد أنسال أمير الجحيم ذاته.. فهو الآن يجمع بتعويذته خليطًا بين أكثر أنواع الرمال قوة باليمن، وأطغى أنواع الدماء دناسة بالعالم السفلي أجمع، فهذا الخليط المتناقض بين العفة والرجس، هو الوحيد القادر على إخضاع هذا الشيطان.

راحت تلك الرمال والدماء ترتسم أمام الشيخ صانعة دائرة مفرغة تتبعثر داخل حدودها رموز ورسومات، وسط تمتمة الشيخ وحركات أنامله السريعة مغلقًا عينيه.

بمجرد أن رأى الشيطان الدائرة وهي ترتسم أمام الشيخ، لم يحتاج إلا ثانية واحدة لإدراك ما ينتويه، فصرخ بأعوانه وهو

يشير بسبابته بغضب:

- أوقفووووووه.

فكان أول من لبى النداء هو الكلب الرمادي ذو الثلاثة أصابع، الذي أطلق العنان لساقيه، يسابق بها الريح، مكشرًا عن أنيابه، لإحكامها على رقبة الشيخ، لكن هجومه سرعان ما باء بالفشل حين اصطدم رأسه بالحاجز الخفي المحيط بالشيخ، كما حدث لهذا الأخير حين حاول الفرار منه.

لكن كيف هذا؟ فتلك الطلاسم المحيطة بالشيخ (عبدالله بن الحظرد) هي مصممة لسجن البشر بين طياتها لا أقرانه من الشياطين! لكن الشيطان الواحد والعشرين وخادمه سرعان ما فطنا لما فعله الشيخ من حيلة، حيث استخدم دماء خادمه من الجان المقتول في عمل نوع خاص من تعاويذ الحماية، التي بالرغم من إنها تحميه من أي هجوم لكافة أنواع المخلوقات، لكنها بذات الوقت تزيد تقيده بهذا المكان.. لقد قوى الشيخ من تأثير تعويذة أسر الشيطان على عكس ما كان متوقعه، هذا يعني أنه ينوي فعل أمر جلل بموضعه، ويحتاج فحسب لبعض الدقائق لإتمامه دون مقاطعات.

- اقتلووووووه.

بمجرد أن أتم الشيطان كلمته، بدأت الانفجارات تتوالى على غلاف الحائل الخارجي. وبعين الشيخ الغير آدميه، أبصر عشرات وربما مئات من الشياطين ذميمة الخلقة تحاول اختراق الحاجز للإمساك به ومنعه عن إكمال تعويذته.

فكيف يفكر الشيطان في مستقبله في حين أن تلك التعويذة قادره على إنهاء حاضره بطرفة عين. فحين ينتهي الشيخ من غمغمته لعزائمه المحرمة على بني جنسه بل وأي أجناس أخرى، سيغوص الشيطان في سبات أزلي بباطن الجحيم دون أن يستدل إخوته أو ملوك الجان ذاتهم على مستقره حتى لو نبشوا الجحيم بأكمله.. هنا فحسب أيقن أن المخطوط ليس إلا تفاهات مقارنة بتحدى هذا الساحر.

فأحس الشيخ نفسه بأن مقدار الهواء بتلك المغارة يكفيه لأنفاس معدودة فحسب، كما أن حرارة المكان تزداد لهيبًا، لكنه بالفعل أتم نصف التعويذة، عليه التحامل على نفسه بعض الشيء فلم يبقا إلا القليل. فرفع الشيخ ساقيه متربعًا بالهواء! لم يعد يمس أرض المغارة، بل ظل طافيًا.

وبدون أي مقدمات اتقدت النيران بكل كنفات المغارة لتبيت فرنًا حقيقيًا دون تشبيه أو مبالغة، وبلمح البصر كان الشيطان الواحد والعشرين أمام حاجز تعويذته التي صنعها بنفسه! لم يثب الشيطان من عرشه أو ركض أو أي شيء

يمت للحركة بصلة، بل كان بلحظة على عرشه وبالحظة التالية كان منتصبًا أمام الشيخ (عبدالله) والجحيم يقام من خلفه

أغلق الشيخ عينيه من جديد، متحاملًا على ذاته الألم الحارق الذي يضرب جنباته كالسياط، ويعتصر روحه كالسيوف، بل ويبتر شتات جلده كالمقاصل.. إنها نيران الشيطان الواحد والعشرين التي تكاد تسمع بين أجيجها صرخات المعذبين واستغاثات الآثمين وتوسلات الصالحين، فالجميع يضحون سواسية حين تبتلعهم النيران مخلفة الدمار والرماد في أعقابها.

دس الشيطان كفيه بحركة خاطفة للأمام، لتخترق أنامله الحاجز بالفعل، أبعد مرفقيه جاذبًا معه الستار الخفي، لينجح في تكوين فجوة بها. فكست النيران الأرض التي يطفو فوقها الشيخ، ليزداد شعوره بحرق اللهب حتى بدأت ملابسه في التفحم وجلده في الذوبان، لكنه قال هامسًا رغمًا عن أطنان الألم التي يشعر بها:

- لقد تأخرت أيها الشيطان.. سترقد في سلام أبدي بلا مهرب لاستكمال خطتك النجسة.

ثم أطلق الشيخ العنان لصيحاته المتألمة التي لم يعد يستطيع كتمها أكثر من هذا. لكنها بذات الوقت لن تدوم،

حيث هوى الشيخ جثة هامدة فاقدًا بريق عينيه بين ألسنة النيران، التي سرعان ما ابتلعته بجعبتها لتحوله لرفات، بلا حول أو قوة منه.

اختفت الحلقة من داخل الحاجز، ثم تشكل حول جسد الشيطان -من العدم- حلقة عملاقة مشابهة! لن يستطيع الشيطان الهروب، فقد أتم الشيخ تعويذته التي ستنال منه ولو فر لباطن الأرض ذاتها. ترك الحائل الخفي بعدما أصبح بلا فائدة محاولًا التخلص من تلك الحلقة. لكنها سرعان ما راحت تتقلص وسط ذهوله، لتضيق عليه الخناق حتى أحكمت تقيدها لوسطه. لتبدأ مثيلات الحلقة الأولى بالتجسد حول كافة مفاصل الشيطان مكبلة لوثاقه حتى شل جسده بالكامل عن الحركة، بل الأدهى أن وزنه راح يتزايد أرطالًا مضاعفة، حتى لم يعد له السعة في حمل هذا الثقل على عاتقه، فهوى ملثمًا الأرض بجبهته محافظًا على ذات الحالة من التخشب التي أصابته. ثم غاض بها تدريجيًا كما تغور الجزور بباطن التربة. حاول أن ينتفض معترضًا، أن ينتصب على قامته مثبتًا لنفسه أنه الأقوى، أن يلوذ بالفرار من هذا السجن الأبدي، لكن ثقل جسده وقيد جثمانه حالا بينه وبين الأمر.. فصرخ بجل ما أوتي من قوة حتى اهتزت على إثر صيحاته المغارة وربما الجحيم ذاته:

- انطقها أيها الشيخ كاملة قبل موتك، أكمل شروط تحريري من التعويذة.. أتظنني جاهلًا عنها، فأنا الشيطان الواحد والعشرين أيها الطيني الفاني.. انطقها.. انطقـ..

حتى ابتلعته الأرض باترة كافة صرخاته، وسط ذهول أتباعه من الشياطين الذين لم يشهدوا يومًا في قوة تلك التعويذة، التي تؤثر على سيدهم. بل لم يعاصروه يؤثر عليه طلسمًا أو يخسر نزالًا يومًا!

ليغرق المكان في هدوء محير. فحتى العاصفة بخارج المغارة التي صنعها الشيطان الواحد والعشرين لاستدراج الشيخ سكنت في رثاء على سيدها. مؤكدةً على أن في موت (ابن الحظرد) يكمن نجاة البشرية أجمع من شر عظيم.. دون أن يلحظ أنه ترك في إثره ثغرات أكثر من اللازم في تعويذته.

(٤)

الصالح ليس هنا

اليوم الدراسي الثاني بعام ٢٠٢٠
المدرسة بالقاهرة

الحادية عشر صباحا

استطاع (علاء) أن يصنع حصرًا لا بأس به للعاملين بالمدرسة من بستانيين أو فراشين ومشرفي القسم الداخلي وخلافه من الأعمال الخارجة عن نطاق التعليم، باعتبار أن اليوم الأول لم يكن دراسيًا، فلم يتواجد غير قلة من المعلمين لا يتعدوا أصابع اليد الواحدة. ليقوم بترتيبهم تنازليًا من ناحية العمر.

تولدت برأسه تلك الفكرة التي واكبت حداثة سنه وقلة خبرته، بأن عليه سؤال الأكبر سنًا الذي سيكون ملمًا بأكبر قدر من الأحداث وقعت بالمدرسة، بل قد يضحى من شاهديها الأقلاء لحسن حظه. الفكرة غريبة ولا يشترط صحتها، فمن زعم أن هذا العجوز قد اكتسب كهولته داخل أسوار المدرسة وأنه ليس حديث الإنتقال إليها، وهو بالفعل يمتلك دزائن من الأحداث المشبعة بالمصائب في جعبته، لكن ليس عن المبنى المهجور.

فكان (جودة) يتربع على رأس قائمته، التي صنعها (علاء) إعتمادًا على بصره، فلن يسأل كل عامل بالمدرسة في فجاجة عن عمره لترتيبه في قائمته. فكان الرجل شيخًا يصرخ كل شيء به بأنه طاعنٌ بالسن حتى النخاع، على مشارف السبعين من العمر إن لم يكن تخطاها بالفعل، يتوسط وجهه الهزيل أنف قانٍ يعلو شاربٌ صعيديٌ ضخم لا يتناسب مع جسده الهزيل، فربما حرص على تهذيبه بهذا الشكل كمحاولة لإضافة بعض الشكيمة لشخصيته، لكنها طغت على وجهه هيئة غير متناسقة تثير السخرية، لكنك سرعان ما تبتلع ضحكاتك بمجرد إبصار تلك العينين العبوستين، المؤكدة على أن لا مجال للمزاح مع هذا الرجل. بخلاف هذا فهو كهل من جميع النواحي سواء بالتجاعيد الطامسة لملامح وجهه والشيب المهيمن على شعره.

لم يتبين (علاء) مهنة محددة للرجل، فهو يعمل بكل شيء بالمدرسة يختص بالحدائق والتنظيف وحراسة بوابة المدرسة الرئيسية، ربما كذلك بعض مهاراته بالسباكة والنجارة التي لا يبخل بها عن المدرسة. هو من العمال الأقلاء -إن لم يكن الوحيد بينهم- من يقيم بالمدرسة يوميًا، له كشكان أحدهما بالطابق الأرضي للمبنى الداخلي متخذًا إياه كبقالة لبيع الحلويات والوجبات المعلبة (كانتين)، أما

الآخر فهو يقبع بجوار بوابة المدرسة وهذا المخصص لمبيته اليومي.

حفظ (علاء) بشكل مبدأي نمط تحركات الرجل، الذي يقضي اليوم برمته بالعمل بين الحدائق والكانتين ولا يتقاعس بكشكه الخاص للراحة إلا بفترة الإستراحة المدرسية للطلاب.. فلم يجد سوى هذا الوقت لبلوغ مراده.

بمجرد أن وقعت عيني (جودة) على (علاء) وهو يتنحنح مقتحمًا حجرته البدائية الصنع، كاد يصيح به طاردًا بأن يطلب أيما شاء من غيره من عمال المدرسة فهو الآن في ساعة راحتة التي قد يغفو بها، لكن (علاء) بتر كل ثوراته بقوله:

- تفضل معي يا عم (جودة) بسم الله.

قابضًا بين كفيه على سلاحه السري، الذي بمجرد أن رآه (جودة) صمت كالقطط حين يُقذف لها بكرة من الخيط. لقد كان الطعام الذي يكتم أي ضجر ويقطع جميع الأشغال، حتى أنه يكاد يوقف الزمن ذاته إحترامًا لتلك الرائحة الشهية.

ودعت أسرة (علاء) إبنها الحبيب بالكثير من القبلات والدعاء على أن يواجه الغربة –من نظرهم- في صلابة، مزودين إياه بأطباق الطعام التي تكفيه لثلاثة أيام، دون أن

تفسد لعدم وجود ثلاجات بالغرف بالطبع، كمحاولة من الآباء لزرع شعور ولو كاذب أن ألفة المنزل برائحته الطيبة مازالت تؤنسه.. وبرشوة صغيرة لأحد الطهاة بالمطعم الذي أعد ل(علاء) طعامه على موعد الفسحة المدرسية على طاولة خاصة بعد أن سخنه كما لو أنه معدًا للتو. لقد أخلص الطاهي في أداء عمله بصدق، فكان الطعام ذو رائحة يطرب لها القلب ويتولد لها الجوع جبرًا، فليس بشرط أن تكون جائعًا ليسيل لعابك على الرائحة فحسب، فما بالك لو كنت مرهقًا ك(جودة) عقب سويعات عمل مجهدة على سنه العجوز.

افترش (علاء) الأرض واضعًا الطاولة قبالته، مشمرًا عن ساعديه في اتخاذ وضعية الطعام الشهيرة.

- لقد رأيتك بالمطهم أثناء وجبة العشاء بالأمس فأيقنت أنك تبيت معنا بالمدرسة، وليس من الذوق أن أحتكر هذا الكم من الطعام منفردًا دون أشاركه معك كعربون شكر على مجهودك المنقطع النظير بالمدرسة.

رغم أن (علاء) صبيًا لم يبلغ السابعة عشر ربيعًا بعد، إلا أنه من أوائل دفعته بكل الأعوام الدراسية التي تكفل له الفطنة في المكر لتحقيق مبتغاه، لينهال (جودة) على الطعام مشتاقًا.

راح (علاء) يدس بفمه أي شيء من الطعام غير مبال

بكنهه ليكمل تمثيليته أنه قد حضر بالفعل لمشاركة الطعام مع الرجل دون أية نية مغايرة، فلا مانع أن يتوسط الحديث بعض الدردشات الجانبية عن الأحوال ومدى اشتياق كل منهما لذويه، حتى سأل علاء:

- لماذا اتخذت من هذا المكان، حجرة لك عوضًا عن الكشك الأخر؟

كانت الحجرة التي يجلسان بها ضيقة حد الإختناق، ركيكة الصنع حد التقزز، ليست سوى مترين في مترين لا تضم أكثر من فراش بال بجانب موقد جاز عتيق ذو شعلة واحدة لعمل المشروبات الساخنة وعلى عتبة النافذة يستقر مذياع من القرون الوسطى، هذا بالطبع غير الحصير الذي يفترش به المكان، لا أكثر ولا أقل من أثاث دون حتى دورة للمياة، ناهيك عن أن (علاء) قد زار الكانتين بالأمس ليجده رحبًا كفيل لإحالته لمقهى من فرط اتساعه، فلم إذن يأثر المبيت بهذا الجحر الضيق بعيدًا عن الآخرين ليتعايش على حمامات المدرسة العمومية كالسجون.

ليجيب الرجل بدبلوماسية وهو لازال يروي ظمأه من الطعام، بأنه قرار المدرسة ولا يستطيع الإحتجاج عليه، كان المفترض من تلك الإجابة أن تكتم جميع استفسارات الآخرين حول الأمر، لكنها لم ترضي (علاء).

- أليس للأمر علاقة بالمبنى المهجور؟

كادت اللقيمات أن تتحشرج بحلق (جودة) لكنه تمالك نفسه مبتلعًا الطعام متشبثًا برباطة جأشه، ليجيبه بالنفي وتبرُئه من أي علاقة مع المبنى، فراح يستفسر (علاء) عن السبب الحقيقي لذلك المسمى العجيب للمبنى، ليجيبه (جودة) بأن كل ما يعلمه هو وقوع حادث بالمبنى منذ سنوات، لم تعد ذاكرته العجوز قادرة على تحديدها. حاول (علاء) الخروج بالمزيد من المعلومات عنه، بعد أن كادت شعيرات رأسه تنتصب من فرط الحماس لظفره بمعلومة جديدة، لكن سرعان ما استحال كل حماسه هذا لخيبة رجاء، حين قال (جودة) بحروف هجينة بين اللكنة القاهرية التي اكتسبها من عشره أهلها، واللكنة الصعيدية التي انعقد لسانه على لفظها منذ صباه:

- هذه الصفحة تخص المطعم أليس كذلك؟ إذهب أنت لدروسك حتى لا تتأخر عليها وأنا سأنظفها وأعيدها لأصحابها بنفسي.. أشكرك على هذه الوجبة الدسمة، إحرص على تكرارها من الحين للآخر.

كانت تلك المرة الأولى ل(علاء) التي يصغي فيها ل(جودة) وهو يتحدث بتلك الطريقة المذبذبة منذ بداية جلستهما، دلالة على توتره.. يعلم أنه لو أتى للرجل بمأكولات العالم تمًا،

فهذا لن يغريه لتلاوة المزيد، رغم تيقنه التام أنه دونًا عن سابقيه يعلم، بل ويعلم الكثير كذلك. فرحل (علاء) آملًا أن تشفع له تلك المعلومة الصغيرة للخروج بباقي الحكاية منه أو من غيره يومًا ما.

فبمجرد أن خرج (علاء) من الحجرة، وثب (جودة) هو الآخر مهرولًا للحمام القريب من حجرته، وهو يصفع وجهه بالماء من أول صنبور تعثر به، راح يضرب جبهته بالماء كما لو أنه سمكة نافقة يحاول إيقاظها، أو يجبر ذاته على اليقظة من كابوس عانى بسببه الأمرين.

دومًا ما فشل في تجاهل حكايات والده رحمه الله، التي كانت تزوره في كوابيسه وفي خضم معمعة المبنى قديمًا.. والتي حتى الآن لم يدري علاقتها بالأمر، لكن لها لمستها الموترة للأعصاب لمجرد سماعها، فما بالك إذن بالمشاهدة. ولفرط تعاسة حظه، فقد أجبر على تجربة الاثنين معًا، كأنه كان معاصرًا للأحداث بشحمه ولحمه.

***

انتاب (عبدالمعطي) على خضم اليوم دزائن من المشاعر المختلطة التي بعضها لم يعرف لقلبه دربًا من قبل، والبعض الآخر كان مكثفًا لدرجة لم تماثلها أي مواقف أخرى مر بها بحياته.

في البدء كان الارتياب من هذا الأجنبي أو الخواجة، كما يفضل أن يطلق على أقرانه من السياح الدائمين الزيارة لهذا الصرح الأثري العظيم، وبحكم عمله مع الخواجات –وارثًا تلك المهنة عن أبيه-، قذفت به الأقدار ليلتقي بالخواجة المنشود. لو كانت الريبة ستتملكه كلما قابل أجنبي لترك هذه المدينة منذ سنوات منقبًا عن مورد أخر لكسب الرزق. لكن حين يحدثك أجنبي بالمصرية بل وبلكنة أقرب للإنضباط بالكاد تلاحظ بها ثغرات الحروف التي دائمًا ما يتعثر بها الأجانب، هنا بدأت نبتة الشك تنبت بروح (عبدالمعطي)، ثم حين يطالبك بإعداد زيارة خاصة ل(طريق الكباش) الأثري عند منتصف ليل الغد، تستمر نبتة الشك في النضوج حتى كادت تلفظ ثمارًا.

لكن حكمًا لطيبة (عبدالمعطي) التي قربت للسذاجة لعدم تعديه العشرين من العمر بعد وتعامله بمبدأ أن الخواجات غريبي الأطوار دومًا، جز تلك النبتة من جذورها، خالقًا آلاف الأعذار للرجل، فربما هو مصري بالأصل مقيم بالخارج رغم ندرة هذا الأمر لغير الشباب في حين أن الخواجة تجاوز الخمسون على أقل تقدير، وربما هو يفضل دراسة أو رسم طريق الكباش وحيدًا دون إزعاج من حركة الزوار للطريق المصحوبة بصخب الصباح.. فوافق (عبدالمعطي) بالأخص

بعد أن توعده الخواجة بمبلغ يستحق العناء.

لم يكن أمر تدبير اللقاء المنفرد بين الرجل والطريق أمرًا شاذًا على مسامع حراس المنطقة الأثرية أو غير معتادين عليه، وعقب بعض الأموال التي زود بها (عبدالمعطي) أحد معارفه من حرس المنطقة، أكد عليه عدم السماح لأي شخص بولوج طريق الكباش حتى لو كان وزير الآثار ذاته بناءً على طلب الخواجة. فطمأنه الحارس بأن الليلة هي اليوم الأخير من الشهر وليست نهاية الأسبوع، فلم يتقاضى الشباب مرتباتهم بعد ليبعثروها على فتياتهم بهذه الأيام، فالليلة خالية للخواجة فحسب.

هنا تنبه (عبدالمعطي) لليوم! إنه التاسع والعشرون من نوفمبر! ولا تفصلهم سوى أجزاء من الساعة على انقضاء هذا اليوم المعروف بالشؤم ليتجلي في عقبه يومًا عاديًا كسائر الأيام! مما أجبر نبتة الشك على معاودة النمو من جديد لكن جذعها كان كثيف الأشواك هذه المرة، حاول أن يقتلعه مرة أخرى مطمئنًا نفسه بأن هدفه الوحيد من الخواجة هو المال وليفعل بالطريق ما يبتغيه حتى لو انتوى سرقة أحد الكباش.

ولكن لم كل هذا الشك من الأساس؟ فقد كان الخواجة ودودًا مرحًا بالكاد شعر (عبدالمعطي) معه بأنه يحادث أجنبي في رحلتهما القصيرة لأسواق العطارة بالأمس ليبتاع

منها الخواجة بعض مستلزماته، فلم يكن ل(عبدالمعطي) دورًا غير الإرشاد لمكان البضائع وكان الخواجة يتعامل بنفسه مع البائعين في الاستعلام عن مبتغاه وسعره. لكن ببعض الأحيان يكمن وراء هؤلاء الأشخاص اللطفاء أكثر من اللازم، انفجارًا بخطر عظيم بأي ثانية. فراح (عبدالمعطي) يتقدم الخواجة مرشدًا إياه لطريق الكباش بعد تجاوزه لصديقه الحارس، متمنيًا بأساريره ألا يشهد على انفجار روح هذا الرجل بعد ان تسأم من إدعاء الود.. دون أن يدرك أن تلك الهواجس هي أقل ما سيشهده مع الخواجة!

كان الخواجة جارًا لصندوقٍ بلاستيكي ذو عجلات أقرب لحافظات الطعام التي تنقل بها اللحوم من المجازر حتى لا تفسد، كاد الحارس أن يمنعه من المرور بهذا الشيء فما أدراه أن الخواجة لا يحمل عبوات متفجرة أو أي ابتلاء آخر قد يعود على الحارس بخراب بيته، ولكن من جديد طريقة الخواجة الودودة في تبادل أطراف الحديث وسحره على الإقناع أجبر الحارس على الخضوع لرغبته على الولوج بصندوقه العجيب.

كان المكان يغط في سواد معتم بالكاد يكفل القمر وبعض مساعديه من النجوم في مدهما ببعض الضوء لإبصار الموجودات على هيئة كيانات داكنة غير محددة الملامح.

وحين وصلا لما يقارب منتصف الطريق، بلغ مسامع (عبدالمعطي) بكاء طفل! لابد أنها زوجة صديقه الحارس وطفلها أتت لإمداد زوجها بعض الزاد كما ظن (عبدالمعطي). فتمنى ألا ينسى الحارس اتفاقه معه بوجوب خلو الطريق من أي شخص بناءًا على مطلب الخواجة، وألا يتملكه الشوق عارضًا على زوجته وطفليهما المكوث بضعة سويعات ليتشاطرا ونس الأسرة الذي يفتقده بحكم عمله.

مد الخواجة يده بالمال المتبقي ل(عبدالمعطي) مخرجًا إياه من شروده، مطالبًا إياه بالرحيل، فقد انتهى دوره لهذا الحد وأن بمقدوره تولي شؤونه بمفرده من الأن فصاعدًا.

راح (عبدالمعطي) يتحسس بكفه في الفراغ مفتشًا عن المال الذي يمده إليه الخواجة ليلتقطه كالعميان، لكنه عن دون قصد لمس الخواجة للمرة الأولى منذ أمس. لقد كان جلده باردًا كجثة؟ هو لم يلتحم بجثة من قبل بحياته ولم يعرف إحساس تلاقي جلدهما. فلو كان الأمر يقتصر على المشاعر العجيبة فلما لم يتوهم أن جلد الرجل بارد كما لو أنه صقيع جبال العالم الجليدية أجمع، فهو جاهل بتلك الجبال بمقدار جهله بملمس الجثث، لكن هذا أول شعور راوده على نحو يوقد شعور الاجفال هذه المرة!

خطف (عبدالمعطي) النقود ليسرع الخطى بعدها عاقدًا

العزم على الرحيل، لكن شيئًا تملكه مجبرًا إياه على النظر خلفه. أهو فضول؟ ربما لا يعلم في حين أنه متأكد أن هذا الفضول هو الشعور الثالث لليلة، على الرغم أنه لم يستمر إلا لثوان حتى تربع محله الشعور الرابع.. وهو التوجس.

كان الخواجة يبعثر مسحوقًا أقرب للرمال على الأرض صانعًا بها شكلًا لم يبصره (عبدالمعطي) لفرط الظلام، لكن الخواجة كان واثقًا من خطاه في تكوين رسمه، كما لو أنه يحفظه عن ظهر قلب، أو يبصر بالظلام على أقل تقدير! وبمجرد أن أنهى رسمه استطاع (عبدالمعطي) رؤيته هو الآخر بسهولة.. (كيف هذا؟) لم يكن السؤال المناسب لذلك الموقف، حيث انبثق من المسحوق ضوءً مهيبًا كما لو أنه يعكس ضوء الشمس الذي أختزنه كالقمر، دون وجود أي مصدر للضوء سواء نار أو (كلوب) بأي بقعة مجاورة.. ليضحى السؤال الأفضل لتلك الحال: (أي عبث هذا؟!).

وثب (عبدالمعطي) ليختبئ بجسده خلف إحدى التماثيل مختلسًا النظرات لما يفعله الخواجة، حيث رأى هذا الأخير وهو يدنو من صندوقه ليكشف أخيرًا عن فحواه. تمكن (عبدالمعطي) من استنباط المصدر الرئيسي لصوت بكاء الطفل، والتي كانت بعيدة عن كافة تصوراته رغم منطقيتها، فهو لم يتصور أبدًا أن يحتوى الصندوق على عشرة أطفال

رضع عراة تمامًا ما تتراوح أعمارهم بين بضعة أشهر وعام على الأكثر. أخرجهم الخواجة من الصندوق ملقيًا بهم بين المسحوق المنير، بإهمال كما لو أنه يتعامل مع جماد لا أطفال هشة لم يكتمل نمو عظامهم بعد، غير عابئ بفضلاتهم التي تلطخ أجسادهم. لم يكن الأطفال نيام فحسب، بل إن تلك المعاملة الغليظة تؤكد أنهم مخدرين ليجبرهم على الصمت دون أن يملئوا الدنيا عويلًا. بل أبصر (عبدالمعطي) بالفعل ثلاثة رضع لا يتحرك صدرهم الصغير في دلالة على أنهم قد فقدوا حياتهم من الأساس، ولم يكن العواء ينبع إلا من رضيع واحد يبدو أن جرعته من المخدر قد انتهى مفعولها. والأدهى أن الخواجة لم يهتم لإسكاته أو فعل أي شيء لكتم صيحاته، موقنًا أنها ستسكن عما قريب.

أفرغ الخواجة الصندوق عن آخره ليلقي به خاويًا بعيدًا، ثم جلس متربعًا على بعد خطوات من المسحوق المنير كما لو أنه ينتظر شيئًا ما. ليعاود (عبدالمعطي) في تلك الأثناء للتفكير في هذا العدد من الأطفال المتقاربة العمر، من المستحيل أن يكونوا من صلبه هذا أمرًا مفروغ منه، فمن أي أبوبين تعيسين اختطفهم هذا المختل ياترى؟ إن هؤلاء الرضع من تلك المدينة، فمعاملته الفظة مع الرضع توحي أنه غير مهيأ على الإطلاق للإعتناء برضيع واحد أثناء سفره من دولته الملعونة أيًا كانت حتى يصل للأقصر، فما بالك بعشرة

أطفال؟.. لكن هل يمثل فارق إن كان هؤلاء الرضع من بلدته أم لا؟ هذا المختل يتجول بصندوق مكدس بالأرواح البريئة دون رقيب.. تذكر (عبدالمعطي) حينها كافة أقاربه وجيرانه الذين رزقهم الله بمولود بعد عناء ليأتي هذا المجنون ليحرمهم من هذه النعمة بتلك البساطة.

على أحدهم إنقاذ هؤلاء الرضع قبل أن يتزايد عدد الجثث النافقة بينهم، كاد (عبدالمعطي) أن يزعم أنه البطل المنتظر فمهما بلغ هذا الخواجة من قوة لن يضاهي فحولته اليافعه رغم سنواته العشرين. حيث نوى الوثوب من حائل التمثال الذي يحتمي خلفه لينهال على الخواجة ببضعة لكمات ليغيب عنه الوعي، ثم شرع يرسم كافة تحركاته التي تنتهي بنجدة هذه الأطفال وتمجيده من الآخرين كمنقذ، لكنه سرعان ما تراجع عن كافة تلك المخططات بمجرد أن أبصر الكلاب تندو من الضوء!

ظل (عبدالمعطي) يرتجف خلف التمثال ضامًا ركبتيه لصدره، بعدما قرر أن التالي ليس من المشاهد التي يستبيح رؤيتها على الملأ. فمهما بلغت شخصيته من عملية أو روحه من غلظة، فهو بالنهاية شاب لن يتحمل أبدًا ما يحدث بالخلفية.

دنا الكلبين من الخواجة يتشمماه كما لو أنهما يتأكدان من

أن وليمتهما جاهزة للافتراس، فلم يكن هذا الأخير يتأمل الأطفال كما ظن (عبدالمعطي)، بل كان يحرك شفتيه في وتيرة منتظمة كما لو أنه يهمس بعبارة واحدة مرارًا وتكرارًا. ثم عاود الكلبين الابتعاد عن الخواجة كما لو أنهما عبدين تلقيا الأوامر من سيدهما المعظم، وكانت أولى أوامره هي إراقة الدماء.. فخطا صوب الرضع وعلى ثغريهما شبح ابتسامة شرهة.

لم يشهد(عبدالمعطي) أي شيء، لكن الأصوات التي اغتصبت أذنه كانت كفيلة برسم ما يدور خلفه من سفك للأرواح بالتفاصيل. حاول أن يزدرد ريقه مع سماعه لصوت اللحم وهو يمزق بسهولة من جسد الرضع الهش، لكنه سرعان ما اكتشف جفاف حلقه بذات العجلة التي كان بها الكلبين يلوكان اللحم النيىء بين أنيابهما. ابتغى (عبدالمعطي) التمسك بأي شيء من حوله ليمده ببعض الأمان حتى لو كان مزيفًا لكنه لم يجد سوى الأرض والهواء على نقيض الكلبين الذين كان بين أنيابهما الكثير لينهشوا به. ضغط على أذنيه متمنيًا الصمم من خالقه لعله يكمن في فقد حاسة سمعه فضلًا، عن الإصغاء لصيحات الرضيع التي سرعان ما تحولت لبكاء يمزق طيات قلب الشيطان ذاته، لكن الكلبين وجدوا منه الفريسة الوحيدة المتحركة فراحوا يتناوبون على بتر أعضائه حتى راحت زمجراتهما المتشاجرة تعلو عن صوت

بكاء الرضيع ذاته. لم يعلم (عبدالمعطي) إن كانت حيلته في الضغط على أذنيه نجحت في صنع حائل يمنع وصول الأنين أم أن الرضيع قد بلغ رمقه الأخير بالفعل.

استمع لدوي بكاء طفل من جديد! هل هو ذات الرضيع يعاود صرخاته المتأوهة بعد أن أسكره الألم ليصمت لثوان؟ أم أنه رضيع آخر استيقظ من ميتته الصغرى ليهوي بميتته الكبرى؟ كان ل(عبدالمعطي) المقدرة على حسم هذا الشك بالتطلع للخلف ولو لثانية، لكنه أثر الجهل على إبصار تلك المذبحة.

ليعم الصمت أخيرًا بعد نصف ساعة كاملة يتخللها نحيب الرضع وبتر الأعضاء وتمزيق الأشلاء. اعتدل بجلسته سامحًا لعينه بمسح المكان من حوله، لينتابه الشعور الأهم لتلك الليلة وهو الندم! لو لم يساعد الخواجة في الولوج لطريق الكباش لكان فعلها على أي حال بعونه أو من دونه، لكنه على الأقل سيبرئ نفسه من تلك الدماء المسفوكة على مرأى ومسمع منه، وها هو يندم من جديد على معاودة مطالعة الأحداث.

نهض الخواجة أخيرًا عن جلسته حاملًا ساطورًا يدويًا، يكفي أن ترمق نصله البراق فحسب لتفطن مدى حدته ولتستسيغ الدماء الصدأة بفمك. فراح هذا الأخير يبتر

رؤوس الرضع عن أعناقهم الواهنة بضربة واحدة بسلاحه، فحتى خادميه من الضباع لم يفلتا من ذات المصير حيث كانت أحدث أوامر سيدهما هو الموت عن رضا عقب وجبتهما الأخيرة دون اعتراض أو حتى مجادلة.

لقد كانت مجزرة بكل ما تحمله الكلمة من معنى من أجساد مشوهة نصف متآكلة، فحتى أجساد الأطفال النافقة لم تنجو من بطش الكلبين، ليشاركوا أقرانهم نفس المصير من الافتراس كما لو أنه لم يكمن بالموت رحمة بعد. ناهيك عن الدماء القانية التي لازالت تسري من الجروح صانعة برك مستمرة في الاتساع، وبخلاف انتفاضات خفيفة لأرواح تعافر لأجل التشبث بأجسادها دون العلم أنها معركة خاسرة مهما بلغت محاولاتهم من جلد. لكن ما يثير الريبة هنا أن روؤس الرضع سليمة لم يمسها أي شائبة كما لو أن الكلبين لم يستلذا لحمها!

ثم انتصب الخواجة في وقفته دون مقدمات شارعًا في التلاوة بصوت عال هذه المرة بعربية فصحى أصح من معلمين اللغة ذاتها:

«باسمه هو وبه هو ومنه هو وإليه هو ولا غالب إلا هو، بسمه سيد جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وسمسمائيل الرومانيون والسمائيون والغماميون والمائيون

والأكنزيون إلا ما توكلتم وأجبتم وسمعتم وأطعتم لاسمه هو، انزلوا على عين هذا المكان واطردوا ما فيه من الخدام والأعوان وانسفوا التراب نسفًا وشقوا أرضه شقًا تبجيلا للمعظم خادم المعظم، بحق سما هوام آل آل آل يا هيوال هويال هيوال شلهبت شلهبت شلهبت غرماد غرماد فيلاء فيلاء فيلاء له العظمة والقدرة والسلطان عجل عجل، يا من لست من الملوك والسلاطين والأعوان، وأحضر لي وأجيب داعيك وبحق سيدي وسيدك وسيد الأجميعين الجديد، أجبني إيواس الوحا الوحا الساعة الساعة».

ليعم بعدها الصمت بالمكان كما لو أن العالم أجمع قد غرق في سكون مهيب، حتى أن (عبدالمعطي) ذاته قد كتم أنفاسه رهبة وتبجيلًا لهذا المشهد العجيب. فما جذب انتباهه هنا هو ذلك الاسم الذي نطقه الخواجة بآخر كلماته العجيبة، تلك بالرغم من أنه يوقن أنها عربية لكنه لم يفهم منها حرفًا.. وهو (إيواس).

بالطبع هو يدرك أنه إسم، فرغم تعليمه الشحيح الذي يكفيه لفك الخط كما يقال، لكن معاشرته للمرشدين السياحين المبعثرين بكل حدب وصوب بتلك المدينة التاريخية، أجبرته على اكتساب بعض المعلومات التي لم يتوقع يومًا أن تفيده في حياته العملية بجانب كسب المال. لقد سمع أكثر من مرة

بهذا الإسم والذي كان أحد حرس الإله (حورس)!.

رغم أن معابد (حورس) أو ذويه شحيحة بالأقصر إلا أن حكايات الآلهة الفرعونية تتبادلها ألسنة المرشدين السياحين كنوع من التباهي بالثقافة المصرية القديمة وإجبار السياح على البزخ في أجورهم.. وهكذا التقطتت أذن (عبدالمعطي) اسم (إيواس)، الذي انحصرت سيرته في تمرده على ولي أمره، طمعًا في تكوين ذروة من العابدين الخاضعين له، لمجرد إرضاء غروره بأنه يستحق ذات المجد الذي ينعم به سيده (حورس). فراح (إيواس) يغدق على البشر بالنعم بمقابل أضحيات لكنها لم تصل أبدًا لإراقة دماء بريئة بل كان أقصى فجوره ينحصر في الأضحية بالمواشي أو الدواب بعد تثمينهم.

ربما هنالك نهاية للأسطورة بأن (حورس) أو غيره من الآلهة قد استطاعوا وقف بطش (إيواس) أو ربما هي حكاية أخرى ترمز للتمرد مثل (ليليث) دون خاتمة محددة، فكل هذا غير مهم الآن مقارنة مع ما اتضح أمام بصيرة (عبدالمعطي).. لقد كان الخواجة يقوم بتحضير (إيواس) حارس (حورس) المتمرد، هذه المعلومة بديهية بل أضحت قديمة، لكن الجديد هنا أنه لم يستخدم الرُضع كقربان ل(إيواس) بل كان الكلبين هما القربان ولم يكن الرضع سوى

علف يثمنوا به بطونهم!.

لن يصل أبدًا خيال (عبدالمعطي) لمدى التطرف الذي قام به الخواجة منذ دقائق. فلم يكن الخواجة حديث العهد بالتعاويذ المتأصلة بالسحر الشيطاني الأسود، بل أنها لم تكن مرته الأولى التي يتبع بها الوحشية في تحضير التعاويذ، فقد كان دوما ما يتمادى بالأمر متخذًا مبدأ أنه كلما زاد العنف زادت حتمية نجاح التعويذة. حيث كان بمقدوره أن يطعم الضباع التي جلبها خدامه من الشياطين كما عاونوه في خطف هذه الرضع من قبل، مختلف أنواع الطيور أو الثدييات القابلة للإفتراس، أو جثث حديثة الموت على أقل تقدير، لكنه أثر الدماء البشرية الحية الأطهر على الأرض لإتمام تعويذته.

وبدون سابق إنذار راحت الدماء الملوثة لحدود المسحوق المنير في الجفاف كما لو أن الأرض الصخرية للممر تبتلعها، ثم شرعت الأجساد الممزقة والأعضاء المبتورة في كافة مراحل التحلل، بداية من تآكل الجلد سامحًا للأنسجة الدموية بالبروز للعيان، مرورًا بانبثاق العظام من اللحم الذي حال لونه للأسود ثم الرمادي الجاف، انتهاءًا بإحالة الجسد لمحض رماد ابتلعته الأرض كله عن بكرة أبيه دون ترك أي أطلال في أثره.. كل شي انعدم ماسحًا أثر تلك المذبحة

الشنيعة، إلا من شيء واحد!.. وهي الرؤوس!.

بدأت الرؤوس المبتورة تتدحرج كالكرات، مخالفة كافة القواعد الحيوية، كما لو أن الروح قد دبت بها على حين غرة، لتكون حلقة متلاصقة من الرؤوس منتظمة الترتيب بحيث تمثل خمسة رؤوس للرضع يليها رأس الكلب ثم الخمس رؤوس الأخرى لتختم الحلقة برأس الكلب الأخير، كانت الرؤوس متراصة بانتظام بحيث تطالع المحيط بها من كافة الجوانب، حيث كانت كافة الأجفان مفتوحة عن آخرها كاشفة عن فراغ موضع مقلاتهم، في حين أن جلود رؤوسهم حملت لمعة نضرة قد خمدت عنهم مع إحالاتهم لجثث نافقة وها هي تعود من جديد كما لم يحيوا من قبل.. ثم راحت شفاههم تتحرك بذات الثانية قائلين في نوع من الغضب:

- تكمن مهمتك في فك ثبات السيد، فلما طلبتني؟

كان الصوت موحدًا ذو كلمات مفهومة كما لو أنه يصدر من حنجرة شخص بالغ، لا من عشرة رؤوس لرضع لم تجيد بحياتها سوى الصياح بعد، وكلبين آخر ما يصدراه من صوت هو العويل والزمجرة.

ليجيبه الخواجة في سرعة بنوع من الإحترام الممتزج بالمذلة:

- طلبت عونك لتمدني بالعتاد.

- أطلعني بمرادك.

أمرته الرؤوس أو الكيان المهيمن على الرؤس في حدة أثارت قشعريرة بجسد (عبدالمعطي) وهو مجرد متابع مختلس للأحداث فأي أنواع من الهلع التي ضربت كيان الخواجة، ليجيب وهو يركع أرضًا في وضع أقرب للسجود:

- أحتاج السلطان في تملك حاشية السيد لإتمام مراسم الأستقبال.

صمت الصوت لما يقارب الدقيقة الكاملة، لم يعلم بها (عبدالمعطي) إن كان هو الأحمق الوحيد الذي لا يستطيع ترجمة كلامهما المفعم بالألغاز رغم حديثهما بالعربية، أم أنهما عن حق يناقشان أمور يعرفها كليهما مؤكدين أن ذاك ليس لقائهما الأول!.. فكم روحًا بريئة بددها هذا المختل من قبل ليكرر هذه المحادثة التي لا تتعدى الدقائق.

ليجيب الصوت على أفواه الرؤوس بعد تفكير:

- لك ما تريده، لكن إن استغللت هذا السلطان لغير مبتغانا الأساسي أو طلبت دعمي من جديد، فأنت على دراية بأن رأسك ستنضم لأركان تلك الحلقة.

لم ينطق الخواجة مجيبًا هذه المرة كما لو أن هذا التهديد أضحى قديمًا حد التعود أم أنه على ثقة من أنه سينجح بمهمته دون أي هفوات؟ وكالعادة تتكاثر الأسئلة بخصوص أي مهمة وأي عون يطلبه الخواجة؟

ثم بدأت حلقة الرؤوس في الالتفاف حول نفسها وهي ترتفع بالهواء، مكملة وصلة الخبال لتلك الليلة التي لم تعد تؤثر على (عبدالمعطي)، فمن يبصر رؤوس مبتورة عن أعناقها متحركة بل ومتكلمة كذلك، فأي شيء بعد ذلك يضحى تقليديًا، بل وساذجًا.

لكن ربما تتغير وجهه نظره تلك عندما شرعت الرؤوس في فتح أفواههم لينبثق منها ضوءٌ أصفرُ عظيم شمل ممر الكباش بأكمله، ولقرب (عبدالمعطي) من مصدر الضوء هيئ له أنه قام بتغطية الأقصر ذاتها.. ثم حلت الضيوف المنتظرة للمشهد أو الحاشية كما أطلق عليها الخواجة!

انتصب فوق كل تمثال -يحد طريق الكباش من الجانبين- ما هو ليس بشري وليس حيواني كذلك. ركبهم مثنية وظهورهم محنية وأذرعهم تلامس الأرض في وضع أقرب للقرود، جلدهم رمادي اللون ملتصق بعظامهم كما لو أنهم جثث قاموا من الموت حديثًا، جلدهم مليء بالقرح الدامية دلالة على نهم نجوا من محرقة بمعجزة ما. أما عن الوجه

فهو آية في القبح بلا منازع، من الأنياب البارزة عن الفكين.. كانوا مسوخًا بكل ما تحمله الكلمة من هول. يحملون ذات العيون الصفراء كالضوء المنتشر بالأرجاء. يطلقون خوارًا دلالة على الاستعداد لتلقي الأوامر والتي سيكون سفك الدماء جزءً منها لا محالة.

- هلمي أيتها الجحافل ثيثوا في الأرض فسادًا وأتوني بالكم الأضخم ليليق بالسيد المعظم.

كانت هذه الكلمات بمثابة إنذار الحرب، التي بمجرد أن أتمها الخواجة، هبت جميع الوحوش صارخة بنشوة، وهم يثبون من مواضعم بقمة التماثيل للأرض، التي لم يهبطوا عليها كالمخلوقات العادية، فعن أي كائنات طبيعية نتحدث؟ لقد حالت أجسادهم الصلبة لهواء تبخر بمجرد أن لامسوا الأرض أو أن الأرض ذاتها فقدت فزيائها الخاصة لتضحى على الصورة السائلة مبتلعة الوحوش قبل أن يمسوها. ثم تشكلت أجساد الوحوش لظل على الأرض، منطلقة كل منها مغادرًا حدود الضوء الأصفر النابع من الرؤوس الطافية كل منهم بطريقه العشوائية...

- ما الذي يحدث هنا؟.. ما سبب تلك الجلبة وهذا الضوء؟

لم تصدر هذه الكلمات من (عبدالمعطي) وبالطبع لم يتفوه بها الخواجة، فراح هذا الأول يعاود تفتيش المكان من حوله

بعينيه ليبصر صاحب النداء.. لقد كان صديقه الحارس!

على (عبدالمعطي) أن يفعل شيئًا ولكن ما هو؟ أيحذره من الدنو أكثر طالبًا إياه الفرار بحياته مادامت الفرصة سامحة لذلك؟ أم يستغله ككبش فداء لينشغل به الخواجة مستغلًا تلك الثغرة للفرار بحياته؟ الكثير من الأسئلة راودت عقل (عبدالمعطي) لكنه قد استغرق وقتًا بالتفكير أكثر من اللازم. وجب علينا تلمس العذر لمن أبصر كافة تلك الشنائع دفعة واحدة، حيث بالكاد عقله يقوم بالعمليات الحيوية التي تجعله لازال حيًا ويقاوم الإنغماس بسكتة دماغية وشيكة.. فالوحوش كانت أكثر عملية عنه.

حيث انقض أحد تلك المخلوقات على الحارس الذي حاول المقاومة بقبضته في بداية الأمر، لكنه لم يصب هدفه إلا مرات قلائل بالكاد شعر بها الوحش، في حين أن الغالبية العظمى من لكماته لم تضرب إلا الفراغ حتى راحت مقاومته تضمحل تدريجيًا، فأيقن (عبدالمعطي) أن صديقه قد حال لجثة هامدة قبل حتى أن يستوعب أنه كان يخطو نحو حتفه بقدميه.

هكذا وبكل بساطة الدنيا فقد الرجل حياته بخضم ثوان. لم يتوقف الكون أو تمتعض السماء أو حتى تبكي السحب. هنالك روح قد هتكت بيسر كما لو أن ليس له أحباء سيبكوه

وأصدقاء سيفتقدوه ونجل سيتيتم دون أوانه.. وكل ما فعله الوحش بعد أن أنهى ضحيته الأولى هو التحول لظل كأقرانه مفارقًا المكان ببراءة.

هنا تذكر (عبدالمعطي) شيئًا! فأسرع برفع رأسه للتمثال الذي يحتمي أسفله، أتسع جفنيه فزعًا حين أبصر المسخ المتكون على قمة التمثال يهب منقضًا عليه متصيدًا المواضع القاتلة. تراجع (عبدالمعطي) كرد فعل طبيعي ناجيًا بحياته، أصابه جرحًا على شفته العليا إثر مخالب الوحش، لكن ذلك الخيط الرفيع من الدماء يعتبر لا شيء مقارنة بحال الحارس. عليه الآن فعل أي شيء لينجو بحياته حتى لا ينتهي به المطاف ملثمًا الأرض بظهره وذلك الوحش يجثو على صدره متمتعًا بعشاؤه، لكن كيف يفعل هذا والوحش على أهبة الإستعداد للوثب صوب أي اتجاه قد يعدو خلاله؟ ثم ما أدراه إذا نجى من هذا الوحش لن ينقض عليه غيره أو العشرات أمثاله؟.

وكالعادة تأخر في اتخاذ قراره. حيث قرر الوحش حسم تردد (عبدالمعطي). فما كان منه سوى أن ينطق الشهادتين مغمض العينين، وهو يمد ذراعيه صوب رأسه مدافعًا عن وجهه كرد فعل عصبي لا تحكم له به، رغم علمه أن هذا الوحش سيخترق دفاعه في ثوان معدودة.

مرت تلك الثوان حتى بلغت الدقائق أو ربما ساعات ولم يحدث شيء! بل لم يشعر بأي شيء! هل مات بتلك البساطة؟ بالطبع لا، فحين شاهد الموت وهو يقتص بروح الحارس كان عفيًا محملًا بالألم نسبة إلى صرخاته، التي لم تنقطع إلا بعد إزهاق روحه أو تمزيق أحباله الصوتية أيهما أقرب. وبكافة الحالات الموت ليس بهذا اليسر بالأخص حين يضحى رسوله وحشًا لا يفطن إلا العنف والقسوة.. فما الذي حدث إذا؟

- أفق يا (عبدالمعطي) فأنا لن أؤذيك.

جائته حاسمة أمره ليعي أنه صوت الخواجة! هل مات بالفعل وهو في الجحيم الآن يعذب على يد هذا الشيطان الرجيم؟.. لكنه بالطبع لم يبلغ الجحيم بتلك السرعة فهو ليس بالآثم الغارق بالشهوات لينتهي به المطاف يعذب بالنار دون محاسبة على الأقل.. إذا هو لا زال حيًا!

فتح جفنيه على استحياء ليبصر الخواجة واقفًا أمامه وعن يساره الوحش الذي كاد يفتك به منذ دقائق جالسًا القرفصاء باحترام العبد لسيده الجبار وتفوح منه رائحة الحرق. لم يبصر (عبدالمعطي) إلا ابتسامة الخواجة نسبة إلى انحسار الضوء من حوله. لو كان بموقف مغاير لرأى تلك الإبتسامة ودودة كما ظن بها بالأمس، لكن بعد تلك الدماء التي لم تجف عن كفيه بعد، ستضحى هذه الإبتسامة

إبليسية لا تكمل بطياتها إلا الموت مهما تنكرت.

- لن أقتلك يا (عبدالمعطي) أتعلم لماذا؟ لأن عقب ما شهدت عليه سيكمن بالموت راحة لك، ولست أنا من يهب الآخرين الراحة ولو على حساب مصلحتي الشخصية.. فلك الأمان حتى يفتك بك الندم.

سأل الخواجة وأجاب نفسه كما لو أنه ليس بحاجة لسماع أي رأي آخر. لم تستوعب أذن (عبدالمعطي) أغلب جمله، لكنه على الأقل ضمن أنه لن يمسه بسوء. ولا بأس من أن يفقد الوعي لبضعة دقائق ليريح عقله الذي كاد ينفث الأبخرة علامة لتلفه، على أمل أن يفر من هذه المدينة وربما الأقصر بأكملها هو وذويه، وبالأخص خطيبته وابنة عمه التي يلقبها بأم (جودة) على اعتبار ما سيكون بالمستقبل لو ظل حيًا من الأساس.

وكان آخر ما أبصره هو تهاوي الرؤوس بالخلفية أرضًا متذكر الجاذبية التي تهاونت بمهمتها كثيرًا، لينقشع الضوء الأصفر عن المكان حتى ذلك النابع من المسحوق بالأرض. حاسمًا أن آخر ما شعر به (عبدالمعطي) لتلك الليل.. هو الجنون ذاته.

***

(٥)

يوم أخر في البريق

اليوم الدراسي الرابع بعام ٢٠٢٠
المدرسة بالقاهرة

الحادية عشر صباحا

«تم العثور على ثمانية قتلى مجهولي الهوية بفيلا بمنطقة هادئة بالمقطم، نتجت عن معركة أقرب لحرب العصابات. ومن تحاليل المعمل الجنائي تم العثور على أدلة مثل: حيوانات نافقة، وشموع سوداء، وعبائات ذات قلنسوات أجنبية التصنيع، وكتب لاتينية مجهولة المصدر، وآلات عزف غير محلية، وغيرها مما قررت الشرطة التستر عليها. اتضح أنهم يقومون بشعائر ديانة (الثيليما) وهي أحدى الديانات الوثنية المنتشرة بالقرن الرابع عشر والتي تم أحيائها من جديد عام ١٩٠٤م.

كما أقرت أرشيفات الشرطة أن تلك ليست الواقعة الأولى التي يكون الجناة بها تابعين لتلك الديانة سواء كانوا من المصريين أو الأجانب. فهذه بمثابة المذبحة الخامسة في أقل من عامين لذات الجماعة.

لم تحدد الجهات المسؤولة إن كانت الجماعة هي من تقضي على بعضها البعض، أم أن هنالك من يتربص لهذه الديانة ويحاول اجتثاثها من مصر، حتى لو بالقتل وإراقة الدماء. لكن التقارير المفيدة بوجود عينات دم مجهولة بمواقع الحوادث وآثار العنف والشجار تؤكد أن هنالك طرف ثاني بالأمر.

هل ستتمكن قوات الشرطة من القبض على الجناة أم سيظل سفك الدماء مستمرًا حتى يطول الأبرياء من العامة؟

تحت

إشراف رئيس التحرير

عبدالنبي الجعار»

أغلقت أستاذة (يسرا) هاتفها المحمول بعدما أتمت قراءة هذا الخبر الموجز حين لفت عنوانه اهتمامها، بإحدى المواقع الإخبارية التي تتابع بها أخبار الفن أو بالأخص أخبار المسرح بصفتها معلمة لأنشطة المسرح بالمدرسة ومخرجة مسرحية لبعض فرق الهواة خارج أسوارها. عزمت على تفرغ طاقتها في إعداد كوبٍ من الشاي، فخطت صوب كانتين (جودة) لتبتاع واحدًا.

تناست المسرحية التي تجهز لعرضها بالقريب العاجل

والتي تستنزف من تفكيرها الكثير لمدى أهمية هذه الخطوة بمسيرتها المهنية، صابةً كل تركيزها بأمر تلك المقالة التي قرأتها. ليس لأن أحد أقاربها تابع لتلك الديانة أو حتى يقيم بذات المنطقة التي وقع بها الحادث، وهي تخشى أن يصيبهم أي مكروه، بل المشكلة تكمن في ذكر المقال ل(مذبحة جماعية).

أن تقابل أحدًا نجى من مذبحة جماعية أو شهد عليها، لهي فرصة ضعيفة تكاد تصل لحد الإستحالة، لكن والد جد (يسرا) قد فعل. وتناقل أجدادها بمختلف الأجيال تلك الحكاية التي لا تندرج أبدًا أسفل بنود الحكايات الشعبية أو الأساطير المحلية، بل هي حكاية حقيقة عن بكرة أبيها.

راحت (يسرا) تتجول بحدائق المدرسة بكوب الشاي خاصتها على وعد بإعادة كوبه الزجاجي بعد الانتهاء منه، حيث كانت (يسرا) من هؤلاء المؤمنين دومًا بقدسية المشروبات الساخنة التي لا تقدم إلا بأكواب زجاجية، وأن الأكواب البلاستيكية والورقية تفقدها ألمعيتها بل ونكهتها كذلك. مستغلةً خلو المكان إلا من بعض العمال الأقلاء، أثناء احتجاز الطلاب بفصولهم الدراسية.

احتست بضع رشفاتٍ، متذكرةً حكايات جدها التي تناولها عن والده، عن مواجهته للموت وجهًا لوجه، والتي لم تمر

مرور الكرام بالتأكيد، حيث فقد في إثرها الكثير وحيَيَ في أعقابها بعقدة أزلية.

لم تكن الحكاية بالجديدة أو المبتكرة، فقد كانت لا تتعدى بعض مهربي الآثار. بالفعل إنه ليس بالتاريخ المشرف الذي يقصه الجد على إبنه ثم حفيده من بعده. إنها تلك الأجزاء من الماضي التي نحاول طمسها مدعين أنها لم تكن من الأساس، لكن تلك الذكرى تختلف.

تذكرت (يسرا) جدها وهو يصف موقع العملية الذي كان مهجورًا صحراويًا بعيدًا عن الحضر كالمعتاد. بل شعرت بالسخف حين استمعت لتعمق جدها في وصف ظلمة الليل المطوقة للمكان في رهبة، وصوت السكون المميت الذي لا يعيبه إلا أصوات حشرات العرسوف الصاخبة، وملابس الفرقتين المشتركتين في عملية البيع سواء جلابيب مهترئة لم يعد مرتديها يبالوا بنفض الأتربة عنها حتى أضحى مستحيلًا التيقن إن كانت تلك البقع على الملابس غبارًا حديثًا أم قذارة متجلطة. وبوسط كل هذا يوجد فستان أنيق من أفخم أنواع القطن المصري والحرير الأجنبي، يناسب حفلات الأثرياء أو احتساء الشاي مع الخديوي (عباس حلمي) –حاكم تلك الحقبة- ذاته لا الانغماس في الإتجار بالآثار.

أغلب الرجال الحاضرين لتلك الصفقة لم يعلموا أسماء مرؤسيهما، كنوع من الاحتياطات الأمنية، حيث أنهما في وتيرة دائمة من تعيين الرجال الجدد وفصل الأسبقين، لتجديد الدم الداخلي حتى لا تستطيع أعين الحكومة الإيقاع بهم أو زرع أي نوع من الجواسيس بينهم.

فكان الأول هو (النباش) نسبة لعمله الذي لا يجيد غيره تقريبًا، وهو الكشف عن أماكن المقابر بكافة أرجاء الصعيد، ونبشها لكشف ما بفحواها من تراث فرعوني عظيم، يحولها إلى أوراق مالية وعملات نقدية فيما بعد، حتى قرر بنهاية المطاف تحويل اسمه بالسجل المدني والأوراق الحكومية إلى (النباش) متخليًا عن اسمه الحقيقي ليصبح هذا اسمه ولقب مهنته بذات الوقت. وكانت الثانية هي (أمينة هانم)، بالطبع لم يكن هذا اسمها الحقيقي ولم تكن هانمًا من الأساس، فهذه الألقاب لا تكتسب بتلك السهولة، لكنه تيمنًا بوالدة الخديوي الحالي الحاكم للبلاد وزوجة الخديوي (توفيق)، وتتمنى أن تساويها الجاه والسلطان يومًا ما، فلذلك لم تفعل شيئًا منذ نعومة أظافرها إلا تكوين العلاقات وإقامة الصفقات التي تكسبها ود علية القوم، فراحت تهرب الأثار لمشتهيها من الأتراك والإنجليز لتدعي ولو كذبًا أنها أمست من صفوتهم، بل وصل بها التذلل لتهدي إحدى التماثيل الأصلية لوزير عثماني دون مقابل على رجاء منها بأن يقربها

للقصر الملكي.

(النباش) يعثر على المقابر، والهانم تجد الطامعين فيها. (النباش) لديه حيلة في الاستحواذ على أي مقبرة حتى لو لم يجدها هو، وللهانم علاقاتها التي لديهم الاستعداد لشراء أي كمية بأي وقت من تلك الحضارة المهدرة.. لكل منهما مجاله البارع فيه، فيستحيل على أيًا منهما الإعتماد على نفسه منفردًا دون معاونة الآخر.

كثرت الصفقات بينهما حتى تضاربت الإشاعات. فكان البعض يقول أن (النباش) قد عرض الزواج على الهانم، لكنها رفضته بعد أن صفعته في سابقة لم ولن تتكرر. كما يزعموا أن (أمينة) هانم حاولت ذات مرة التنقيب عن مقبرة بنفسها، لكنها لم تتحصن كما يفعل (النباش) دومًا، فكانت فريسة سهلة للعنة الفراعنة، التي صنعت بينها وبين (النباش) رابط لا يمكن حله بألا تعمل مع غيره، كنوع من الإستهزاء بجهلها. والكثير من الحكايات التي تمس عرض الإثنين.

كانت الصفقة كغيرها، تجمُع مدجج بالسلاح من كلا الطرفين، (النباش) يتقدم رجاله، والهانم تتوسط خاصتها كنوع من الحماية. فنظر (النباش) حوله ثم قال بسخرية:

- كان بإمكاننا توفير هذا الاستعراض للسلاح وعمل صفقتنا منفردين دون عزول.

تأفأفت (أمينة) ثم قالت بعربية غير سليمة، مزعومة أشبه بلكنة الأجانب، بعد أن غمغمت ببعض السبات التركية:

- هل سنتم صفقتنا أم ستظل تندب حظك هكذا؟.. لدي موعد مع زوجة أحد ال(لوردات) بعد سويعات.

كانت الصفقة تضمن ثلاثة أشياء، بداية من المومياء بتابوتها، مرورًا بالتماثيل الصغيرة والحلي الذهبية المزينة للمقبرة، انتهاءً بالمساحيق والمحاليل وورق البردي التي تضاف للمقابر ببعض الأحيان.

تقدم صبي من رجال (النباش) بحقيبة قماشية بالية تحوي قطعة من تماثيل المقبرة، لا تزيد حجمها عن قبضة اليد. في حين يقابله من الناحية الأخرى أحد رجال (أمينة) هانم بحقيبة جلدية أنيقة، تحوي بداخلها رزم من الأوراق النقدية، التي ستظفر بأضعافها عقب بيع القطع الأثرية بطريقتها للكبار.. لكل من الطرفين خبيره الذي يتيقن أحدهما من صحة الأموال وعدم تزويها، والآخر يثبت عتاقة قطعة الآثار تلك بلا تزييف. إنه روتين العمل الموحد مهما بلغت الثقة بين الطرفين ومهما كثرت العمليات بينهما. أم ربما هذا الحرص المفروط والمهنية الزائدة يؤكدان بعضًا من الإشاعات؟

وصلت الحقيبة الجلدية ليد (النباش) وبلغت القماشة

لقبضة (أمينة) هانم الرقيقة، ففتح كل منهما حقيبته ليطالع ما بها والذي كان عكس ما توهموه تمامًا!

صرخت الهانم في هلع وهي تلقي بالحقيبة أرضًا ليتدحرج منها السبب ليراه الجميع، والذي كان رأس كلب مبتورة مسلوخة، يبرق تشوهها على ضوء المصابيح الزيتية التي يحملها الرجال:

- أجننت أيها الرعديد؟ أهذا هو ردك على رفضي لعرضك الوضيع؟

كادت الدهشة أن تتملك (النباش) بدوره من هذا الرأس القبيح القابع في حقيبته بدلًا من تمثاله، لكن سرعان ما استحالت لغضب حين أبصر فحو الحقيبة التي سلمته إياها. فقلبها رأسًا على عقب لتهوي محتوياتها أرضًا في إهمال وهو يصيح في غضب:

- أي مكر هذا الذي تدبرينه يا امرأة؟

كانت أوراق نقدية كما هو متوقع أن تحويه، لكن ما يعكر صفوها أنها كانت ممزقة ومتجعدة دون تنظيم أو هندمتها برزم محترمة، بل كان التصور الأقرب لها أن هنالك حيوان ما قد حاول أكل تلك الأموال، وبدأ بالفعل في مضغها بين أسنانه الواضحة أثرها، لكنه لم يروقه طعمها فبصقها بلعابه

قبل أن يزدردها.

فقال (النباش) بحزم أكثر وهو يلقي الحقيبة صوبها في قلة احترام واضحة:

- لا تظني إن لعرضي الزواج عليك إني أهيم بك غرامًا، وسأقبل بتلك الإهانة.. لن أخرج من هنا إلا وبحوذتي تمثالي وأموالي معًا.

يبدو أن إحدى الأقاويل كانت صحيحة على أي حال! فكانت لحالة الثورة التي تملكتهما دورًا في إجبار عقدة لسانيهما على الإنحلال عما حاولا كتمه عن الرجال. فوجه كلًا من الطرفين أسلحتم النارية صوب الآخر، وسط شجار كلامي حاد بين (النباش) و(أمينة) هانم لن تحمد عقباه. فمشهد الأعيرة النارية المتطايرة التي يتساقط على إثرها القتلى حاضر في مخيلة الجميع. لكن ما ذنب (عباس) و(بهي) من كل هذا؟

(عباس) هو الإبن العاق في عائلته وبين كافة نسائبه. عربيدًا من الطراز الأول، آثمًا يمكنك حصر الكبائر التي لم يرتكبها -حتى الأن- كالقتل وما يعادله على أصابع اليد الواحدة، أرعنًا دون أن يضع لشخص حساب أو مقام. ليس لديه عملٌ محدد فأي شيء يمكن أن يفعله مستغلًا عضلاته المفتولة ومنكبيه العريضين يعد بالنسبة إليه عملًا يستحق

عليه الأجر. لكن رغم كل هذا فهو محبٌ لعائلته. تشاجر مع أقاربه وربما أبيه ذاته أكثر من عدة مرات بسبب تجرعه للخمر وهو بالأصل سكيرًا عن جدارة، لكن لديه الإستعداد لتصفية دماء أيًا من حاول التعدي على أسرته الصغيرة بما لا يستحسنه.. هو لم يقتل من قبل لكن من زعم أنه لا يقدر على الأمر؟

حتى تقدم (بهي) لخطبة شقيقته الصغرى. سعدت به الأسرة بأكملها حتى (عباس) ذاته حين أبصر البهجة لأول مرة بمقلتي شقيقته التعسة. وبالطبع لن يقف مكتوف الأيدي حين كادت الزيجة تنفض بسبب بعض العجز في ماليات الشاب، لن يسمح بكسر فؤاد شقيقته الحبيبة ولو سرق الخزانة الملكية ذاتها لنجاح عقد قرانها.

سمع عن حاجة (النباش) لبعض الرجال الجدد في إحدى عمليات الحفر التي بالأغلب لا تدوم أكثر من شهر، فتوسط (عباس) عن (بهي). باعتباره محل ثقة لدى (النباش) أهلهته لرتبة عامل أساسي لا مؤقت كغيره.. وبمرتب الإثنين معًا عقب انتهاء الحفر والبيع، ستنعقد الزيجة بنجاح.

وافق (بهي) على مضد على عرض (عباس) بهذا العمل المشبوه لحوجته الشديدة للمال، خاصة بعد أن طمأنه هذا الأخير أن للنباش ألاعيبه الخاصة التي تضمن لهم السلامة

عن قبضة الشرطة، بل في بعض الأحيان يكون الحفر تحت حراسة أعين الحكومة ذاتهم.. لكن ما لم يوضع بالحسبان يومًا أن ينبع الخطر من الداخل لا الخارج!

ليقتل (النباش) الهانم أو لترقص هي على جثمانه، ف(عباس) لا يعبأ لأي منهما. عليه الآن إنقاذ الفتى من هذه المعضلة التي ورطه بها، وليذهب الجميع للجحيم بعدها. تأكد من أن مسدسه محشو بالذخيرة عن آخره وأن بجيب جلبابه علبة ثقاب حديثة، ثم قبض على ساعد (بهي) المرتجف من انقلاب الأحداث المفاجئ، وراحا يتقهقرا عن بؤرة الضوء التي تصنعها المصابيحُ الزيتية للرجال، بعد أن وضع سبابته على شفتيه بعلامة الصمت. حتى ابتلعهما ظلام الصحراء دون أن يلحظهما أحدًا أو كأنهما ضبابٌ لم يوجد من الاساس.

***

بعد ربع ساعة من الركض المتواصل، بلغتهم أصوات تبادل إطلاق الأعيرة النارية. كان الأمر متوقعًا فلم يتعجب (عباس) منه، لكن ما كاد يفقد (بهي) النطق من فرط التوجس هو أنهما قد نجيا من هذه النهاية المحتومة بالوقت المناسب. في حين أن خبرة (عباس) بمثل تلك المواقف تحتم عليه اليقين أن الخطر لم يزُل بعد وأنهما لازالا عرضة

للموت بأي لحظة، لذا وجب عليهم استئناف العدو متحاملين على أنفاسهما المضطربة.

أمسك (عباس) بتلابيب (بهي) حاثًا إياه على الإسراع فلم يحن وقت الراحة بعد، مستعينًا بأعواد الثقاب التي تكفل له استبيان طريقهما دون أن يتخبطا بالموجودات. فيمكنه تمييز الصخور المتفاوتة بالصحراء ونباتات الصبار المنتصبة بشموخ بين العتمة كما لو أنها تراقب هروبهم في صمت.

كانت هنالك دزائن من الإحتمالات تعفيهما عن الهدو على أرض الصحراء المرهقة، كأن ينتصر (النباش) في معركته على الهانم فيعود إليهم (عباس) بحجة مطاردته لبعض الفارين ومشاركتهم فرحة النصر، أو أن يسرق إحدى عربات الحنطور لأي من الطرفين مختصرين الكثير من الترجل، أو.. أو.. أو.. الكثير من الخطط التي ربما أجسر على تنفيذ إحداها أو المكوث بالمعركة دون فرار من البداية، إن كان وحيدًا. لكنه هذه المرة مسؤولًا عن شخص، وليس أي شخص. فناهيك أنه شاب أتم عقده الثاني منذ سنوات قلائل ليس بحوزته أي خبرة في التعامل مع هذه المخاطر المسفكة للدماء، فهو نسيبه المستقبلي الذي سيحميه بحياته ذاتها لو كلفه الأمر.

لقد حضر (عباس) لهذا المكان في أكثر من مرة لقضاء

الكثير من المصالح سواء مع (النباش) أو بدونه، فلذلك هو الخير دليل الذي سيقود (بهي) لبر الأمان. يتبعه (بهي) كالهرة المرتعبة من الضلال عن ظل أمها الحبيبة، متشبثًا بما يحمله بين يديه من...

انتفض الرجلين كما لو أن صاعقة من السماء قد ضربت بكيانهما عندما سمعا الصوت أقرب من المتوقع! لم يكن صوت تبادل إطلاق النار، فهذا الصوت رغم عدم انقطاعه موحيًا باندلاع حرب أهلية على أقل تقدير، لكنه يخفت مع الوقت في دلالة على بعدهم عن دائرة الخطر. لكن ما سمعاه هو ما كان يخشاه (عباس) أكثر من فتك الرصاصات ذاته.. لقد كان صوت خوار حيوان بري ما!

كان قريبًا لدرجة استحالة هروبهما، فلم يكن أمام (عباس) سوى المواجهة الجبرية. أخرج بيمناه مسدسه من بين طيات ملابسه موجهًا إياه صوب الفراغ وهو يتلفت حوله، متشبثًا بيسراه بعود الثقاب ترقبًا لأي حركة غادرة. لم يستخدم (عباس) سلاحًا ناريًا يومًا، لما ألحقته الخمور التي يدمن على تعاطيها من آثارٍ سلبية على جهازه العصبي، فتحيل يده لدجاجة مرتعشة كلما حاول التصويب.. هل سيعاونه القدر حين يحتسم الأمر على رصاصاته، لإنقاذ روحه وسعادة أخته الماثلة في (بهي) من خطر محتم؟ أم سيخيب مبتغاه

كالعادة؟

تذكر أن تلك الحيوانات لا تتحرك إلا في قطعان، ولا تصدر خوارها إلا بمواسم التزاوج أو إعلان عثورهم على فريسة تصلح للإفتراس! وبالطبع لن تترك الحيوانات أرض الله الفسيحة لتتزاوج بالقرب من مهربه، -رغم تمنيه لهذا الأمر الذي سيكون أخف وطئة عليهما- فلم يعد هنالك خيارات سوى الثاني. عسى أن تعينه رصاصات مسدسة الأربعة الصغير على هذا البلاء.

حتى أبصراه أخيرًا! يعدو صوبهما مقلقًا لسكينة الرمال من أسفله، فأطلق (عباس) عدة رصاصات دون تفكير في ماهية هذا الشيء إن كان ذئبًا أم كلبًا أم خرتيتًا حتى، المهم أنه دابة تسير على أربع، نجح في إحالتها لجثة تفترش الرمال.. لكنه لم يعرف هذا الحيوان. لم تكن أيًا من هذا بل لم يكن حيوانًا من الأساس.

يعلم (عباس) أن الخوار سيجلب الكثيرين من أمثاله، وعليه ترك مسرح الجريمة قبل أن يحضر ذويه مطالبين بالثأر.

كاد الرجلان أن يتحركا لكنهما لاحظا شيئًا آخر من جديد! كان رجلًا يرتدي جلبابًا فضفاضًا هذه المرة! كيف لم يلحظه (عباس) من قبل وهو لم يتوقف عن الإلتفات حوله لثانية،

ليتيقن أن لا أحدًا يتبعهما؟ الطريق ممتدٌ لا تشوبه تعرجات يصعب على إثرها إبصار ما هو بعيد. بجانب أن الصبار والصخور المجاورة ليست بهذه الضخامة لتطمس خلفها جسد رجلٍ بالغ دون أن يكشفه. كما لو أن هذا الرجل بزغ من قلب الظلام ذاته أو أن الأرض انشقت لتلفظه.

كان الرجل أعزلًا، يسير من الناحية المقابلة لمعركة (النباش) والهانم أي أنه ليس منهم، لكنه في ذات الوقت متجهًا صوبهم! هل يمكن أن يمثل هذا الرجل ذو الجسد القريب للبدانة دعمًا لأي من الفريقين؟ لم يعبأ (عباس) حتى لو كان هذا الرجل هو المومياء التي أخرجها من مقبرتها بيديه منذ أسبوع، وقد قام ليتجول بعض الوقت حتى تختم المعركة، المهم ألا يتعرض لهما. فصوب (عباس) سلاحه ناحية الرجل مطالبًا إياه بفعل ما أتى من أجله هنا بعيدًا عنهما، فهما لا ينتويان أي مشاكل.

- ومن زعم أنى أشاركك الرجاء؟

نطقها الرجل ليزداد كل شيء فجأة، ازدادت ارتجافة (بهي) الذي بلل سرواله بالفعل، وازدادت قبضة (عباس) إحكامًا على مسدسه الذي كاد ينفلت من بين أنامله لغرابة الجملة الأخيرة. ف(عباس) أقرب من الغوريلا عن البشر، في ضخامته وهيبته، فكيف أقدم هذا الضئيل على هذه الثقة

في تحديه؟ إما أن هذا الرجل يكمن في جعبته ما قد يحيل (عباس) لسعدان عديم الحيلة أو أنه أخرق، وبكلتا الحالتين عليه الإستعداد لأي حركة غادرة.

- لقد راقت لي حنكتك يا (عباس)، حين آثرت نفسك على رب عملك، كانت بنيتي تركككما تنعما بحياتكما التعسة جزاءا على طمعكما.

لم يمنح الرجل ل(عباس) أية فرصة ليعبر عن اندهاشه من معرفته لهذه الأحداث كما لو كان معهما، وفطنته لاسمه من الأساس. حيث تطلع الرجل خلفه في سرعة، بالتحديد صوب الكائن الذي قتله (عباس) منذ دقائق ليعاود الغريب الحديث إليهما وبوجهه تعابير الأسى، لم يتبينها أحدهما لظلمة المكان وهو يستطرد:

- لكنك كلفتني أحد أرواح أتباعي ، ووجب علي الثأر له.

حين استمع (عباس) لهذه الكلمات أيقن أن هذا الغريب مختل، فهب يضغط على زناد مسدسه ليفاجأ بصوت تكاتٍ مكتومة دون أن يصحبها صوت الطلقات النارية! لقد أهدر رصاصاته الشحيحة على ضحيته الأولى. ربما تملكه الخوف حينها فراح يطلق النار بلا حساب، أو لتيقنه المسبق أنه لن يحرز هدفه في مرته الأولى، فلو لم تصيبه رصاصته الأولى ستفعلها الثانية وإذا حادت الثانية ستتمها الثالثة.. لقد أصاب

الوحش في مقتل بالفعل ولم يخونه القدر، وليته فعل!

- التشكل في أجساد مادية تخسف بقدرة التابع الأرض، لتضحى مجرد رصاصات ضعيفة قاتلة لهم مثلنا.

لينبثق من خلف الغريب كيانين لم يتبينهما (عباس) ليس لابتعادهما عن بؤرة الضوء. فقد ظهرت هذه الكائنات من العدم هي الأخرى، ثم تقف في وضعية الإستعداد للإنقاض، لتجهض أي أفكار بالهروب حاولت النمو بذهنه. بل لم يعرف إن كانت تلك الكيانات بشر قصار أم حيوانات تقف على رجولها الخلفية كالقرود، لكن قبحهم كان واضحًا مما أكد له أنها مسوخ لا تمت لأي من الطرفين بصلة.

- سأترك لكما حرية الإختيار في المتطوع بجلب الإكسير لي والتضحية بروحه تعويضًا لما تسببتما فيه من خسارة.

عن أي إكسير يتحدث هذا المختل؟ لم يتردد هذا السؤال بعقل (عباس) كثيرًا حتى أبصر الكيس القماشي الذي يقبض عليه (بهي) بقوة كما لو أن روحه به. لقد نسى (عباس) من ذروة الأحداث أن (بهي) كان مكلفًا من (النباش) بحمل تلك الحقيبة التي تحتوي على بعضًا من السوائل والمساحيق العجيبة التي توضع بالمقابر الفرعونية، لعرضها على الهانم. لم لم يلقي به (بهي) بعيدًا؟ لأن ببساطة ما من أحد أمره بذلك، فقد حال (بهي) لعبد مسير غير قادر على إتخاذ قرار،

متشبثًا بالحقيبة كل تلك المسافة من فرط الخوف.

إن كان هذا مبتغى الغريب من البداية، ليأخذه دون جدل وليتركهما في حالهما، فكاد (عباس) أن يتفاوض معه لكن الغريب بادر:

- هلم يا صديقي في اتخاذ قرارك دون مماطلات، فتأثير مزحتي الصغيرة على مرؤوسك كادت أن تخمد لهيبها ولدي عمل لأسويه حينها.

أن يكون هذا الغريب هو السبب الرئيسي في هذه الحرب القائمة بالخلفية بات أمرًا بديهيًا لا يحتاج للكثير من الفطنة، رغم غرابة الأمر، لكن ما الذي يطلبه هذا الشيطان هنا؟ روحًا تعذب مقابل أخرى تنجو؟ مع الرجل عونه من الحيوانات المفترسة المحيلة لفكرة المقاومة بالعراك أمرًا محسوم الكفة، لذلك عليه التفكير بطريقة أخرى.

التفت صوب (بهي) بكامل جسده الذي كان قد شاب شعره تقريبًا من الهول الذي يعاصره دون أن يكون له ناقة أو جمل به، فمن كان يتخيل أن مشاعره التي كنها بصدق لفتاة ستهوي به بهذه الفجوة الجحيمية.. ليتحدث (عباس) بعملية وهو يتناول الحقيبة القماشية من ساعد (بهي) ويناوله بدلًا عنه مسدسه عديم الفائدة، واصفًا إياه الطريق الذي عليه السير خلاله حتى يصل للعمران أو الطريق العمومي، مضيفًا:

- قد تكون هذه الطبنجة عديمة الفائدة دون ذخيرتها، لكن شكلها الكاذب قد يكفل لك الأمان من أي قاطع طريق قد يتعرض لك.. أخبر أي شخص تقابله أنك من طرفي، فلي جمائل على الكثير بحسب ما أتذكر، سيتناوبون على تسديدها حتي بلوغك دارك. أخبر أختي في فرحكما أن الذئاب فتكت بي دون أي تفاصيل زائدة.

مع الكثير من التوصيات والإقسام بكافة أيمانات العالم أن يراعي الله في أخته وأن يقدر تضحيته تلك بألا يجلبوا سيرته إلا بالحسنة، بعدما أيقن أنه لا مفر من تلك المعضلة إلا الطاعة. فدوي إطلاق النار من خلفهما والمسوخ أمامها، فلو نجيا من إحداها ستنهي الثانية أجلهما.

لقد قام بالكثير من البداية لإنقاذ الفتى ولن يتهاون الآن، كي تصبح البهية للبهي بآخر الحكاية ببساطة.. قد يكون (عباس) تجسيدًا للخطيئة على قدمين، لكنه لم يكن بالمتخاذل أو النذل يومًا، وسيحافظ على هذه السمعة التى قضى حياته بأكملها يعافر لأجلها حتى مماته.. ثم أليست الضحايا تسقط بإسم الحب كما يقال؟ فلا بأس أن يطبق تلك المقولة على ذاته.

لم يلبث (عباس) التقدم حتى وجد شيئًا -يجهله- يعرقله ليهوي أرضًا. بالطبع لم تكن صخرة لم يلحظها أو نتوء

بالأرض غفل عنه، ف(عباس) أضخم وأنضج من أن يسقط بهذا الشكل المهين، فلا بد من أن يكون المسبب هو..

- ما الذي تفعله يا (بهي)؟

صرخ بها (عباس) حين انتشل (بهي) الحقيبة القماشية منه، وركض مسرعًا صوب الغريب قبل أن ينهض (عباس) من سقطته أو يدري ما أصابه وهو يهمس –ولأول مرة منذ بداية تلك الليلة- بكلمات متحشرجة من فرط النحيب الداخلي:

- أخبر شقيقتك إنني كنت أحبها بصدق

لقد انطفأ عود الثقاب بالرمال حين سقط مع (عباس) ولحسن الحظ إنه فعل. فرغم بأسه ورباطة جأشه، لكنه لن يتحمل أبدًا أن يبصر عزيزًا ينتهك حيًا، والأدهى أنه ليس مكتوف اليدين بل حر الوثاق قادر على أي شيء، ولا شيء مما يقدر عليه سيفيده بذات الوقت. استطاع فحسب أن يبصر ظله وهو يناول ظل الغريب الكيس القماشي لتنهال عليه ظلال المسوخ ممزقة ظله الهزيل، بمخالبها وأنيابها.

من قال أن الفريسة تصرخ عند افتراسها؟ فالأمر يحدث أسرع مما يمنح الفريسة فرصةً لإدراك الأمر حتى، فبلمح البصر تعود أرواحهم لخالقها ويختفي البريق عن أجسادهم..

لم يعلم (عباس) إن كان هذا الظن صحيحًا أم إن (بهي) صرخ واستنجد به بالفعل، لكن الظلام طمس صيحاته كما أخفى عنه الرؤية، أو ربما علت توسلات (بهي) بالرحمة حتى بلغت عنان السماء ومزقت طيات قلوب أسرته بمنازلهم، لكن فجور الفاجعة أتلفت حواس (عباس) الذي خانه جسده عن الحركة.. وكما بدأ الأمر في ثانية انتهى في جزء من الثانية.

أبصر الغريب يدنو صوبه حتى أصبح يجاوره تمامًا، ليحني عينيه صوب (عباس)، التي كانت تبرق بوميض أصفر، وهو يقول:

- أتعلم أن قانون معلمي الأشهر هو أن تفعل ما تشاء وقتما تريد؟ ولكني أنصحك بالرحيل عن هنا، فالتالي قد يطول بطشه الجميع، حتى أنا.

أراد (عباس) أن ينقض على حلق الغريب يطوقه بيده حتى يحول لون جسده -الذي لا يراه بفعل الظلام- للأزرق أو الأخضر حتى، أن يلكمه بجبهته حتى تنقلب قسمات وجهه رأسًا على عقب دون أن تسطيع الشرطة تحديد إن كانت تلك ملامح رجلٍ أم خنزير إن لم يكن كذلك بالفعل، أن يسدد مختلف الضربات إليه حتى يحيل جسده لمجرد وعاء جلدي يحتوي على رميم عظام مهشمة.. لكنه لم يفعل أيًا من هذا بعد أن قدر عدم جدوى الأمر ناهيك عن ضعف موقفه من

البداية. فمضى الغريب صوب صوت تداول الرصاصات، في حين أن أعداد المسوخ من حوله تتزايد من العدم!.

***

أخرج صوت جرس الفسحة المدرسية الأستاذة (يسرا) عن شرودها، لتفطن أنها ظلت تتجول بالمدرسة إيابا وذهابًا ما يقارب الساعتين أو أكثر سابحةً بملكوتها الخاص، وأن كوب الشاي القابع بين أناملها قد فرغ منه سائله حتى الجفاف. أثرت المعاودة لغرفة معلمين الخدمات لتريح قدميها المنهكتين، عسى أن تعثر على راحة البال بين الصحبة لإبعاد تلك الذكريات الدامية عن مخيلتها التي نقلتها عن جدها الأكبر (عباس).. لكن ماذا تفعل بالكوب الزجاجي الذي تمسكه؟

تلفتت (يسرا) حولها لثوان لتجد الطلاب قد غزوا أروقة المدرسة، فنادت أقربهم إليها المتوجه صوب كشك (جودة) مستمحية عذرًا أن يعيد له هذا الكوب في طريقه.. ولم يكن هذا الطالب إلا (علاء).

فكر هذا الأخير في استغلال الفرصة والإستفسار من المعلمة بخصوص المبنى المهجور، بعدما هدم (جودة) كل نظرياته في محض دقائق، بسبب قلة تعاونه وكنفه المزيد الأسرار. فقرر (علاء) التعديل من نهجه وسؤال أي شخص

يتعثر به في طريقه عن المبنى كلما سمحت الفرصة، معلمًا كان أو حتى طالبًا. رغم أنه موقن أن أي هراء سيتفوه به الطلاب بشأن المبنى لن يتعدى حد الإشاعات والمزاح، ولكن أليست الشائعات تولد من رحم الحقيقة أحيانا؟!

لم يكتفِ (علاء) بإجابة أن هنالك حادث نشب بالمبنى على إدعاء (جودة)، لأنها لو كانت الحقيقة فلم لا يتفق عليها الجميع؟ فإجابات المعلمين أو العمال تتراوح بين الجهل وتلك الإجابة المرددين لها كالببغاوات الماثلة في أنه آيل للسقوط، دون أي تفاصيل أخرى.

فاتخذ (علاء) من العشوائية بالسؤال نهجًا آملا في ينزلق لسان أحدهم بالحقيقة.. لتجيبه الأستاذة (يسرا) بعد أن حكت جانب رأسها الأيمن في صمت كما لو أنها تحت مراكز الذاكرة بعقلها على الإتيان بإجابة لهذا السؤال:

- جل ما أعلمه عن المبنى هو أنه آيل للسقـ..

كاد (علاء) أن ينسحب من المكان بعدما فطن أنه لن يخرج بأي جديد لكن كلمة (حريق) التي نطقت بها المعلمة بعد ذلك استوقفته! فأسرع (علاء) يطالبها بالتوضيح أكثر دون البخل عليه بأي تفصيلة مهما بلغت تافهة في نظرها، لتجيبه (يسرا) وعلامات الإرهاق تتجلى على ثغرها:

- ليس لدي الكثير من المعلومات بخصوص هذا الأمر، فقد كان خطيبي طالبًا بهذه المدرسة منذ ما يقارب العشر سنوات، ولم يقص علي إلا إن ذلك الحريق وقع بالمبنى الداخلي نتيجة ماسٍ كهربي، أحاله لتلك الهيئة التي عليها الآن.

بالطبع هو حريق المتسبب بتلك الفاجعة للمبنى. كيف لم يخطر ببال (علاء) أن ذلك الدهان المتأكل عن وجهه المبنى بفعل ألسنة اللهب؟ وأن هذا السواد المعتم المهيمن على المبنى ليس إلا رفات النيران؟ لكن السؤال الجديد هنا، هل ينحصر الأمر بحدود الحريق، أم أنه لازال هنالك توابع خفية أخرى؟

***

(٦)

الجانب الموحش من موضعك

بعد

شهر بالمدرسة

عام ٢٠٢٠

كان هذا الشهر محملًا بالمواقف العجيبة، والذكريات التي تمنى (علاء) مسحها من ذاكرته. لتعطيه اليقين أن مصاب المبنى قد تخطى حيز دنوه من السقوط كما يزعم أغلب المعلمين، بل أنه تجاوز الحريق الذي ادعته أستاذة (يسرا) كذلك.

لا يعلم (علاء) لمَ استحسن تلك الإجابة كما لو أنها الأكثر منطقية رغم انعدام الشهود وقلة التفاصيل؟ رغم سماعه الكثير من حكايات زملائه الجدد بالمدرسة -الذين حالوا مع الوقت لأصدقائه-، بأن المسبب الرئيسي للقب المبنى هو أن (عبدالناصر) قد قتل به عسكريًا انجليزيًا أيام صباه، أو أن هنالك أحد ملوك الجان هوى بغرام إحدى معلمات المدرسة فأنجبت منه مسخًا قتلته بيديها ودفنته أسفل إحدى بلاطات المبنى.. والكثير من الحكايات التي تناسى بها الطلاب أمر المبنى وراحوا يتنافسون فيما بينهم على

الخروج بالأسطورة الأكثر إفزاعًا مهما بلغ خيالها من شطحات.

لكن ما عاصره (علاء) لهذا الشهر لم يؤكد لديه أن المبنى مسكونًا فحسب، بل إن المدرسة برمتها ليست بهذه الوداعة التي تخيلها، وكان منها:

***

حين تضحى حديث العهد بمكان ما تحاول تسليط نظرك على كل كبيرة أو صغيرة من حولك لإجبار عقلك على التكيف مع المحيط الجديد.. خاصة لو كنت مثل (دياب).

هذا الفتى الذي تميز منذ صغره أنه دقيق الملاحظة كالنساء. نسبة إلى عويناته وما خلفها من عينين حادتين، تفحص كافة الموجودات حولها كالرادار، مخزنًا إياها بذاكرته الفوتوجرافية السابقة لحداثة سنه.

ترجل (دياب) للخروج من المبنى الداخلي، قاصدًا (الكولدير) الصغير المستقر جانب المبنى كحارس ليلي له، بساعده الأيمن قارورته البلاستيكية الفارغة.

بالطابق الأرضي للمبنى الداخلي يوجد بضعة مخازن لحفظ الكراسي والأسرة الجديدة في حالة الحاجة إليها. فلاحظ شيئًا يتحرك في كسل، بعد إنهاءه درجات السلم ووصوله

للبهو الصغير الفاصل بين الدرج وبوابة المبنى الحديدية. والذي لم يكن سوى قط صغير متربع بجوار المخزن الرقم (٩). بالطبع يقيم القط داخل المخزن، فالجزء السفلي من الباب كان مكسورًا سامحا بولوج أي حيوان صغير منه أو إليه، كالهر على سبيل المثال للبهو الصغير الفاصل بين الدرج وبوابة المبنى الحديدية، حين سيغلق مشرف المبنى بوابته الوحيدة مجبرا. فأكمل (دياب) مضيه في طريقه صوب (كولدير) المياه مع نية في منح هذا القط المسكين بعض رشفات من الماء لعله ظمآن.

عاود (دياب) المبنى بعد أن أنهى مهمته القصيرة في ري عطشه. لكنه سرعان ما توقف عن الحركة مشدوهًا! فرك عينيه براحة يده من أسفل عويناته كما لو أنه يحث عينيه على التوقف عن هذه الأفعال الصبيانية لتظهر المشهد الأصلي الذي يتوقعه، لكن عينيه لم تخدعاه بل كانت محدقة دون استيعاب أن الباب سليم لا يعيبه أي كسر بجزئه السفلي أو خدش حتى!

دنا من الباب أكثر لعل ما يبصره هي إحدى خدع انعاكسات الضوء والظل التي درسها، أو أنه اختلط عليه رقم الباب على أقل تقدير. ليستبين أنه هو ذات الباب بنفس الرقم (٩) المعلق على واجهته في تحدي، وعاين الخدوش التي

لمحها تزين انحناءه منذ قليل! لكن كيف تم تصليحه وهو لم يستغرق إلا ثوان معدودة في ملء قارورته؟

لم يتخط (دياب) الصف الأول الثانوي بعد، لكنه لو يعلم شيئًا واحدًا بالحياة، فهو أن الأبواب لا تنمو من تلقاء نفسها كالأشجار.

زاغت مقتليه بمحجريهما بتوتر، عندما وصل صوت مواء القط لمسامعه من داخل المخزن بعد أن نسى أنه قد اختفى بدوره! حاول فتح الباب لكنه أبى الطاعة.

أطلق العنان لساقيه دون تأخير، قاصدًا حجرة مدير الطابق الداخلي مطالبًا منه أن يهم بفتح المخزن رقم (٩) لتحرير القط الحبيس بين جدرانه. وليته لم يفعل، بل ليته لم يخرج من حجرته لملء قارورته وتحمل الظمأ لتلك الليلة. حيث أخبره المدير أن هذا المخزن مغلق من قرابة العام أو أكثر حتى أضحى بابه الخشبي لا يختلف في شيء عن الجدار الملتصق به، ولو به كائن حي من أي نوع لكان مات جوعًا منذ زمن ووصلت رائحته النتنة لأنوف قاطني المبنى أجمع، لعدم وجود نوافذ بالمخازن أو أي وسيلة أخرى للتهوية!

ما الذي رآه بجانب ما سمعه إذن؟ ف(دياب) ذاته قد يشك بمصداقية أي شخص مهما بلغ من الحكمة والعقلانية، لكنه لن يشك يومًا في حواسه وذاكرته. كما أنه عاود تفقد أبواب

مخازن الطابق الأرضي بأسرها ليجدها كلها سليمة دون أي كسور تكفي لمرور قط أو ذبابة حتى، كالباب رقم (٩) المدعي البرائة!

***

المدرسة تعج بالحيوانات كغيرها من المدارس، حيث تنتشر بأزقتها الكلاب والقطط ناهيك عن الجرذان والأبراص، ولا نستبعد وجود بعض الثعابين في أي زاوية من أركان الحدائق التي تغطيها الأحراش. الأمر ليس بالنادر أو بالعجيب على موقع المدرسة الذي يعتبر بمنطقة شعبية نوعًا، فجل ما تحتاجه هو أسبوع على الأكثر لتعتاد تلك الغابة المصغرة، لكن ما لم يعتد عليه الطلاب يومًا.. هو قطط المطعم.

هناك شيء غامض يحوم حول هذه القطط، إنهم بالتحديد سبعة، فقط سبعة على مر الزمان مهما اختلفت الأجيال أو الدفعات. فمذ فترة لا يستطيع عمال المطعم ذاتهم تحديدها وهذه القطط موجودة بالمكان، لتستعمر القطط المطعم معلنين أنفسهم المّلاك الأوائل. ومهما تغير عمال المطعم على مر السنوات يجذمون أنهم ذات القطط بنفس ألوانهم التي لا تذبل وأعدادهم التي لا تتكاثر أو تتضائل وأحجامهم التي لا تتغير. فالمطعم بالنسبة للقطط كأمهم. مهما حاول الطهاة

إقصاء القطط عنه بلفظهم خارجه أو خارج حدود المدرسة تمًا، تعود له من جديد دونًا عن غيره.. فلمن تذهب الصغار لغير أحضان أمهن الحنون؟

مهما أغلق الطهاة المطعم جيدًا بعد انتهاء عملهم وتأكدهم من طرد القطط السبعة دون أن يغفلوا أي منهم، وتأكدهم من إحكام قفل بابيه الأوحدين، ليمسي المطعم فارغًا كصحراء مع سكون الليل. فيجدوا في صباح اليوم التالي القطط السبعة ممددة على طاولات المطعم، ضاربين بكافة جهودهم السابقة ليلة أمس عرض الحائط!، حتى راحوا يتكاسلون بعض الأيام عن إخراج القطط بآخر كل دوام، مادامت ستعود باليوم التالي على أية حال.. هل تعجز الصغار من بلوغ قلب أمهم مهما عاصرت من معرقلات؟

المطعم لا يجذب سوى هذه القطط دون غيرها. فلا تتشوق لها الكلاب أو تندفع لها الفئران. فقط القطط التي لا يجرؤ حيوان على مشاركتهم مملكته.

كل هذه الخواطر دارت بخلد (أمير) وهو في طريقه للمطعم، متشبثًا بمفتاح بابه بقبضته جيدًا حتى لا يضله وسط هذا الكم الهائل من المفاتيح التي تعلق بشكل دائري حول ميدالية (جودة) الصدأة. يلعن غباءه على إهداره لكل هذا الوقت مع الأستاذة (يسرا) بمسرح المدرسة لإعداد

التجهيزات لمؤتمر الخريجيين الذي سينعقد عقب بضعة أسابيع، كنوع من العمل الطلابي.

أظهر أصدقاؤه بعضًا من المروءة وحفظوا وجبة الغداء خاصته بثلاجة المطعم حتى لا يمضى عليه اليوم بدون طعام، وهو الآن في طريقه لإحضارها بعد أن سلمه (جودة) ميدالية مفايتح المدرسة مع تحديد مفتاح باب المطعم. سيفتح باب المطعم مع تلك الهواجس برأسه عن القطط وحركاتها الشيطانية المخترقة لحدود المكان وربما الزمان أيضًا.

يدس المفتاح في المزلاج، يبتلع ريقه حاثًا إياه على الإقدام، مذكرًا نفسه أنه لا يخاف القطط.. لكن مع كل ما ينتشر بين الطلاب عنها، فحتى المعلمون سيخافون الاقتراب من المطعم وهو مغلق فما بالك وهو يقبل على فتحه وحيدًا؟ أدار (أمير) المفتاح لتصدر صوت التكة الخاصة لانفتاح الباب، مصاحبة بدفعة خفيفة كما لو أن الباب متحمسٌ ليكشف عما بجعبته.. لكن ما رأه بجعبته كان الكثير!

كان بمقدوره الانتظار لسويعات قلائل حتى يأتي طهاة الفترة المسائية ويفتحوا هم الأبواب كعادتهم اليومية، لكن حالة الوهن التي عصفت به إثر تمضية الكثير من الساعات دون لقمة، أجبرته على المخاطرة التي –كالعادة- ندم عليها.

لم يكن يتوهم فيرمي المسببات على جوعه، ولم يكن المكان مظلمًا ليخدعه بصره، فضوء الشمس الواهن المخترق للنوافذ ذات الأسلاك الحديدية الضيقة، دفعته لإبصار المشهد بوضوح.

كانت أكثر من خمسون قطة، فوق الطاولات وعلى الأرض وبكل مكان، جالسات في هدوء كما لو أنها في انتظار حدثٍ جليل! وبمجرد سماعهم لصوت فتح الباب، التفتت أعناقهم بحركة واحدة منتظمة صوب المقاطع لخلوتهن، بعيون تبرق في خبث إبليسي.

بعد أن أحكم (أمير) إغلاق الباب بالمفتاح مرة أخرى دون أن يطرق المطعم ولو بطرف قدمه. يمكننا القول أنه حطم الكثير من قواعد الفيزياء وهو يطلق العنان لساقه تسابق الريح، بعيدًا بقدر المستطاع عن المطعم ولو أنه يضمن أن بوابة المدرسة الرئيسية ليست مغلقة لظل يعدو حتى يبلغ منزله الإقليمي ذاته.. كل هذا في أقل من ثلاث ثوان.

المشهد لم يحتاج لتدارك.. فالركض أحيانًا هو الوسيلة الوحيدة والمضمونة للنجاة.

***

جاء يوم الأحد هذا، مختلفًا عن سابقيه بعض الشيء!

دومًا ما يلزم مشرف طابق الداخلي جميع الطلاب بإغلاق النوافذ قبل تركهم لحجراتهم، سواء بخضم اليوم الدراسي أو يوم الخميس حين يغادرون المبنى عائدين لديارهم، حتى لا تتغلغل الأتربة للحجرات ولرحمهم من مشقة جولة تنظيف مرهقة.

لكن هذا الأحد حين دلف (علاء) حجرته مع شريكه بالسكن، أبصر الأسرة مغطاه بكم هائل من الأتربة المتبعثرة، رغم انغلاق النافذة الوحيدة بالغرفة جيدًا دون إغفال أي منفذ قد يسبب تلك الفاجعة من الأتربة!.

أسرع (علاء) لتفقد الحجرات المجاورة، ليزداد دهشة على تعجبه الأصلي حين وجد كافة الغرف تشاركه في مأساته! لوهلة ظن أنه بالفعل نسى غلق نافذته حين ترك الداخلي يوم الخميس المنصرم. لكن أن يماثله الطابق بأكمله في غفلته! فالصدف لا تحدث بهذا التطابق.

ليس لأحد مصلحة في فتح نوافذ الطابق بأسره –و التي يقترب عددها من المائة نافذة- لتنساب منها الأتربة ثم غلقها قبل مجيء الطلاب مدعية البراءة. ناهيك عن أن أبواب الحجرات كلها مغلقة بالمفتاح التي تعيق أي مقتحم عنها.

فبدأ الطلاب في تنظيف أسرتهم قابلين بالأمر الواقع بعد أن فطنوا أن امتعاضهم لن يعود عليهم بأي فائدة تذكر، وأنه

أحرى بهم استغلال هذا الوقت في العمل لينتهوا منه مبكرًا.. لكن (علاء) لاحظ شيئًا..

نحن نتفق أن الأمر عجيب منذ بدايته، لكن حين تلاحظ انحصار الأتربة على الأسرة فحسب دون أن تمس الأرض أو المكاتب الصغيرة، هنا تفطن أن الأمر ازداد غرابة، لكن يمكنك تجاوزه. حتى ترمق هذه الآثار لأقدام حافية على الأسرة، رغم أن لحافها منسق دون أن تعيبه شائبة كما خلفوه منذ يومين.. فهنا مهما كُنت تمتاز برباطة جأشك من تماسك، سرعان ما تنفلت، مؤكدًا أن الأمر تصاعد من حيز الغرابة الضيق، للرعب المثير للقشعريرة.

***

المقالب أمرٍ طبيعي حد التعود بين الفتية، بالأخص حين يتشاركون المسكن والمأكل لفترة ليست بالهينة كما بالمدرسة. لذلك لن يفزع (مهدي) إذا خرج له أحد أصدقائه من وراء شجيرات الحدائق وهو يصرخ بإسمه في سماجة، ولم يهلع حين يغلق عليه أصدقاؤه المصابيح بدورات المياة، كما أنه لن يفتح باب حجرته عندما يطرق عليه أحدهم الساعة الحادية عشر مساءً، فهو يوقن أنه جاره بالحجرة الذي يتقهقر صوب حجرته متغطيًا بلحافه بسرعة كاتمًا ضحكاته. لكن وقتما وصلت بعض الصرخات الأنثوية

الطفولية لمسامعه، فهنا يجب أن يشك بعض الشيء أن هذا ليس مقلبًا!.

كانت إحتمالية أن أحد الطلاب يفتعل هذا الصوت لإخافة الآخرين قائمة. لكن هذه الخدع الطفولية لن تتخطى يومًا قوانين المبنى الداخلي الصارمة المتمثلة في انغلاق بابه المعدني عند منتصف الليل دون السماح بفتحه إلا في الضرورات القصوى كوفاة أحد الطلاب أو مشرفي الطوابق أو كليهما.

فحين يستمع (مهدي) لتلك الأصوات من المبنى المهجور بالساعة الثالثة فجرًا –على نقيض منطق قوانين الداخلي- لتيقظه من نومه فزعًا –على خلاف شخصيته الهادئة-، فقد ودع نظرية المقلب الصبياني، ليفكر بنظرية المبنى المسكون بطريقة أكثر تعمق!.

***

حمل (محسن) كتابه المدرسي ليلًا في نية للمذاكرة وهو يتجول بين أروقة المدرسة ، ناشدًا المكان الأكثر هدوءًا فارًا من شريك سكنه الصاخب الذي لا يستحليه الاستذكار إلا على صوت الأغاني الصاخبة بهاتفه قديم الطراز المصرح به، فالهواتف الذكية ممنوعة بالمدرسة حتى لا تشغل الطلبة عن التفوق.

كان مبنى المكتبة هو أكثر المناطق سكونًا سواء نهارًا أو ليلًا وأقلها إضاءة. قد يتأذى بصر (محسن) بضوء المبنى الشحيح لكنه سينعم بالصمت المحبب الذي سيعينه على إنهاء فروضه. لم يكن هنالك سوى مصباح متفرد بقمة المبنى لا يصل من ضوءه شيئًا للأرض، فقرر (محسن) الصعود للطابق الثاني متقربًا لإنارة أكثر. وأثناء تسلقه للسلم بين الطابقين، وصل لمسامعه تلك الكلمة التي أوقفت جسده عن الحركة مثلما كادت توقف قلبه

(أحسنت صنيعًا)..

كان الصوت ينبع من ظلام السلم لتبتلعه العتمة مرة أخرى فلا يتجاوز حدود الدرج، كان صوتًا معدنيًا يوحي أنه ينبع من هاتف محمول ما وليس من حجرة أحدهم

(أحـسـنـت صـنـيـعـًا)..

مهما كانت الكلمة مثيرة للريبة أم عادية، فالطريقة التي تنطق بها من العدم ستشعل رعب بأي من كان رغمًا عنه، خاصة عندما بدأ الظلام يتقاذف هذه الكلمة بالأرجاء عدة ثوان في صدى له دوي مهيب.

هل هذا مقلب من أحدهم؟ الإحتمال وارد لكنه لازال إحتمال، وهو لن يمكث بهذا المكان ثانية إضافية ليتيقن من

ظنونه أو ينفيها. فراح قلب (محسن) ينبض بهستيريا كما لو أنه يعوض الثوان التي تباطأ بها من قبل، أثناء ركضه بحياته، بعد أن رأى أن زميله الصاخب ليس بهذا السوء ولتذهب المكتبة للجحيم.

***

كان هنالك هذا الكلب الذي أطلق عليه شخص ما -لا يعرفه أحد إلا الله- في يوم ما اسم (فندق)، قد اتخذ من الظلام مملكته الخاصة التي يحميها بروحه إن وجب الأمر.

فبالرغم من جبن هذا الكلب بالصبح وعدوه المذعور بمجرد أن يقترب أحد الطلاب منه ولو على بعد عدة أمتار، لكن هذه الشخصية الضعيفة تتحول بالليل لوحش كاسر لا يقترب أحدٌ منه إلا وينوله رسالة تحذيرية على شاكلة زمجرته المتوحشة التي تفزع النمور قبل القطط، ثم سرعان ما يضحى التحذير هجومًا، لينطلق (فندق) يعدو خلف فريسته تعسة الحظ ولو لآخر الدنيا.

مهما تخيل الطلاب أن حظهم بتلك المدرسة شقيًا مرهقًا، فهم ليسوا سوى محض شكائين، لأنهم لم يجربوا بعد الإنخراط بمطاردة خاسرة مع هذا الكلب متقلب الشخصية. كما لو أن الظلام المتربع به يكسبه نوعًا من الجرأة أو يستمد منها الجبروت

حتى أن (علاء) لم يعد يذكر من وقع ضحية ل(فندق) وجنونه من كثرتهم، حتى بات تذكر من لم يخوض تلك التجربة القابضة للأعصاب أكثر يسرًا.

أربعة حوادث لا خامس لها، مع إقصائنا لحادثة الأسرة والمخزن رقم (٩) الخاص ب(دياب) لأنها لم تتكرر على خلاف العوارض الأخرى. العجيب أن هذه الحكايات لا تكثر مع الزمن، وحين يحاول أحدهم اختلاق واحدة من مخيلته سرعان ما تكشف حيلته التي يكون الهدف منها هو إخافة الآخرين أو جذب الأنظار لا أكثر.. حتى أضحى نادرًا إيجاد من لم يمر بنصف الحوادث على الأقل.

كان بود (علاء) تكذيب أيًا من تلك الحكايات ونعت راويوها بالأفاقين، لكنه ذاته قد خاض أغلبها إن لم يكن كلها، ليطلق الطلاب عليها (عجائب الليل الأربعة) حيث أن تلك الحكايات لم يكن العامل المشترك بينها هو المبنى المهجور كما هُييء له في باديء الأمر، فقد كان الليل الذي يمثل بطلًا مؤثرًا بحضوره بكل حادث.. والسؤال هنا: هل لتلك العجائب دلالات لشيء ما أم هي مجرد عبث عشوائي؟

***

(٧)

آناس أخرون مثلنا

بعدأسبوع بالمدرسة

عام ٢٠٢٠

تململ (علاء) على كرسيه بمسرح المدرسة، وهو يستمع لتلك المحاضرات المكررة عن مدى صعوبة الحياة السكنية، لكنها ستعود على الطلاب بالخبرة والجلد، لتعاونهم على التكيف سريعًا على أنماط الجامعات، أو لو أتيحت لأحدهم فرصة للدراسة بالخارج، وكافة هذا الهراء الذي ألقاه جميع المعلمين على مسامع الطلاب من قبل.

كان السخف هو انطباعه الأول عن مؤتمر الخريجيين هذا حين شاهد ملصقه بالصحيفة المدرسية. ولكن (علاء) سرعان ما أعدل عن رأيه حين روى له صديقه الجديد (أمير) أمر المؤتمر الذي يعد لفقراته منذ أسابيع، بتفاصيل أكثر. فهرول (علاء) لمبنى الخدمات باحثًا عن وكيل شؤون الطلبة.

أبدًا لم يكن هذا المؤتمر كغيره، فهو يعطي الحرية للطالب في مقابلة أيًا من الخريجين ولو كانوا من أول دفعة لحقت بهذه المدرسة منذ فتح أبوابها لاستقبال الطلاب -إن ظلوا

أحياء بالطبع-، بشرط أن تعلم اسمه الثلاثي على أقل تقدير وسنة تقييده بالمدرسة أو تخرجه منها.. ولم يكن (علاء) يعلم الاسم فسحب بل كان يحفظه عن ظهر قلب.

فحين اطلع (علاء) وكيل شؤون الطلاب، المسؤول عن تحصيل الأسماء من الطلاب ومهاتفة الخريجين داعيًا إياهم بالحضور، عن اسم رجله المنشود، أجابه الوكيل بنوع من الدهشة لم يتوقعها (علاء) عقب البحث عن بيانات هذا الخريج على الحاسوب:

- أنت دقيق للغاية يا فتى، فقد اخترت لتوك أحد خريجين الدفعة السابقة لدفعة ال(شؤم) بعام واحد.

لم يفهم (علاء) كلمة الوكيل السابقة فطالبه بالمزيد من التوضيح عاذرًا جهله، بعدما أوحت له الكلمة بأنه على وشك سماع أسطورة أخرى بشأن المدرسة. ليجيب الوكيل ببساطة فاطنًا لجهل (علاء) بالأمر:

- بالطبع أنت لا تعلم شيئًا عن هذا المسمى فأنا مخترعه وأنا الوحيد المطلقه على دفعة ٢٠١٠.. لأن كل من لحق بهذه الدفعة المشؤومة فهم الأن أمواتًا راقدون بقبورهم.

ليعاود (علاء) السؤال بعجلة، بعدما أيقن أن الأمر فاق محض شائعة جديدة، فقد بلغ الوقائع المثبتة حكوميًا:

- هل ماتوا بالمدرسة؟

- بالطبع لا.. فقد وافتهم المنية بعد أعوام من تخرجهم لكن العجيب هنا أنهم الآن جميعًا موتى بمختلف الأسباب سواء بأمراض قاتلة أو حوادث غادرة.

كما لو أن الموت كان يتربص بتلك الدفعة متعمدًا دون غيرها، لكن الوكيل خشى أن يجهر بها صريحة بوجه (علاء).

راح الوكيل يحوقل ويدعو لهم بالرحمة في مثواهم الأخير، حين شرد ذهن (علاء) في أشياء أخرى وأسئلة أكثر. هل يمكن أن يكون لمقتل طلاب تلك الدفعة علاقة ما بالمبنى المهجور؟ لا يدري، لكن من سيقابله بنهاية الأسبوع المقبل بالمؤتمر، سيضحى عالمًا لا محالة.

بعد عدة مهاترات على ألسنة أشهر من تخرج من تلك المدرسة لما يحملوه من مكانة سياسية أو علمية مرموقة، انتهى هذا الجحيم بعد طول عناء، لتبدأ الفقرة الثانية للمؤتمر الماثلة في المحادثات الشخصية بين الخريجين ومستدعيهم.

جلس الرجل أمام (علاء) وهو يتأمله بدقة نوعًا ما، ليتبين أنه عادي بكل شيء، ملابسه طبيعية لا يمكنك أن تستنبط منها مستواه الإجتماعي من الفقر أو الثراء، قسمات وجهه

أكثر من تقليدية قد يصادفها المرء يوميًا آلاف المرات بالحافلات العامة أو مراكز التجارة، وبمجرد أن تزيح عينيك عنه، تنسى كافة تفاصيل هيئته حتى لو عاشرته لسنوات، فليس بها ما يميزها عن غيره.

كانت لتلك المعالم أثر الدهشة على (علاء)، فكيف لهذا الشخص العادي أن يكون مفتاح لغزه الذي أرقه لما تخطى الشهر حتى الآن؟ فلم يكن بمخيلته أن يبيت حامل تلك الأسرار شخصًا كدونه من البشر!

- أنت (علاء) أليس كذلك؟

قالها الرجل مخرجًا (علاء) عن الشرود الذي تملكه، فتلعثم بالكلمات محاولًا الإعتذار على وقاحته ليحاول ترتيب الوسيلة التي سيمهد بها للتوغل بالموضوع الرئيسي الذي أحضره من أجله. هل يشكره على حضوره المشرف له وللمدرسة أجمع في بداية الأمر؟ أم يفترش الحديث بالثناء على إنجازات الرجل التي أثارت له الفضول لملاقاته؟ رغم أنه لا يعلم أي شيء عن وظيفة هذا الرجل لكن النفاق فعال بجميع الأحوال...

- لقد طلبت حضوري لأحادثك عن المبنى المهجور.. أليس كذلك؟

قالها الرجل بنظرة ذات معنى أنه على دراية بالأمر بلا داع للمراوغات. فقد أصابت (علاء) نوعًا من العقدة لمحاولته الأخيرة مع (جودة) في دراية أي شيء منه، رغم استخدامه للدباجات حينها دون الإشارة لمراده بطريقة مباشرة.. فحاول (علاء) مجاراة الرجل سائلًا عن كيفية علمه للأمر، ليجيب الرجل مسترخيًا بمقعده أمام (علاء):

- أولًا: لقد أخبرتني خطيبتي (يسرا) عن أن هنالك أحد الطلاب يحاول أن يستفسر عن شيء ما يخص المبنى المهجور، فأجبتها أن تناولك رقم هاتفي المحمول لتتواصل معي بنفسك.. في البدء ظننتك لم تعد مهتمًا بالأمر لكن مع طلبك للقائي أنا شخصيًا دونًا عن غيري من نخبة خريجيي المدرسة، فهذا يعني أنك لازلت صابًا تركيزك عليه.. فيبدو أن عمل (يسرا) بالمسرح خارج المدرسة وتحضيرها لهذا المؤتمر قد أنساها، بجانب سفري خارج البلاد برحلة عمل التي لم تسعفني على تذكر متابعة الأمر معها.

ود (علاء) لو أعلمه أنه بدوره قد انشغل بامتحانات المدرسة الشهرية التي كانت تحتاج لجهد يفوق امتحانات الثانوية العامة ذاتها نسبة لصعوبة تلك الامتحانات لتقيس نبوغ الطلاب. لما صرف ذهنه عن المبنى وعجائب الليل الأربعة رغم تداولها على الألسنة من حوله، فأثر الاحتفاظ

بتلك المعلومة لنفسه سائلًا:

- وثانيًا يا أستاذ (حمدي)؟

- لقد كانت تراودني بعض الذكرايات على هيئة أحلام أو أفكار عابرة منذ عودتي للبلاد، مذكرة إياي بأكثر الليالي العصيبة التي قضيتها خارج المبنى الداخلي.. أو ما تسموه الأن بالمبنى المهجور

ثم شرع أستاذ (حمدي) في قص ما لم يسرده لأحد قط، ليس عن المبنى المهجور بالطبع، ف(حمدي) أصيب بوعكة صحية، نقل على إثرها لأقرب مشفى، وما راوده حينها كان يفوق أي خيال.

فحتى هو لا يعرف لمَ اختار (علاء) بين كل من عاشروه بحياته ليروي عليه تلك الأحداث؟ لكن لسبب يجهله، شعر (حمدي) بذكريات الماضي تغتصب عقله دفعة واحدة بمجرد أن أعلمته (يسرا) بأمر بحث أحدهم عن حقيقة المبنى. هو بالطبع لم يضطرب هكذا لذكر المدرسة ومبناها، فقد اعتاد على ذكراها حد عدم المبالاة. لكن اسم (علاء) ذاته هو ما أثار حفيظته رغم جهله بالفتى تمامًا، كما لو أن هنالك هالة عجيبة تطوق اسم الغلام، رغم تيقنه أنه الوحيد الذي عاشها وأن ليس هنالك أحد من أقارب (علاء) قد شاركه بها على سبيل المثال.

لذلك قص ما لم تشهده عين قط، ولم تسمعه أذن من قبل

***

كان قمر تلك الليلة بمثابة الفتنة التي تتبادلها الألسن وتتقاذفها الشفاه، ليس لأنه بدرٌ فحسب، فهذا الأمر تقليدي لا يستحق كل تلك الجلبة بالصحف الحاثة المواطنين على التقوقع بمنازلهم.. لمَ تلك المبالغة!؟ لأنه القمر الدامي بطلته المقبضة للقلوب بالطبع.

إنه ليس كأي خسوف أو كغيره من الظواهر الفلكية. فناهيك أنه تحدث كل ثمانية عشر عامًا، قد يسبب في أثره العمى لذوي ضعف البصر، كما يشاع أن لديه المقدرة على التأثير في صواب بعض الحيوانات ليبتليها بالسعار أو نشوة الإنتحار، مثلما يؤثر القمر بحالته الطبيعية على المد والجزر. يقال أن هنالك أسماك تنفق بلا مقدمات، وهنالك أنواع حديثة من الفطريات تنبت من العدم، هذا غير تفاقم الأفكار العجيبة في أذهان المرضى النفسيين أو العقليين والتي لا تختلف في دمويتها عن الحيوانات.

لكنه لا يحتاج لقمر دامي ليحثه على مثل هذه التفاهات، فلديه شياطينه الخاصة بالفعل التي تجعل من أي شيء أخر تافهًا.

لم يكن بتلك البقعة الصحراوية سوى آثار أقدامهما التي انقطعت كما لو أن الأرض انشقت وابتلعتهما.. أو هكذا فكرت الزوجة في بداية الأمر بمجرد شعورها باهتزاز ذرات الرمال أسفل ساقيها المرتجفة. ولكن كيف ستعرف أن أتباع زوجها من الشياطين نقلوا كليهما لسراديب مخفية بباطن الأرض؟ لم يمهلها زوجها أي ثوان تستوعب الأمر أو تلفظ أنفاسها على الأقل، بل راح يقتادها بهذه السراديب الحجرية المظلمة بكل يسر كما لو أنه زارها لآلاف المرات أو برفقته من يرشده لوجهته دون أن يتخذ منعطف خاطيء أو يسلك حذو مضلل.

تعثرت الزوجة في حفظ الطرق لكثرتها، أو حساب الوقت التي قضته في التجول بتلك الأنفاق، فتارة تشعر أنه لم تمضي بهذا المكان سوى دقائق، وتارة أخرى تهلع من تخيل أنه قد مر عليها بهذا الجحر الخانق ساعات بلغت الأيام!.. لكن ما كانت متأكدة منه أنها فقدت الشعور بأي إرهاق، كما سلب منها زوجها مسبقًا أي شعور آدمي!

كم كان لقاء (أمينة) هانم بزوجها شاعريًا! وسط مذبحة تنتفض فيها الأجسام المنهوشة لحمها بفعل فكوك مسوخ لم تشهدها البشرية من قبل.. كانت تعلم أن هذه الليلة ستنتهي بإراقة الدماء لا محالة بعد رفضها للنباش، الذي سيحاول

استرداد كرامته المهانة بنظرة. لكن خيالها المحدود ظن أن أداة الجريمة ستكون أعيرة نارية من أسلحة الطرفين، لا مسوخ تمزق الجميع دون تمييز.

لكن رغمًا من كل هذا، لم يمسها أي شيء! كانت المسوخ المشوهة تتقافز من حولها على الرجال مجتية إياهم أرضًا لتبدأ في وجبتها، دون أن تعيرها انتباهًا كما لو أنها وجبة فاسدة يتحاشون الدنو منها.. لكنه الوحيد من اقترب! بعد أن لاحظت أنه يسير وسط الوحوش كما لو كان سيدهم أو واحدًا منهم. كانت كلماته مقتصرة وواضحة في طلبه الزواج! منذ متى أصبح على (أمينة) هذا الطلب من العرسان؟ في البدء (النباش) الذي بات مصيره التمزق بفعل مخالب المسوخ، والآن هذا الغريب؟ هل ترفض؟ بل هل تملك حق الرفض؟ هل بوسعها مقارنته ب(النباش) من الأساس أم أن هذا جرمٌ عظيم؟

وبكل بساطة الدنيا قبلت وعادا سويًا لفيلتها المتواضعة، دون أن تفكر فيما وقع على مرأى ومسمع منها منذ دقائق وكأنه لم يحدث من الأساس! حيث تم إزالة كل شيء من عقلها رافضة تصديقه.. وها هي تلك الأفكار تعاودها الأن بعد أن عاصرت زوجها غريب الأطوار هذا لمدة عام تقريبًا، لم تعلم عنه أي شيء ولا حتى اسمه أو جنسيته! ولم يتم توثيق

زواجهما هذا بأي سجل حكومي، لكن جميع العاملين بمنزلها يتعاملوا معه على أنه (البيه جوز الهانم).. حيث كانت تقتصر هذه الزيجة على العلاقة الزوجية كأي باغية، لا أكثر أو أقل. دون أن تعترض كما لو كانت منومة مغناطيسيًا! والآن فحسب تذكرت ما أصابها لكنها لازالت تخشى المواجهة.

فكيف تواجه وهي لا تعلم أين هما ولماذا؟.. جل ما تعلمه أنهما كانا على بعد أمتار من الهرم الأكبر في الليلة المثيرة لفزع العامة، وأنهما الآن في الطريق لاكتساب القوة التي تعادل مهابة تلك الليلة بل وتتخطاها، على حسب ادعاء زوجها.

حتى وصلا أخيرًا.. كيف علمت أنها وصلت؟ لأنهما توقفا عن السير لأول مرة منذ بلوغ تلك الأنفاق، ومن دون أي مقدمات اشتعلت الإضاءة بالمكان، لتجد أنها بغرفة تصرخ بتأصلها الفرعوني لكثرة ما نقش على جدرانها وسقفها وحتى أرضيتها من نقوش هيروغليفية عتيقة.. لكن (أمينة) لم تعلم أبدًا ما هو مصدر إضاءة تلك الغرفة كما لم تعلم من قبل كيف تمكنت من رؤية زوجها في هذه الأنفاق المعتمة.

هل من الممكن أن تكون قادرة على الإبصار بالظلام كالقطط؟ ولم لا؟ فبعدما أبصرت زوجها عدة مرات يحادث ظلال تنبع من العدم على الجدران، ويلتهم اللحم نيئًا من

الثلاجة، بل ويعتريها الشك أنه المسؤول عن مقتل إحدى خدمها، لا تستبعد أن يمدها بتلك القدرة أو يكون هو من يتوهج بالظلمة على سبيل المثال.

كان بالحجرة تابوتًا ضخمًا نصف مفتوح بغطائه الحجري المرصع بالذهب لا غير هذا! لقد زارت (أمينة) الهرم الأكبر عدة مرات ولم تعرج على تلك الحجرة أبدًا! كما يبدو أن الممر الذي دلفت منه هو الطريق الوحيد المؤدي لها. فلو فرضنا أن تلك إحدى حجرات الهرم السرية التي لم يكتشفها المنقبون بعد، فكيف لا يفوح منها عطن الموت أو لا تغطيها أتربة الزمن؟ بل وأين مومياء هذا التابوت والآثار الذهبية التي تدس بالمقابر الملكية كتلك؟ فقد كانت الجدران صفراء ناصعة دون أي ذرة للتراب تعكر صفوها.. هل يعقل أن تلك المقبرة نبشت منذ سويعات؟

- تحضري يا زوجتي لبعث مولانا السيد.

أضيفت هذه الجملة لركن الغوامض الذي يعج به رأس (أمينة) منذ لقائها بهذا الرجل.

ناولها الزوج حقيبته القماشية وراحت (أمينة) تعاونه في رص محتواها من شموع غليظة حول التابوت الفارغ. عليها ألا تنسى إشعال كل شمعة على حدا والتأكد من أن قطراتها الذائبة ستثبتها بالأرض. فهي بالطبع لا تريد أن تهوى

إحدى تلك الشمعات أثناء طقوس زوجها التالية، لينولها من غضبه جانبًا. بالفعل هي لم تجربه من قبل ولكن من زعم أنها تريد تذوق الأمر على أي حال؟ بالنهاية أصبح لدينا واحد وعشرون شمعة تطوق التابوت في شكل بيضاوي يشوه ما أسفلها من نقوش فرعونية.

وقف زوجها عند مؤخرة التابوت وبدأ في تلاواته التي كثيرًا ما سمعته يرددها ليلًا دون أن تفقه حرفًا من معناها أو حتى مبتغاها.

«عزمت عليكم يا أصحاب السحر الوسواس ويا معشر الجن الخناس ويا صفوة الشياطين الطغاه»

كيف نجوت (أمينة) كل هذا الوقت بتلك الطاعة؟ كانت تتجاوب مع الرجل كاتمة فزعها منه دون أن يبدو عليها ادعاء العكس! منذ متى ولديها هذه القدرة التمثيلية وتكذيب العواطف الجبارة التي قد تنافس بها (بتاح) إله الفن لدى المصريين القدماء بذاته؟

«يا روقيائيل ويا جبرائيل ويا سمسائيل ويا ميكائيل ويا صرفيائيل»

مد الزوج يده لتدس (أمينة) بدورها جرة صغيرة بنصف وعي، وبالنصف الآخر تؤنب نفسها على مدى رضوخها التام

ليسيطرته العقلية.

فعلى حسب تذكرها، هو لم يجبرها على شيء بل كنت تخضع لأمره كدمية مسلوبة الإرادة رغم كرهها له!

«بحق رفات نخبة أسلاف البشر المندثر بين وحل السفاء. عجلوا بحق عنيائيل وبحق كسفيائيل»

ها هو الزوج يفتح الجرة ويبعثر ما بها ما رفات لمومياوات، اتخذت (أمينة) منها تجارة يومًا، لا تجني من خلفها إلا الأموال والسلطة، وها قد حالها زوجها لمحض رماد يبعثرها بهواء الحجرة المكتوم. في حين ترمقه هي في حسرة عاجزة.. كيف وافقت أن تسلمه ثروتها بهذه البساطة؟ لا تعلم لكن عليها أن تدس في يد زوجها الممتدة لها، هذا التمثال الفرعوني الصغير العتيق.

«بحق هذا الفعل وهذا القول، بحق تدنيس ما كان سالفًا وما سيبيت لاحقًا، طش طش افذافه بح بح بطرش الفياههرهية العجل»

تمتم بها الزوج وهو يخرج أزميلًا حادًا من طيات ملابسه الفضفاضة يضرب به على التمثال، مشوهًا هذا الأثر الفرعوني الأصلي. فمن من المصريين القدماء تصور أن بعد آلاف السنين سيأتي من يحقر فنهم بهذه الشاكلة المهينة؟

«بحق مساخيط الحجر وعفاريت الجان والمذهب ومره والأحمر وبرقان وشمهورش وزوبعة وميمون أبانوخ»

ظلت يده تنبسط لتمده (أمينة) بمختلف الأشياء الفرعونية التي يهدرها سدى، كان لديها بها خطط تنتهي بمال وفير لكنها حالت لأطلال. مزق ورق البردي وأكمل عليه بأن جعل نيران الشموع تلتهمه حتى اختفى كأنه لم يوجد. نثر المزيد من الرماد المصنوع من مزج رفات الموتى وأتربة التماثيل الصغيرة وهشيم ورق البردي، حتى غطت وجهه وكافة ملابسه الكامنة في جلبابه الذي لم تبصريه يومًا يرتدي غيره.. الخلاصة أنها راحت تمده بالغرض تلو الآخر في ترتيب معين لقمه إياها زوجها كثيرًا تحضيرًا لهذا اليوم المنشود.

«أناشدكم بالعجل العجل العجل الساعة الساعة الساعة الوحا الوحا الوحا الذر الذر الذر الحريق الحريق الحريق»

لقد سمعت (أمينة) ما يشابه الإنفجار تصحبها فرقعات متتالية بالأنفاق المودية لهذه الحجرة! نتج عنها صرختها الفزعة كرد فعل طبيعي لهذا الدوي الأقرب للعبوات الناسفة.

وبعين أخرى غير بشريه يمكننا أن نرى قبائل من الجن وعشائر من الشياطين تحاول بلوغ هذه الحجرة لمنع ما يقوم به الزوج من فجور، لكن عليهم أولًا تخطي رصد الهرم..

فعلى شتى أنواع الأثار رصدًا بالغ القوى لا يقدر عليه أقوى الشيوخ تدينًا أو أعتى السحرة دنسًا، فما بالك إذًا برصد هرم خوفو العظيم.. قد يحتاج المقتحمون من الشياطين والجان دهورًا لقتل راصد واحد على الأكثر، وجل ما يحتاجه زوجك ليتم مبتغاه هو بعض الدقائق لا تبلغ النصف ساعة حتى.

«بحق هذا الكلام طش طش افذافه س ووسوسة واطاعة وقبول قولي بطريقة العين في الدموع والقلب بالحركة والليل بالاحتراق والجد بالضربان»

هنالك مشاعر عجيبة تضرب كيان (أمينة) الآن! الهواء بالحجرة ينحسر ورئتيها تنقبض وعينيها تجحظان، وينتابها إحساس مفاجئ بالحرارة بالمنطقة العليا لأذنيها.. لقد رأت تلك الأعراض على والدتها مرارًا قبل أن توافيها المنية على يد الأزمة القلبية.. هل سيتوقف قلبها عن النبض الآن كما خذل والدتها من قبل؟

لمَ لا؟ فما يحدث خارج تلك الحجرة من هول مميت كفيل بإصابة جسدها كله بالشلل من مجرد رؤيته، لكنها لا ترى بل تسمع الصراخ والإنفجارات، وعلى هذا وجب عليها الحمد من الله أن عينيها طبيعية لا تبصر العوالم الموازية.

«لا أمان عليكم ولا أكل ولا راحة ولا شرب ولا قيام ولا جلوس باليل أو نهار، بأرض عامرة أو بجحيم سفلي، إلا

بأجابة الرجاء»

تطلعت لوجه زوجها وهي تمده بالغرض الجديد، لتسمع الكلمات تخرج من فمه يشوبها ألم بين، يحاول طمسه برفع رتم تمتمته والمحافظة على تجهم وجهه.. إنه يشاركها الشعور بيد الموت الغافلة تلك، لكنه يحاول التماسك، لذلك عليها التمالك بدورها، فليس التقهقر من المكان خيارًا.

حتى أخيرًا انتهت كافة محتويات الحقيبة، لقد أتممت (أمينة) جزءًا شاقًا من مهمتها ولم يبقى سوى أبسط جزء –على حد قول الزوج- وهو حفر اسمها بالأزميل على قطعة الأثار الأخيرة.

وقفت أمام زوجها مسلوبة الإرادة، مطيعة أوامره، مستعيدة اسمها الحقيقي الذي لم تستخدمه منذ سنوات طوال، بينما هو لازال يتمتم:

«بحق زنقط وشقونقاش ومازر وكمطم وقسورة وطيكل وصلهوب والغضوب وبحق هذا الكلام العجب العجب الساعة أقدم نسلي وعقيلتي من قبله»

- مهلا.. تقدم ماذا؟

لم يمهلها زوجها الوقت لتستوعب كلمته الأخيرة أو حتى لتنهي سؤالها، الذي خرج عنها عفويًا رغم تحذيرات زوجها

بعدم الحديث داخل المقبرة بأي شيء. فمجرد أن أتممت حفر اسمها على التمثال قبض زوجها على الأزميل بين أناملها الرقيقة ليدسه في عنقها بحركة خاطفة لم تدري فيها ما أصابها. ثم دفعها لتصطدم بجدار الحجرة وتهوي أرضًا.. لقد حاول الزوج قتل (أمينة) ولم يتبقى سوى ثوان معدودة لتبيت محاولته تلك ناجحة عن جدارة!

لقد أخرج الأزميل عن عنقها وألقاه بعيدًا، تاركًا هذا الثقب المتطايرة منه الدماء سالبة في تدفقها روحها. كم أن (أمينة) مسكينة؟ ها هي تحاول سد عنقها بكفيها لكتم الدماء، ملزمة إياها على المكوث داخل جسدها، غير مبالية بالشرايين التي تمزقت أو النزيف الداخلي الذي سيهتك بحياتها إلا إذا لقت عونًا طبيًا سريعًا، ولكن كيف هذا وهي بمقبرة سرية لا مخرج منها؟ تعلم أن بمحاولتها اليائسة تلك لا تمد روحها إلا بعض الدقائق من العذاب على أمل أن يجد بها جديد.

ما هذه الحركة التي تشعر بها؟ لا إنها ليست سكرات الموت أو تأثير الحرب الطاحنة على بوابة المقبرة بين كل ما هو خفي. بل هي حركة رقيقة بأحشائها كما لو أن ما بها يثور للخروج من جسدها مقلدًا الدماء من عنقها.. كم أن (أمينة) حمقاء؟ لديها كل العلامات من غثيان لأتفه الأسباب، وقيء لأجمل الروائح، وشراهة لكل أنواع الطعام وأغربها.. إن

(أمينة) حبلى، حتمًا هي بالشهر الثاني أو الثالث لأن معدتها لم تنتفخ بعد. وها هو الطفل يتألم بأحشائها لأنها تتألم بدورها.

أما والد الجنين ينتصب مكملًا ترتيل تعاويذه الشياطانية الكافرة غير مبالي. هل تهرب من هذا المكان أم تحاول الانتقام؟ كيف ستفعل هذا أو ذاك؟ فبالخارج متاهة من الممرات المتشعبة، لا يوجد بها أي علامة للخروج من الأنفاق، أما الإنتقام فهي فكرة محسومة نسبة إلى قوة الزوج، التي مهما بلغت من ضعف ستكون حتمًا كبيرة بما يكفي لهزيمة امرأة حبلى جريحة تنزف حتى الموت مثلها.

«اسرع بطرفه العين وجمع الوتر بعلطيل بالعلا يكهوشل بظلمنشى بر قبوش بطقوعش دكلبش هيلوش عيلوش»

حتى رأت الأزميل يرقد بالقرب منها في وداعة رغم ما يلطخه من دمائها ممتزجة برماد التمثال! عليها أن تفيق، فقد أفنت سنة من عمرها مع رجل لا تعلم عنه ولو حتى اسمه دون تأفف، وحين تحبل بطفل من صلبه يقتلها ويقتله بعد أن بدد ثروتها! قد تكون ضعيفة لكنها لم تكن يومًا بالخاضعة.. عليها بالثأر مادامت روحها تكفل لها الفرصة قبل أن تفارقها، دون أن تعبأ بمصيرها بعدها، مستعيدة (أمينة) هانم القديمة ولو لدقيقة.

اقتربت (أمينة) من الأزميل بكل طاقتها، تشعر بآلام! عليها أن تتحامل، تشعر بالدوار! إنها أعراض طبيعية لما تفقده من دماء، ينتابها اليأس بأن الأمر لا جدوى منه بالأساس! كلها ثوان على أي حال ولن تشعر بشيء للأبد.

تذكرت كل أحبائها الذين حرمت منهم، كافة علاقاتها التي سلبت منها، حلمها في التعرف على الأسرة الملكية الذي اندثر مع الزمن، جسدها الذي سيضحى ختامه بهذه المقبرة المنفية عن العالم تتعفن في صمت وتلتهمها الديدان في وحدة.. قد لا تعرف شيئًا عن زوجها المبجل لكن ما حدث كفيل بترسيخ تأكيد أنه لن يكلف خاطره في دفنها بشكل لائق بالطبع.

هل طمع بالقوى لنفسه متفردًا وقرر إقصائها من الصورة؟ أم أنها ليست أكثر من أضحية بالية من البداية؟

«أقسمت على الجميع باسم الجميع بحق الذي انزل على الخر ففتته وعلى الليل فأظلمه وعلى النهار فأضائه بعلش علشافش أجيبوا واسمعوا عزيمتي»

ضغطت على أسنانها حتى كادت تهشمها، ثم وثبت صوب الأزميل كضفدع بعث للحياة حديثًا، قبضت على السلاح بيمناها في حركة سريعة خاشية أن يتملكه أحدٌ قبلها، بدأت الدماء تسيل من عنقها في قوى أكبر بعد أن أضحت يدها

اليسرى وحيدة في مواجهة هذا الفيضان. تذكرت أن بهذا الفعل تبخس بما بقى لها بالحياة من دقائق! عليها التذكر كذلك أنه لا بأس بالأمر مادامت ستموت شبه راضية، فلا فارق إن كان عقب سنوات أو بعد ثوان.

انتصبت في وقفتها مصوبة بصرها نحو قاتلها سابقًا وقتيلها لاحقًا، أرجعت ذراعها القابض على سلاحها للخلف، محاولة استنجاد أكبر قدر من القوة لعمل أعظم تأثير من ضرر. كما أنها ثنيت ركبتها عاقدة العزم على ألا تتوقف عن العدو إلا وهي تلثم زوجها العزيز بطعنات الموت.. تهيأت (أمينة) كثيرًا وكثيرًا لكن الوقت لم يسعها لفعل أكثر من هذا.

بدأت الأذرع والأيادي تبرز من الجدار خلفها لتقبض على جسدها بأكمله! لم تخترق الأذرع الجدار أو تحطمه بل برزت منه كما لو أن الجدار، فقد فيزيائه الخاصة من الصخر للبلاستيك الرقيق الذي يمكنك ثنيه وقصه حسبما تشتهي.. إن هذه الأذرع لا تقيد (أمينة) فحسب، بل هي تجذبها نحو الجدار، حيث بدأت بالفعل تغوص به وهو يطمس كيانها.

كم إن (أمينة) سازجة؟ أبهذه البساطة ظنت الأضحية البشرية، محض دماء تسيل أو أعضاء تبتر؟ إنها بالفعل لا تعلم شيئًا عن أسر الأرواح، لكنها ستخوض الأمر حتى

النخاع الآن، وتفطن كم كانت معدومة الحيلة منذ البداية.

بلحظة ما كانت هنالك (أمينة) وباللحظة التي تليها لم يتبقى منها سوى أزميلها. فحتى دمائها التي لطخت جزئًا لا بأس به من الحجرة، اختفت لتعود إلى نظافتها التي كانت عليها دومًا. ابتلعها الحائط سالبًا منها أقل حقوقها في الصراخ على الأقل ولم يتبقى سوى صوت زوجها بالمكان.. كم كانت (أمينة) تعسة بلا حول أو قوة!

«شموا دختني بعلشطل بعلشطل بطد بطد بكهوشل بكهوشل بطعمش بطعمش بطغريوش بطغريوش بصبصطقوش بصبصطقوش»

قالها الزوج، في حين أن عقد زوجته يتكون حول عنقه كما أن الهواء ذاته ينقله، ثم شرع في التجرد من جلبابه الفضفاض ليظهر جسده العاري كما ولدته أمه، بما وشوم عليه من طلاسم عجيبة جامعة بين كافة أنواع السحر، العربي منها والكابالا والفودو. أخرج من جيب جلبابه قبيل أن يلقي به بعيدًا شريحتين من نبات الصبار، الواحدة منها بحجم كف اليد تقريبًا، مثبت إحدى واجهتها برباط مطاطي متسع كفاية ليتقبل ساعد بشري.. لقد صمم ذلك الصبار على هيئة قفاز!

ارتدى الخواجة –كما دعوه الأسبقين- هذا القفاز المطلي

بإكسير أحمر ثقيل يتواجد بشكل نادر بين المقابر الفرعونية، من ضمنها ذات المقبرة التي كانت ستبعثرها (أمينة) على الأتراك بعد أن تبتاعها من (النباش). إنه الزئبق الأحمر بما يشاع عنه من أساطير وقدرات خارقة، راح ضحيتها (بهي) الذي تشبث به عن دون قصد، ليستحوذ عليه الخواجة بالنهاية. الذي بمجرد أن لامست الأشواك كفيه شرعت في ثقب جلده وفرار قطرات الدماء.

وبدون مقدمات ضرب الخواجة معدته بقفازه الشائك اللزج، تاركًا ذات الأثر من الثقوب الدامية، ولكنها لم تكن الضربة الوحيدة! بل راح بعدها يوزع الضربات والصفعات على كافة أنحاء جسده بعشوائية مختصًا بالذكر عورته لتضاعف ما يهيج كيانه من ألم. عليه أن يستمر فيما يفعله مردًا تعويذته الأخيرة بلا ملل أو انقطاع لمدة واحد وعشرون دقيقة متتابعة.. مع انقضاء كل دقيقة تنطفيء إحدى الشموع مؤكدة على نجاح ما يتمه الخواجة وقرب وصول سيده حال جسده لمصفاة تقطر منه الدماء من كل حدب وصوب ويختلط به الزئبق ليُزيد جرحه حرقة، حتى أن ما يغطي جسده من وشوم سوداء طمست أسفل لون الدماء القاني. هنالك أماكن بجسده غرست بها دبابيس الصبار بقوة مما أودت لتمزيق جزء لا يستهان به من جلده عند اخراجها بهذا العنف.. لقد شوه جسده بأكمله لكنه أتم

الأمر أخيرًا.

انطفئت الواحد وعشرون شمعة منتظرًا التالي محاولًا التقاط أنفاسه بمشقة، مقاومًا السقوط مغشيًا عليه لما اعتراه من ألم بدني ونفسي، حتى بدأ الشك يلتهم قلبه بأن تعويذته قد فشلت! فلم يلبث أن يراجع طقوس التحضير ليستنبط موضوع الإخفاق، حتى اشتعلت الشموع بأكملها من تلقاء نفسها وراحت النيران تتضخم بالغة سقف الحجرة في مشهد غير منطقي! فكيف يمكن لتلك الشموع الصغيرة توليد تلك النيران الجحيمية العظيمة؟

راح الخواجة يقوم بأغرب شيء قد يفعله أحدهم في مثل هذه المواقف، شرع يفرغ ما بمعدته! لم يكن طعامًا بالطبع، بل تربة طينية ذات لون أسود أكثر إعتامًا من الليل نفسه عرفت من قبل برمال بئر (راهوت) اليمني، وبعض قصاصات الورق البالية.. لكن ما هو أغرب من كل هذا هي وشومه التي تحركت كما لو دبت بها الحياة فجأة! في البدء دارت حول نفسها كما لو أنها تتأكد من حريتها، ثم راحت تندفع صوب حنجرة الخواجة، لتختفي بعدها! لقد كان يتقيأ وشومه تاركه جذعه الأبيض بلا شائبة! –لو تغاضينا عن ثقوب الصبار وصنيعها من الدماء-.

في هذه الأثناء كانت أصابع أحدهم نبتت من العدم تقبض

على غطاء التابوت من داخله، يزيحه ببطء مميت! ليستقيم بجسده بين النيران جاهزًا للعيان بجسده الجهنمي ورأسه الحيواني المخيف. كانت هنالك حلقات تقيد كافة مفاصله وعضلاته، وحلقة أكثر كبرًا تقيض ذراعيه في صدره دون أي سماحية للحراك، لكن هذه الحلقة الأخيرة راحت تتوهج بالأحمر كما لو أنها تنصهر أسفل حرارة أفران العالم مجتمعة أو الجحيم ذاته، ليتضائل تماسكها ويلين معدنها حتى انكسرت لنصفين، محررة جسده من هذا المحبس المقيت. فصرخ بعدها محتفلًا بحريته مؤكدًا للعالم أنه عاد..

- لقد عدت أيها الحثالة.. لقد عاد الشيطان الواحد والعشرين ليذيقكم ويلات الجحيم.. لقد عاد (بن المضبع).

كانت صرخته كفيلة لإخماد نيران الشموع، وكتم كافة أنواع الإنفجارات والفرقعة الناتجة عن تشابك رصد الهرم بعامة الجن والشياطين المتضررين من عودة الشيطان الواحد والعشرين.. فمن هول صرخته أودت بحياة بعضهم بالفعل، أما البعض الآخر فقد فر بحياته آملا ألا يسقط بين براثن هذا الشيطان يومًا.

لقد قضى الشيطان ما يفوق الألف عام ببضعة قرون وهو حبيس بثبات بين طيات الجحيم، بسبب تعوذية (ابن الحظرد) المحرمة. لقد ضحى هذا الأخير بحياته من أجل

إنقاذ البشرية، لكنه لم يفعل. فبتحرر الشيطان الآن سيتملك الأرض كما خطت ويضحى كل ما فعله (ابن الحظرد) هو تأخير المحتوم لا أكثر. لا بد إن بقية أخوته من الشياطين العشرين قد أتموا صناعة (عتاد الخطاة) بالفعل، وهم الآن في انتظاره لاستخدامها، فمن دونه لا تتعدى العتاد حيذ الأغراض الملعونة المزعجة للبشر.

فأمر الشيطان الخواجة بنوع من الرضا بالنهوض عن سجوده، بعد أن تلمس منه الطاعة، وإطلاعه بعدد المحاولات التي بذلها لتحريره. هو يكره البشر عن بكرة أبيهم ويتمنى سفك دمائهم أجمع اليوم قبل الغد، لكنه لا يمانع من تكوين بعض الأتباع على سبيل إرضاء الغرور.. ليجيب الخواجة في عجلة، محاولًا منع لسانه من التلعثم:

- إنها مرتي الأولى يا مولاي وكانت موفقة بفضل عون أتباعك المخلصين الذين أتشرف أن أبيت أحدهم.

- يسرت من تحريري من تعويذة الحلقة التي لم يعرفها بشر أو جان من قبل، بتجربتك الأولى! كم روحًا أفنيت لهذا العمل إذن؟

- بعون حاشية مولاي المتجسدين في هيئة مسوخ، قضيت بمصر عامًا واحدًا، حصدت بها ألف روح ختمتهم بزوجتي وجنيني بأحشائها.

تبسم الشيطان بمكر من دم الخواجة البارد في تحمله ذنب قتل ألف شخصٍ والتضحية بأسرته الخاصة من أجله خاصة في هذه المدة القصيرة، فسأله في فضول:

- يبدو أن لك بالسحر باعًا، من أنت أيها الطيني؟

- أنا من نسل حارسة المخطوط (سيسيليا) المسيحية يا مولاي، أو كما تعهدها أنت باسم (زبيدة) اليمنية. وتلميذ رسولك المخلص الساحر (ألستر كراولي).

علم الشيطان الواحد والعشرين أن هذا الإسم ليس بغريب على مسامعه، فسرعان ما نطق الخواجة موضحًا، أنه عقب أن أمر (ابن الحظرد) شقيقته (زبيدة) بالتوجه صوب القسطنطينية –أن لم يقابلها على الحدود المصرية- تحت حماية اثنين من أعتى أتباعه من الجان، ذهبت لما يعرف الأن ب(انجلترا) حاليًا، لتغير بعدها كل شيء عن نفسها ابتداءً من اسمها انتهاءً بديانتها آملة التخفي عن الشيطان الواحد والعشرين وكل أتباعه. وظلت عائلة الخواجة من نسل (زبيدة) ترث علم مخطوط الذي يكمن به الكثير من الأسرار مثل اسم الشيطان الواحد والعشرين الحقيقي وهو (ابن المضبع) بجانب طريقة تحضيره وقتله. فبمجرد أن بلغ نجل (زبيدة) سن البلوغ، ورث علم المخطوطة على شاكلة وشوم على جسده ونستها (زبيدة) نفسها، ثم أورثها لأكبر

أبنائه من بعده وهكذا، حتى أنتهى المطاف بالخواجة. لكنه حتى لو قرر أحدهم استخدام علم المخطوط يومًا ما على مر الأجيال، سيمنعه ما عليه من حارسان، ورثهما مع العلم كضريبة إضافية، بل ويجعلانه مخفيًا عن أتباع (ابن المضبع) بكل بقاع الأرض لو حاولوا البحث عنه.

كان الخواجة مختلفًا عن الباقين بصدق، حيث أوقعه حظه العاثر بالإنخلاط بالساحر الإنجليزي (ألستر كراولي). أعجب الخواجة بفلسفة (كراولي) الخاصة بالحياة، والبدع التي يستطيع القيام بها بعون ما يسخره من الشياطين والجان، في مقابل بعض الأمور التافهة في نظره كأكل لحم البشر أو قتل الأطفال، لكنه على الناحية الأخرى سيملك علمًا وقوة يحسده عليه الكون بأسره بل يؤهله لقيادته كذلك. فراح يتشرب من دروس (كراولي) ويصدق على معتقداته حتى أخذ يتدرج بالمناصب من مجرد مؤمن بفكر الرجل، مرورًا بتلميذ نجيب، انتهاءا بخادم مخلص يؤتمن على حمل أسرار سحره.

وبمجرد أن تعلم الخواجة السحر والتسخير، قام بالقضاء على حرس المخطوط، ليجعل من نفسه حرًا في أستخدامها، -والأهم من هذا- وظاهرًا لكافة خدم (بن المضبع) عن دون قصد.. وبالأخص (إيواس) الذي اقتحم حياتهما ليغير بها كل

شيء.

في البدء أمر (إيواس) الساحر (كراولي) بالحضور لمصر من عدة سنوات لعطيه الوحي اللازم لكتابة (كتاب القانون) الذي كان بمثابة دراسة مفصلة لتاريخ (ابن المضبع) هو وأخوته وتفحيص كن (عتاد الخطاة) ومدى قوتهم وتأثيرهم، وهذا بالطبع على نقيض ما فعله البصاصين مع (ابن الحظرد) قديمًا حين لم يخبروه إلا معلومات سطحية عن الكيانات القديمة منها الشيطان الواحد والعشرين وأخوته.. كتمهيد لحضور (ابن المضبع) للأرض على يد أتباعه.

ثم أمر الخواجة أن يلحقه بعدهما ببضعة أعوام لتحرير (ابن المضبع) ذاته توفيقًا لشروط تحريره المستعصية والتي كانت أولها القمر الدامي الذي يجبرهم على الإنتظار حتى تتكرر هذه الظاهرة الفلكية النادرة. بجانب شرط مزاولة الطقوس بمكان خال من أي نمط للحياة الطيفية أو الشيطانية التي تنطبق على الهرم الأكبر، بفضل ما يحمله على بابه من رصاد بواسل يمنع ولوج أي كيان غير بشري، ناهيك عما يحمله الهرم من طاقة روحانية هائلة، كفيله بنجاح التعويذة دون أي تدخلات.. لهذا كانت خطة الشيخ (عبدالل بن الحظرد) قديمًا بلوغ مصر لقتل (ابن المضبع)

لكن هذا الأخير كان له بالمرصاد قبلها.. هنا فحسب فهم (ابن المضبع) خطه غريمه المضللة وكم كان ساذجًا لعدم توقع حيلته.

لاحظ (ابن المضبع) أن كافة مفاصل جسده لاتزال مقيدة بحلقات بغيضة، فراح يحمل الحلقة الكبرى المحطمة من على الأرض وهو ينظر لها بكل غل كادت نظراته أن تذيبها بين أنامله الشيطانية. ليقاطع الخواجة تركيزه متنحنحًا وجسده لازال يدمي من أثر الصبار، وهو يقول:

- كل شيء معد لخروج سيدي للعالم، وسيتم العثور على أخوتك وعتاد الخطاه بسهولة عن طريق كتاب القانون الذي به كل تعاليمك ووصاياك.. وكنت فحسب طامعًا في كرم مولاي بمكافأة على هذا العناء الذي بذلته.

نظر له (ابن المضبع) وهو يتبسم في خبث مجيبًا:

- لك ما تريد أيها الطيني.

ثم رفع (بن المضبع) يده بنصف الحلقة المكسورة، ليغمض الخواجة عينيه استعدادًا لإستقبال كرامات الشيطان.. ولكن هل يأتي من الشياطين أي نوع من الكرامات أو المنح؟ خاصة لو كان الشيطان الذي نتحدث عنه هنا هو (ابن المضبع) من ارتبط اسمه دومًا بين الشياطين بالمذابح

والخراب.. لم يفكر الخواجة في أيًا من هذا، بل لم يطرق لعقله يومًا.

فهوى (ابن المضبع) بيده، ليتطاير على أثرها رأس الخواجة في الهواء مصحوبة بنافورة من الدماء من عنقه. فتح هذا الأخير عينيه ليجد الحجرة من حوله وهي تدور حول محورها دون أن يدرك ما أصابه، لكنه فهم كل شيء حين رأى جسده وهو يهوي على الأرض خائر القوى، بعيدًا عنه.

وكان آخر ما رأه بعد أن اصطدمت رأسه بأرض المقبرة، هو عيني (ابن المضبع) الحمراوتين وهي تتلألأ كالجمر بين عتمة المقبرة المهيبة التي اختفت منها إضاءتها.

كم كان الخواجة أحمقًا على تلك الثقة؟ ربما ستجيبه (أمينة) على هذا السؤال حين يلقاها، لكنه أولًا عليه المرور بكافة مراحل أسر الأرواح التي أذاق منها الكثيرين قبله.

***

(٨)

أغلق عينيك

بعدشهر بالمدرسة

المبنى الداخلي

الثامنة مساءًا عام ٢٠٢٠

- لقد انتويت اقتحام المبنى المهجور يا (دياب).

- !!!!

في البدء حين دخل (علاء) الفصل عقب فترة الراحة المدرسية، رأى صبية لم يخرجوا من طور الطفولة يتنافسون في شناعة الخط بقلم سبورة نساه أحد المعلمين بالفصل.. كانت مكتوبة بإهمال وبخط ردئ وسط آلاف الخطوط التي لم تكن تستطيع التفريق إن كانت رسمة لذكر بط أم كلمة من حروف ونقاط، ورغم ذلك الزحام رآها (علاء) دون غيرها! بالتأكيد لم يلقي لها بالًا، فلا أحد يأخذ بالعلامات من الوهلة الأولى لكنه شعر بخطب ما.

ثم رآها مكتوبة بالحبر على تختته الخشبية أسفل

شخابيط حاولت محوها، فرغم أنه قضى على هذه التختة تحديدًا ما يقارب الشهرين ونصف وملاحظته لها من قبل، لكن تلك مرته الأولى التي بوسعه فيها استبيان أن هنالك شيئًا مكتوبًا أسفل الشخبطة بل وينجح بقراءته بهذا اليسر!

ثم شرعت الكلمات تظهر بكل مكان بكافة الألوان والأشكال، يرددها أقرانه من حوله، تنقش على الجدران بالطبشور أو تحفر على الصخور بطرف المفاتيح المدببة، تقتحم دروسه المنزلية بصورة مريبة، حتى كاد يتوهم سماع (فندق) ينبح بها وقطط المطعم بها تموء.

كانت كلمتين لا ثالث لها: (في المبنى)، وبالطبع لا يعلم إن كانت تلك رسائل خفية ما تحاول بها أرواح المبنى أو أيًا ما كانت التواصل معه؟ أم هواجسه السائمة من المعلومات المنقوصة من هذا وذاك، فقررت حثه على معرفة الأمر بنفسه مهما تكبدت المعرفة من مخاطر، قد تودي بقتله كدفعة الشؤم كما أطلق عليها وكيل شئون الطلبة؟.. نعم الأمر قد بلغ حد الموت، فحلم أستاذ (حمدي) العجيب الذي راوده أثناء وعكته الصحية المفاجئة بالمدرسة، بما يحمله من سحر وشعوذة، يبشره أنه يتعامل مع أكبر مما تصور أنه قد يعاصر يومًا.

التجاهل رفاهية لا مكان لها في حالتنا فإما أن يدلف المبنى

ملبيًا الرسائل، أو يفقد عقله بأن تزوره الرسالة في أحلامه أو تتردد في أذنه من العدم. وحين أطلع (دياب) شريكه بالغرفة عن نيته، كان رده:

- أجننت يا (علاء) أم أن امتحانات الشهر رفعت حرارتك حد التخريف؟

فأجابه (علاء) مدعيًا الحزم بعد أن توقع هذه الإجابة، حتى لا يثنيه عن نيته:

- لقد اتخذت قراري بالفعل، وأنا لست هنا لتحثني على التراجع أو شيء من هذا القبيل. أنا أطلب منك أن تداري على غيابي إن سأل أحدهم علي.. مهما كانت إجابتك بقبول مساعدتي أم لا، سأدلف للمبنى بكافة الأحوال.

كان التصميم مشرقًا على وجه (علاء)، فلم يجد (دياب) بيده حيلة غير الترهيب كما اعتاد معلمين الإبتدائية دومًا:

- ألم تسمع عن مقطع الفيديو المنتشر على هواتف الطلاب، عن الفتى الذي اقتحم المبنى، وخرج منه فارًا كالخراف أيام عيد الأضحى؟

صمت (علاء) محبطًا وهو يتذكر المقطع عن (سليمان وشوقي) الذي عرضه عليه (محسن) بيومه الأول بالمدرسة ومدى تأثيره الثقيل على روحه. فقراءة التقارير أو رؤية

المقاطع عن الأماكن المهجورة تصيب المرء بنوع من التوجس أو حتى الإجفال، لكنها أبدًا لن تصل لمرحلة الرعب التي تتملك منه حين يسكن على دنو من إحدى تلك الأماكن.

أجاب (علاء) في قلة حيلة بأنه يجب عليه أن يفعلها رغم تأثير هذا الفيديو القوي على تماسكه. فتنهد (دياب) في يأس من إرجاعه عن قراره سائلًا عن خطته للأمر، ليجيب (علاء) بنوع من الحماسة التي عاودته بموافقة صديقه على معاونته:

- لا شيء جلي، سأستغل مغادرة الغرف الجماعي وقت العشاء ثم أنسال للمبنى ضابطًا مؤقت هاتفي على ساعة واحدة حتى أعاود حجرتي بالوقت المناسب ولا يسرقني الوقت هناك كأن شيء لم يكن.. ولو ضبطني أحد المشرفين بملابسي المتربة من المكان سأجيبه أني تعثرت بأحد الحدائق أو شيء من هذا القبيل.

استحسن (دياب) الفكرة بمبدأ (إن لم تستطع منعهم لتنضم إليهم)، وراح يتعمق بتفاصيل تلك الخطة سائلًا:

- وكيف ستستعد للأمر؟

- إن كنت تعني بهذا الاستعداد كتابتي لوصيتي، فلا لم تسعفني الظروف بعد.

- دعك من وصيتك فمن يدلف للمبنى بمحض إرادته ليلًا بعد كل تلك التحذيرات، سيطعن في قواه العقلية على أي حال.

فنظر له (دياب) نظرة ذات معنى، فهم (علاء) مقصدها على الفور. فأسرع بوضع منشفة على النافذة الصغيرة المتوسطة لباب الحجرة، مانعة أي عين متطفلة سواء من زميل أو مشرف. ليخرج (دياب) جهازه المحرم بين أسوار تلك المدرسة وهو هاتفة المحمول حديث الطراز من مخبئه أسفل الفراش، وكافة المتعلقات الإلكترونية التي تصحبه

إنها احتياطات الأمان التي تقيهم من الوقع تحت أنياب مشرف الطابق بجرمهم في نظره، أثناء تلصصه عليهم خلسة من تلك النافذة كعادته. بل إن تهريب الأفيون بالسجون أيسر من تخبئة الهواتف المحمولة بالمبنى الداخلي.

أغلق (علاء) الباب بالمفتاح من الداخل، وبتلك الأثناء راح (دياب) يرص مختلف الحاجيات على فراشه، بين مصباح يدوي وبطاريات إضافية سواء للمصباح أو للهاتف (powerbank)، وحين حاول (علاء) الإستعلام عن سبب كل تلك الأشياء فهو لا يحتاج إلا مصدرًا للإضاءة وسيضحى هاتفه المحمول كفيلًا بهذا الغرض لكن (دياب) تحجج بأن المستهترين أمثاله بهذه التفاصيل هم أول من يموتون

بالقصص، فآثر (علاء) ألا يجادله كي لا يضيف (دياب) على تلك الحاجيات سكين الطعام خاصته لطعن الأشباح أو حبلًا معقودًا بخطاف لتصلق الحوائط. كما حرص (دياب) على توصيل هاتفيهما بنمط تحديد المواقع (gps) حتى يعثر عليه بسهولة لو أصابه مكروه.

وحين أتت ساعة العشاء، قام (دياب) بتوديع صاحبه بعناق من لن يروا بعضهم مرة أخرى، كما لو أن (علاء) ذاهبٌ لحتفه أو مهمة انتحارية على الأقل، حتى توقع أن يتمتم صديقه في أذنه وهو يشد على قبضته (مصر أمانة بين يديك)، لكنه عوضًا هذا أردف:

- أمامك ساعة واحدة كما قلت، لو زادت عن الساعة بدقيقة سأبلغ عن كل شيء لمشرف الدور متبرئًا من معرفتك بالأساس.

- أنت تعلم أن فعلك هذا قد يودي بفصلي عن المدرسة لهذا الصف الدراسي أليس كذلك؟

قالها (علاء) بتعجب ليجيبه (دياب) ببساطة:

- من الجيد أنك تعلم نتيجة وشايتي، فاحرص على الإسراع إذن، وإلا سيجبرك مشرف الدور نفسه على الإسراع في لملمة حاجياتك من الغرفة.

لقد كان (دياب) كالأمهات التي تبدد متعة أطفالها بتقليل أوقات متابعة الرسوم المتحركة لحرصها على بصرهم من التضرر. كان تهديده صريحًا وبذات الوقت ينم على أنه صديقٌ مخلص بحق.

انطلق (علاء) بين الطلاب مدعيًا مشاركتهم وجبتهم بالمطعم، وهو يفكر بشأن تهديد (دياب) حول تأخره عن الساعة.. ولكن هل يوجد احتمال بعدم عودته أبدًا؟

***

لم يختلف مدخل المبنى من قمامة ومخلفات الأثاث المحطم عما رآه في الفيديو، بل إن المبنى ذاته يبدو وديعًا كأي خرابة بأي منطقة شعبية أو حتى راقية. من زعم إن منازل مصاصي الدماء تسيل الدماء كالشلالات من نوافذها؟ وبالمثل لن يتوقع (علاء) أن يبصر الأشباح تحوم حول المبنى في غير هدى. المبنى بريء من كل تلك التخيلات الظالمة، لكنه بذات الوقت هادئ أكثر من اللازم حد الإدعاء.

فترجل مسترشدًا ب(فلاش) هاتفه المحمول بعد أن حرص على عدم استخدام أي تطبيق آخر بالخطأ. اتبع ذات التوجيهات التي أدت ب(سليمان) لوجه الكلب المتحرك، يعلم أن ما يفعله خطير بل يصل لدرجة الحمق. لكن هاتف (سليمان) لم يستشعر أي شيء إلا بدلوفه لهذا العنبر،

بالأخص مع تجوله بعشوائية بالمكان دون أن يبدي هاتفه أي تفاعل، هذا يعني أن مصدر عبارة (في المبنى) التي تلاحقة نابعة من هذا العنبر بمكان ما.. هكذا فكر وهكذا أقدم على الفعل.

بالعنبر اثنتي عشرة حجرة كعنبره الأصلي بمبناه، كيف سيجد ضالته –التي يجهلها- بين كافة تلك الغرف؟ فراح يتقدم بالعنبر لعله يستشعر بشيء ما. في الواقع لقد كانت الأحاسيس متضاربه بجسده حد عدم التمييز، فلو أبصر الشيطان ذاته وهو يشير له على غرفة معينه لما لاحظ الأمر من الأساس.

فتارة ترتفع درجة حرارة المكان فتتساقط حبات عرقه في فزع، وتارة أخرى تنخفض تلك الحرارة حد تنفسه بزفير بخاري، وسرعان ما يتجمد عرقه من جديد، ليزداد هلعه بملمسها المثير للقشعريرة على البدن. هنالك فئران تتجول بالأرجاء معترضة على اقتحامه وكرها الخاص، فتتخبط بالموجودات من حولها، صانعة دوي يردده المكان في عنف كدوي الألغام. تتعثر قدمه بقطع من زجاج مهشم أو صخور فقدت مستقرها بالجدار بفعل الزمن، فتتخبط خلجاته إعتقادًا أن أحدهم مسه.

يشعر بكل هذا وأكثر بنفس الثانية، رغم أنه لو تعرض

لكافة تلك الأمور بمكان مختلف لتعامل مع الوضع بطبيعية وربما لم يعبأ لأمرها من الأساس. لكنه الآن بالمبنى المهجور ذو السمعة الكاتمة للأنفاس، الذي يجعل من أي فعل داخل أروقته مهما كان تافهًا، له أثر جهنمي على تماسك (علاء) الذي أوشك على التحطم عن بكرة أبيه بالفعل.

وصل لنهاية العنبر دون أن يلاحظ شيء يذكر. هل يقتحم غرفةً غرفة؟ لا يمتلك الوقت أو رباطة الجأش لهذا الإرهاق. فمر بالعنبر لخروجه مرة أخرى ومن جديد لا شيء. هل يقوم بتفعيل تطبيق (سناب شات) لـ(سليمان)؟ حتمًا لا، فتلك الظواهر تكون فردية لا يشترط تكرارها بحذافيرها بذات النتائج مع الغير، وإلا كان للماورائيات علمًا خاص يدرس بالجامعات.

قام بها لمرة ثالثة وعزم أنها ستكون الأخيرة وسيرحل من هنا، ولو ظلت تلك الجملة تطارده، سيفتعل مشكلة ما تودي بفصله من المدرسة نهائيًا ليسجل له والداه بمدرسة أخرى، فهما بالطبع لن يقتنعا بحجته الحقيقية.. لكنه لاحظ شيئًا هذه المرة!

لقد لاحظ بطرف عينه شيئًا يدلف لإحدى الحجرات، كان ذو طول فارغ حتى ينفي عنه أي أعتقاد إنه فأر التي يعج المكان بأقرانه، هل هنالك أحدًا معه بالمبنى؟

لقد كانت كافة الغرف محترقة بلا استثناء لكن هنالك أثر للون الطلاء الأساسي لكل حجرة لازال نابضًا حتى لو كنفته الأتربة، عدا تلك الحجرة المتفحمة حد استحالة تمميز الموجودات بها إلا بضوء يوازي الشمس على الأقل، ناهيك أن بابها مهشم عن بكرة أبيه بخلاف باقي الحجرات التي لا تزال أبوابها ملتصقة بمفاصلها رغم ما صابها من تلف.. كما لو أن تلك الحجرة هي مركز تولد الحريق الذي التهم المبنى برمته ويمكنه تشمم تفحمها حتى الأن!. فدلف للحجرة ذات الرقم (٣) خلف الطيف لينقب بها. لقد ضيق دائرة البحث لكنه لازال جاهلًا بما يبحث عنه. كان السريرين منبعجي الأرجل كنتيجة حتمية من حرارة النيران المركزة، وكل ما بالمكان هو سواد الهشيم. لكن (علاء) لاحظ شيئًا يعكس ضوء هاتفه!

حين دقق النظر بمصدره، تبين جحرًا صغيرًا مكتنزًا خلف ساق الفراش التي ما كان ليبصرها لو كانت الساق مستقيمة. أزاح الفراش المتآكل بنوع من الجهد ثم التقط هذا الشيء البراق الذي تبين أنه قارئ كروت الذاكرة (reader) فضي اللون، انصهر أغلبه لكنه ظل محافظًا على بريقه بطريقة ما. أو ظل محافظًا على فحواه إن ابتغينا الدقة! كان به كارت الذاكرة (flash memory) سليمًا لم يمسه سوء ظاهريًا سوى بعض الأتربة.

كان على (علاء) أن يأخذها ويرحل من هنا، لكن حماسه سيره ليقوم بتوصيل كارت الذاكرة هذا في هاتفه الخاص ليكتشف ما به. فربما ليس هذا ما أتى من أجله وأنه ليس إلا خردة وعليه إعادة البحث.. لكنه عمل على هاتفه على غير المتوقع! ليجد به ملفًا صوتيًا واحدًا لا أكثر ولا أقل!

يعلم أنه سيندم على هذه الفعلة لكنه دون وعي منه أو تعقل بردود فعله، بدأ تشغيل المسجل الصوتي دون الإلتفات حتى لمدته من الدقائق، وشرع يصغي لما بفحواه آملًا ألا ينفذ (دياب) تهديده.

(٩)

خسرت شخصا

التسجيل الصوتي

انا (رمزي عسكر) الطالب الذي ظن يومًا أن مدرسته الجديدة هي الجنة البراقة التي ستمثل أول طريق النبوغ العلمي، لكنه لم يدرك أنها جهنم الملتهبة بعينها.

لا أسجل هذا المقطع الصوتي لشخص بعينه أو لهدف خاص، فالجهل أرحم لعائلتي من حقيقتي المرة، فأتمنى ألا يسقط هذا التسجيل الصوتي في أيديهم، يمكنك الاعتبار أني أسلي نفسي حتى تنقضي ساعتي.. فأنا في تعداد الأموات على أي حال.

بدأ كل شيء عندما كنت أركض فرارًا بين الأحراش، أثب لاهثًا فوق الصخور، أعدو متعرجًا محاولًا تحاشي إصابتي بأي سهم غادر.

بالفعل أنا مطارد وهم يفوقوني عددًا، لكن ما بيدي غير المثابرة على النجاة بروحي. أحد هؤلاء المسوخ المعروفة بال(زومبي) يقطع عليا الطريق فأتحاشاه في خفة، لا تمر ثوان حتى أجد رفقاءه من الهياكل العظمية الحية تلقي

على عاتقي الأسهم فانعطف مغيرًا مسار عدوي. أنا لا أقصد أي جهة فقد ضللت طريقي لمنزلي بالفعل وأملي الأخير هو بزوغ الصباح حيث تشرق الشمس بعظمتها القاتلة لكل تلك الكائنات.

مهلًا أنا أنزف! متى حدث هذا؟ لا أتذكر أن أصابني الهيكل العظمي بسهامه المسممة أو الزومبي بعضته، بكافة الأحوال فضرباتهم لا تسبب لي هذا النزيف المستمر، فحتمًا هي قرصة عنكبوت من تلك التي تطاردني بدورها. لقد أصابني بسمه الذي سيستنزفني حتى الموت، لا وسيلة لإبطال مفعول السم غير الحليب، وقد نسيته بالمنزل عند خروجي في تلك الرحلة الإستكشافية على إدعاء مني أني لن أطول وسأعاود فراشي المسالم قبل الغروب.

هل ما سمعته صحيحًا؟ أن تلك الحشرجة المميزة ليست صوتًا لأي من تلك الوحوش المطاردة لي، فلو قارناهم بما آت الآن فهم لا يمثلون إلا مزاح أطفال بالنسبة له.. إنه ال(enderman)! وهكذا بدون أن أدرك ما أصابني وجدته متصلبًا أمامي بعد ظهوره من العدم! حملني كالدمية مسلوبة الإرادة وبدأ في الصراخ الذي لا تتحمله أذنٌ بشرية أو حيوانية قط. ولم أكن مختلفًا عن الأسبقين كثيرًا فقد خررت صريعًا دون فرصة للمقاومة لأجد نفسي من جديد في

منزلي، فرحت أعد الأسلحة وأصهر الحديد سعيًا للإنتقام من تلك الوحوش، ولاسترداد حاجياتي التي فقدتها أثناء الـ...

عذرًا هل كنت أتحدث عن نفسي! يبدو أن التعبير قد خانني بعض الشيء، فبالطبع نحن بعام ٢٠١٠ لم يجتاح الزومبي البشر بعد أو وجود أي من تلك المسوخ على أي حال. لقد كنت أتحدث عن شخصيتي بلعبة (minecraft).

تلك اللعبة التي رغم بساطتها في الرسوم والمحتوى إلا أنها الإدمان الحقيقي وليس المخدرات كما يزعمون. فقد طرحت بالأسواق عام ٢٠٠٩ وحققت نجاحًا مذهلًا مناقضًا لكافة تصورات الجميع سواء من الشركات المنتجة المنافسة أو المصمم ذاته في أقل من عام.

يزعم البعض أن السبب وراء شهرتها الغير مبررة هي أن مصممها كان شخصًا واحدًا لم يستعن بأي مبرمجين أو منتجين غيره، أما أنا في رأيي أن سبب نجاحها هو تفردها عن غيرها. فهي على عكس كافة الألعاب التي تبدأ بنمط القصة ثم تطرق إلى تعليمك المهارات الأساسية للعلب أو المهمات الرئيسية. فبلعبتنا تلك يرمي بشخصيتك بمساحة شاسعة تاركًا لك الحرية لفعل ما تريد، لا أكثر ولا أقل. كل ما تعلمه عن اللعبة هي ذات نمط النجاة من انقراض البشرية وأنت البشري الأخير، ثم يترك لك المبرمج الحرية في النجاة

بالطريقة التي تفضلها.

وباعتبار شعوب الخليج هم أكثر المجتمعات استهلاكًا لألعاب الفيديو، كان للعبة minecraft رواجًا يفوق ما حققته في منشأها الأم، حتى عندما كنت مقيمًا ب(عمان) كنت استنكر من أي شخص لا يلعبها من أقراني معتبرًا إياه رجعي جاهل.

أنا لست عماني المولد، بل لدى والدتي الكثير من الأقارب هناك بجانب عمل والدي بشركات الشحن العمانية المصرية التي تستدعي سفره الدائم لهناك وقد تطول لأشهر أو أعوام لكنه دومًا ما كان يفضل العودة لمسقط رأسه في إحدى قرى (كفر الشيخ) الذي يعتبر أحد أعيانها. وكنت أرافقه أوقات الإجازات الصيفية أو منتصف العام، ومن هنالك تعرفت على عالم الألعاب واتساعه الشاسع لأنقل هوسي به لمصر بقدر استطاعتي، محاولًا التغاضي عن النظرات الغير متهمة بمدى تفاهة الأمر.

أتتني رسالة على هاتفي الجوال، فتركت المعدن ينصهر في اللعبة مرتاح البال على لاعبي موقنًا أنه لن يصيبه مكروه لتستره بمنزله المحصن، ثم تصفحت الرسالة التي لم تكن إلا نداء صديقي (أنور) متعجلًا إياي! يبدو أن minecraft اختلست من وقتي الكثير من الساعات دون أن أشعر

كعادتي.. ألم أقل أدمانًا؟

يجب علي أن أسرع بارتداء ملابسي، فاليوم هو ليلتنا الموعودة في امتحان القبول الممهد لمدرسة (عبدالناصر) ذات الصيت الحسن، وأمامنا أقل من ساعة على موعد الحافلة التي ستقلنا من كفر الشيخ للقاهرة وإلا ستمضي بدوننا، والله أعلم متى سيكون موعد الحافلة الأخرى وإن كانت كافية للحاق بموعد الامتحان أم لا. كدت أغلق الحاسوب لكن شيئًا استوقفني! رأيت من نافذة منزلي باللعبة شخصًا تشع عينه نورًا يتحرك في الأرجاء!

في لعبة minecraft أنت تلعب بآخر بشري على الأرض كما ذكرت سالفًا، ووجود شخصٍ غيري باللعبة لهو من سابع المستحيلات! فدققت النظر به لعلي أستبين أنه أحد الزومبي المتجولين أو شيء من هذا القبيل، لكني كنت حافظًا لكافة تحركات الكائنات باللعبة وما يفعله هذا الشخص هناك ليس كأي نمط عاصرته من قبل! إنه يحطب الأشجار ويحفر بالصخر مثل.. مثل.. مثلي بالضبط!

فكرت أنه قد يكون كائنًا نادرًا باللعبة أو إضافة حديثة في التطبيق، فخرجت من منزلي باللعبة عاقدًا العزم على الدنو منه للتأكد من كنهه، لكن بمجرد أن طرقت قدماي خارج عتبه داري، اختفى الشخص كأنه لم يوجد من الأساس!

تفقدت إعدادات الحاسوب لأجد إنه غير موصل بالإنترنت من الأساس، أي أن احتمالية لعب الطور الجماعي (online) هوت قبل أن تقوم.

نفضت أي تفكير عن رأسي مذكرًا نفسي أنه ليس لدي وقت لهذا العبث. قد يكون خللًا بسيطًا في برمجة اللعبة من الأساس وأنا من يهول الأمور. فضغطت على أمر إغلاق اللعبة مستكملًا ارتداء ملابسي لكن من زعم أن غرائب تلك الليلة قد انقضت؟

«good job»

اكتلت أذني وعقلي بل وكينونتي كلها ببرودها كالقطب الجنوبي، وبهدوئها كالليل ذاته، ومعدنيتها كأنها نابعة من حنجرة نحاسية صدأة، وفوق كل هذا قبضتها للأعصاب والقلوب

ناهيك أني سمعت تلك الكملة عقب أن ضغطت زر الإغلاق! لا بأس، فهذا الأمر وارد مهما بلغت الألعاب من تقدم لتلاشي هذا الخلل. ولكن ما قولك حين أخبرك أن تلك الجملة خرجت من لعبة minecraft؟ لازلت غير مدرك مدى فداحة الأمر؟! كافة الأصوات المضافة لهذه اللعبة هي مقتصرة على موسيقى تصويرية حيث تختلف على حسب ما أفعله سواء أتعرض للهجوم أم أستكشف عالم اللعبة في سلام، بجانب أن

باقي الملفات لا تتعدى أصوات الحيوانات أو زئير الوحوش المتنوعة.

لقد خرجت كلمات من لعبة لا تحتوي ملفات الأصوات بها على أي حوار من الأساس! وأثناء تفتيشي في ملفات اللعبة، ضغطت على إحدى الأيقونات لتحول الشاشة للأسود على حين غرة! اعتقدت أن الحاسب قد انطفأ من تلقاء نفسه لعطل ما، ربما سخنت دوائره الكهربية لحد يفوق عمل المراوح، المهم أني كدت أقوم لألحق بموعدي مع (أنور) لكنه ظهر فجأة من جديد!

كان وجه شبيهي من اللعبة بعينيه البيضاوتين، متمركز بشاشة الحاسوب لا غيره، دون أيقونات أو ملفات أو حتى مؤشر الفأرة! ثم بدأ بصيص من الضوء الأحمر ينمو بعينه ليتحول بعد ثوان من الأبيض المرعب للأحمر المفزع. لكن الضوء الأحمر لم يقف لهذا الحد فحسب، بل تخطى عينيه ليغلف الشاشة بأكملها وينبع من الحاسوب بأسره، ليكسي غرفتي ذاتها بالأحمر!

رغم أني حينها كنت بمطلع النهار وضوء الشمس يقتحم غرفتي من نافذتي المفتوحة على مصرعيها، إلا أنها لم تكن ندًا لضوء الحاسوب. فقد أصبحت غرفتي شبيهة بمعامل تحميض الصور التي أراها بالأفلام القديمة، لا تستطيع

الشمس مقاومة توهج الحاسوب. ناهيك بما تملك رأسي من صداع إثر النظر لهذا الضوء المركز، وآلام بشبكيتي أجاهد لفتح عيني بسببها.

لمحت خيطًا رفيعًا من الدخان يتصاعد من شاشة الحاسوب، توقعت أنها ستنفجر بأي ثانية ووجب علي التصرف. وثبت لأفصل كافة أسلاك الجهاز عن الكهرباء وعن بعضها البعض كذلك، رغم خطورة تلك الحركة التي قد تودي بتعطيل برمجة الجهاز بأسرها، لكن هذا أفضل من أن ينفجر الحاسوب بوجهي.

وبالفعل بمجرد أن انقطعت الكهرباء عن الجهاز، أنطفأت شاشته للأسود المحبب، سامحة لضوء الشمس بالإنتشار بغرفتي من جديد واستبيان الموجودات بها على ألوانها الطبيعية. لكني سمعت الكلمة مرة أخرى بذات النمط العجيب (good job).. هل يمكن أن يبيت اليوم أكثر غرابة؟

***

ذات اليوم

السادسة مساءا

كل شيء مر على ما يرام بل وأفضل، لم أواجه في

امتحان القبول أو بلوغ المدرسة ذاتها من محطة الحافلات أي صعوبة، وها أنا أقهقه مع (أنور) متذكران التوتر السابق للإمتحان ومدى سخافتنا حينها في مذاكرة كل شيء استعدادًا لأي شيء.

لم يكن (أنور) صديقي المقرب فحسب، بل هو قريبي الذي يشاركني في كل شيء تقريبًا، بداية من سفرنا لعمان وهوسنا المشترك بعالم الألعاب، مرورًا بتساوينا بالعمر والسنة الدراسة، انتهاءً بلقب عائلة (عسكر) الذي يختم اسمينا.. إنه شقيقي التوأم إن صح التعبير.

أما هذان النائمان في المقعدين الأماميين لنا في الحافلة فهما خالي الحبيب وابن عم (أنور)، الوحيدان الذان رافقانا في هذه الرحلة المرهقة للقاهرة. فمهما بلغت خبرتي أنا و(أنور) في التجول في شوارع كفر الشيخ وعمان، لكننا مازلنا في حكم الأطفال على أي مدينة أجنبية لم نخطها من قبل، وما بالك لو كانت هذه البلد هي القاهرة المحروسة؟ القاهرة واسعة ومزدحمة وهذان سببان يدعمان أننا سنضل طريقنا للمدرسة لا محالة ولن نعثر عليها إلا بعد انتهاء امتحان القبول وبداية السنة الدراسية الجديدة على أقل تقدير، لهذا وجب الإتيان بهذين المرشدين لعملهم بالقاهرة بصفة منتظمة أودت لحفظهما شوارعها كما لو كانا من أهلها..

وقد كانا خير الهدى والتشجيع.

ظللت أعبث بميدالية مفاتيحي الفضية ويجول بخاطري أمر لعبة الminecraft من جديد بكافة تفاصيلها التافهة رغم غرابتها بعد إعادة النظر في الأمر. لم تباح لي فرصة لإطلاع (أنور) بما حدث منذ صباح اليوم، فقد غط كلينا في نومٍ عميق أثناء رحلة الذهاب للقاهرة لإجبار عقلينا على الراحة تأهبًا للتركيز في امتحان القبول. كدت أستغل الوقت في قص الأمر على مسامعه متضاحكًا لولا...

***

فتحت عيني بإجهاد شديد في حين يغتصب الألم جسدي من كل جانب دون تفريق أو رحمة. في مثل تلك المواقف يضحى هنالك نوعين من البشر، الأول يصرخ بأين هو وأحيانًا من هو من الأساس والكثير من الأسئلة الوجودية التي تلحقها، أما الثاني هو الذي يتبين المكان من حوله أولًا ثم يستفسر عما أصابه لاحقًا. ومن مسحي للمحيطات بعيني تبينت أني راقد على فراش بغرفة كثيرة ما جمعتها ذكريات اللهو أو المذاكرة أو كليهما.. أنها حجرة (أنور) بكفر الشيخ. ينتصب بجانب الفراش عمودًا معدني يتدلى منه أنبوبٌ بلاستيكيٌ يتصل أحد طرفيه بكيس من المحاليل وينتهي طرفه الأخر بمعصمي، بخلاف جسدي المغطى بالشاش

الطبي وساقي اليمنى المغلفة بالجبس

رغم أني فطنت لمضجعي بالفعل لكني لازلت لم أفهم سبب تلك الرقدة وما أودى بي لتلك الحالة، حتى وجدت (أنور) جالسًا على إحدى المقاعد بحجرته متصفحًا هاتفه المحمول. وبمجرد أن تنبه ليقظتي وثب مقتربًا مني في ابتسامة ود حقيقية وهو يقول متلهفًا:

- حمداً لله على سلامتك يا (رمزي).. لقد أفزعت قلوبنا عليك أيها الهش.. كيف تشعر الأن؟

بعد التدقيق وجدت أن (أنور) لا يختلف عني كثيرًا في القطن الطبي الكابت للدماء من تحته والكدمات الجلية على وجهه، فأجبته ببعض من الوهن:

- مرهق بعض الشيء.. ما الذي حدث، لما أنا معلق بالمحاليل بغرفتك؟

- لقد تعرضنا لحادث بالحافلة، وأنت في غيبوبتك تلك منذ أسبوع كامل.. حمداً لله أنك أفقت ولم يكن الأمر بالجليل.

زاغت عيني قليلًا وهو يقص على مسامعي مما أعاني من كسور ببعض الضلوع بصدري وتمزق بأربطة ساقي اليمنى والتواء في ذراعي الأيسر. فرغم فداحة الحادث وما خلفه على كلينا من إصابات فهذه الأشياء لا تزال مصنفة كثانويات

يمكن مداواتها، فمن نجى من الحادث معدودين ونحن لا نصنف ناجيين فحسب بل محظوظين كذلك، فلم يبتلى أي منا بعاهة مستديمة أو إعاقة ملازمة له.. إنه البلاء حين يضحى نعيمًا لغيره.

ظل يروي لي المزيد من التفاصيل عن الحادث ومدى الصيت الذي حظيت به بين عناوين الصحف. حيث صدمت حافلتنا بسيارة أسرية عادية كانوا في طريقيهم لقضاء أجازتهم الصيفية، ولم ينجو منها سوى شاب يدعي (حسام علاء الدين) أو شيء من هذا القبيل لم أهتم به، فما استوقفني:

- مهلًا لحظة يا (أنور) ماذا حل بخالي وابن عمك؟

عبس وجه (أنور) بحزن حقيقي ليجيبني في تنهد:

- هذه إجابة سؤالك عما تفعله في فراشي.. لم ينجوا مع الأسف.

صمت هنيئةً منظمًا أنفاسه، في حين فرت من عيني دمعة حزنٍ مني على هذين القريبين اللذين كنت أحبهما بصدق.. ليسترسل حديثه:

- وقد سافر جميع ذوينا لدفنهما بمقابر العائلة بعمان، تاركيني معك لاقتراب بدأ العام الدراسي.

فهمت من حديث (أنور) إني لم أكن في غيبوبة كاملة طوال الأسبوع المنصرم كما خيل لي في البداية، بل كنت في حالة متكررة من الإفاقة والإغماء، بما أوحى لوالدي أني سأفيق قريبًا وليس هنالك خوف على حالتي، بل من الأحرى لهم إكرام فقيدينا بدفنهما.. ومعهم ألف حق في تصرفهم هذا، بالأخص أني أنا و(أنور) معتادان على تدبر حالنا أثناء الإقامة بمفردنا بعمان أو كفر الشيخ أثناء سفر ذوينا للعمل أو أي حالة طارئة كتلك.

ظل (أنور) يثرثر من جديد عن ثورة والدي في رفعه قضية على شركة النقل لتعين سائق مدمن على المنشطات كما أثبتت تحاليل الطب الشرعي.. لكني غبت عنه بالفعل في إغماءة جديدة دون تمالكٍ لنفسي.

***

عقب عدة أيام

استقرت حالتي ولم تعد تصيبني أي إغماءات مفاجئة، لأعاود مزاولة حياتي بشكل طبيعي في منزل قريبي (أنور).

كنت هذا الصباح أتصفح بعض مواقع التسوق الإلكترونية، محاولًا البحث عن هدية مناسبة ل(أنور) بمناسبة عيد مولده. لم يتبقى سوى شهر ونصف وأنا لم أخطط ما الذي

سأتيه به بعد. عليا حسن اختيار الهدية هذه المرة، فدائمًا ما أتيه بأشياء عادية، على نقيضه هو الذي يجلب لي دومًا بعيد مولدي الذي يليه بثلاثة أشهر، بهدايا قيمة بل وأحتاجها كذلك على غرار الأجهزة الألكترونية والألعاب.

على ذكر الألعاب، جال بخاطري حادث اللعبة، فقررت فتح موقع minecraft العالمي من هاتفي المحمول، بالأخص قسم أراء الجماهير، لأتبين أنه مقسم لموضوعات مصغرة لكل فرد الحق في إبداء رأيه أو انتقاده أو اقتراحه على أي موضوع، فرحت أنقب بينها عن أمر مماثل للذي صادفني لكني لم أجد أي شيء كما لو كنت الوحيد بالعالم الذي عاصر هذا الحادث العجيب باللعبة. فقررت إنشاء موضوعٍ بنفسي واصفًا كل ما شهدته بدقة، ثم ضغطت على زر الأرسال منتظرًا ردود الزوار الأخرين.

أغلقت هاتفي المحمول في سأم ليفتح (أنور) الغرفة بذات اللحظة والحماس يتراقص على خلجاته، لم يمهلني الفرصة للإستفسار عما أصابه ليصرخ بقبولنا بالمدرسة بفرحة.

لقد نسيت أمرها تمامًا في خضم الأحداث من اللعبة وحادث الحافلة وهذه الكوابيس العجيبة التي شهدتها عدة مرات في إغمائاتي وأثناء نومي العادي. لا أتذكر أيًا من تلك الكوابيس لأقصها، لكني متأكد إني أحلم بشيء ما، فكثيرًا

ما أستيقظ وبذهني حوار أو عبارات مبهمة كانت تتردد بالكابوس. بل و(أنور) ذاته أكد لي أني أنطق في نومي بكلمات عجيبة لا يفهمها، رغم أن تلك العادة لم تلازمني من قبل، فدومًا كان نومي هادئًا سالمًا دون سوابق في الحديث أثناء النوم أو السير حتى.. الأمر غريب بالنسبة لي، لهذا تجنبت الحديث عن الأمر ل(أنور) كما أخفيت عنه أمر لعبة minecraft حتى لا يتهمني بالمبالغة.

المهم أني رميت كل تلك الأفكار المتشائمة خلف ظهري ونهضت أحتضن (أنور) مكركرين متفاخرين بما أنجزناه من نجاح سنفتخر به مدى الحياة.. لكننا بالطبع لم نعلم أن حياتنا تلك لن تدم كما توهمنا.

***

بعد أسبوع

تأكدت من تجهيز كل مستلزمات الإقامة في سكن المدرسة، من ملابس وعتاد دراسية، ناهيك أن والدينا –أنا وأنور- وضعوا في بطاقات الفيزا خاصتنا مبلغ لا بأس به لشراء ما نحتاجه من هناك دون السفر به على عاتقنا كنوع من التعويض عن غيابهم في لحظات الوداع المهمة تلك باقتحامنا سنة دراسية جديدة. لكني التمست لهم العذر فلا يزال نوعًا من ذنب وفاة قريبينا على عاتقي بسبب مدرستنا

اللعينة تلك، التي لم نقيد كطلاب رسميين بها بعد وهوت على رؤسنا كافة تلك المصائب، فما بالك لو قضينا بها شهرًا على الأقل!

ها نحن نعتلي العربة رقم (٩) بالقطار في طريقنا للقاهرة بعد أن أصرت والدتينا عبر الهاتف على استخدام القطار بدلًا من الحافلة كالمرة السابقة، ابتسمت في سخرية على منطقهما البسيط باعتبار أن القطارات محصنة ضد الحوادث، لكننا طاوعناهما دون نقاش حتى نريح بالهما. مع اتصال كليهما كل ربع ساعة للإطمئنان على يسر الطريق، الذي كنا نقضيه في ضبط إعدادات هواتفنا الجديدة والتعرف على نظامها المعقد الذي لم نعاصره منذ سنوات.

فقد اشترينا بالطبع هاتفين قديمي الطراز اتباعًا لتعليمات المدرسة الصارمة، في حين أننا لم نترك هاتفينا الحديثين في المنزل بالطبع، سنتدبر لهما حلًا لإخفائهما دون شك. المزعج أن (أنور) لم يعثر على هاتفين مختلفين من المتجر الذي ابتاعهم منه، فأضحى لدينا هاتفان متطابقان بالحجم واللون، ولنأمل ألا يختلط أحدنا في هاتف الأخر.

كما لم ينس (أنور) تزويد هاتفه بالأغاني باعتبارها من مدمناته، لم أغفل عن جلب بعض الألعاب البسيطة لعلي أختلس فرصة ما لتقضية بعض الوقت معها، حافظًا إياهم

في (reader) فضي متخفي على هيئة ميدليتي العادية التي لا يشتبه بها أحد على نقيض ال(flash memory) خاصتي بشكلها الفج الذي قد يثير التسؤلات. ناهيك أني لو نويت على إخفائها كما سأفعل بهاتفي، فهي تحمل من صغر الحجم الكفيل بفقدها أو نسيان مكنفه.. وأعتقد أنك كونت فكرة لا بأس بها عن اللعبة المتربعة على رأس كافة تلك الألعاب، فغرابة أطوار اللعبة في مرتها الأخيرة لا تعني أني فقدت شغفي بها، فهي الإدمان كما ذكرت سالفًا وسأذكر مرارًا، فقد عاودت اللعب بها بعد ذلك وكانت أكثر من طبيعية.

على ذكر الأمر قررت تصفح موقع minecraft لمطالعة منشوري الخاص به، فقد تركته لمدة أسبوع من المؤكد أنه حصد مئات التفاعلات على الأقل. فهذه المواقع تحتاج للتفقد اليدوي بها دون إرسال أي إشعارات أو رسائل على البريد الإلكتروني عند أي تحديث به، على نقيض باقي مواقع التواصل الإجتماعي. فرحت أفتش بالصفحة لكني لم أعثر على موضوعي من الأساس!

هل فرحتي ببشرى قبولي بالمدرسة التي حملها (أنور) لي أسهت عني ضغط زر الإرسال؟ أم حمل الموضوع بعد الشجار من الأعضاء فقرروا حذفه لمخالفته؟ لم أطل التفكير

بالأمر فأعدت كتابته متأكدًا من بعثه هذه المرة.

انتهيت مما كنت أفعله أنا و(أنور) لنعاود الثرثرة فيما بيننا، لقضاء ما بقي لدنيا من وقت حتى بلوغ القاهرة. ما لفت انتباهي حينها هو ذلك الصبي الذي لا يتعدى العشر سنوات الهائم حولنا في حركة مستمرة من الذهاب والمجي بلا انقطاع. فخيل لي أنه امتطى القطار دون دفع تذكرة أو أنه تابع لأحد هؤلاء البائعين المتجولين بالقطار الذين يجبرون صغارهم على مساندتهم بالعمل مهما بلغوا من صغر أو قلة الحيلة، وبكلتا الحالتين هو يفتش عن مقعدٍ يستريح به قبل أن يعاود الفرار من محصل التذاكر.. رغم أن ما سأقدم عليه جريمة قد أحاسب عليها بدفع ضريبة إضافية إن كُشف أمرنا لكني تركت إنسانيتي تقودني في دعوة الصبي للجلوس بمقعدي قليلًا، فلبى هذا الأخير طلبي مبتهج الأسارير كما لو أن الفرحة لا تسعه.

ظللنا نتبادل أطراف الحديث بين ثلاثتنا حول أي أمور تافهة في ود قريب من التصنع، وكان الغلام ثرثارًا عن حق رغم وهنه. هو لا يختلف في الهيئة عن أي طفل شوارع من شعره الأكرت ووجه المتسخ وملابسه المتسعة على جسده الهزيل. العجيب أن هذا الصبي بدى مألوفًا لي كما لو أني أعرفه أو قابلته على الأقل من قبل، رغم أن ما من شيء

مميز به وقد يصادف البعض أمثاله يوميًا بالأحياء الفقيرة أو المناطق الكثيفة بالتجمعات، لكني لاحظت شيئًا بأنامله، كانت العقلة الأولى من أصبعيه الخنصر والبنصر من كل يد مبتوران! ربما فقدهما كعقاب من إثر إحدى عصابات أطفال الشوارع، أو نزل من بطن أمه على هذا النحو.. المهم إني رأيت أن الموضوع شخصي ففضلت عدم السؤال عنه.

حتى سأل الغلام:

- منذ متى وأنتما على هذا الحال؟

لابد أنه يقصد تلك الأربطة الطبية التي تزين سواعدنا ورؤوسنا، فنحن لم نتعافى بشكل كامل من الحادث بعد فلازال أثره الدامي على خلجاتنا. فأجبته بتلقائية شارحًا حادث الحافلة ومدى شهرته الإعلامية التي قد يكون سمع بها. قهقه الغلام بصوت عال مجيبًا:

- ليس هذا مقصدي.. لكن لا يهم.

بدأ يراودني خاطر أن هذا الصبي معتوهًا بطريقة ما لكنه سرعان ما أكمل مشيرًا لكلينا بسبابته:

- يجب أن تحرصا على سلامة بعضكما.. بالأخص أنت يا (أنور) يجب أن تحافظ على أمن صديقك جيدًا.

عاد للضحك بطريقة لافتة للأنظار تؤكد أن هذه ليست بتصرفات أحدهم يحاول الإختباء بعضكما

قال:

كذا أفضل بكثير عن وقت الحادث..لكن لا أحد يعرف ظروف الناس. لكن ما تعجبت منه أكثر هو رد (أنور) الذي ظل يصيح بالفتى كما لو أنه موشك على المشاجرة معه بالأيدي دون الأخذ بالإعتبار أنه مجرد صبي لا يحتمل كل هذه العدوانية بالرد أو يستدعي كل هذه الطاقة المشحونة بالغضب. فطلبت من الفتى الانصراف قبل أن يتطور الموقف لما لا يحمد عقباه، داسًا في ساعده ورقة نقدية بعشرين جنيها كنوع من الاعتذار على حدة صديقي المفرطة، لكن الغلام أبى تناول المال مني، لا أعلم إن كان نوعًا من حفظ الكرامة أو هي تكملة لخباله، ثم رحل من العربة بأكملها وهو يقول:

- سيأتي اليوم الذي تتمنيا فيه لو سمعتما بنصيحتي؟

عدت لمجلسي موبخًا (أنور) على هذه الوقاحة في التعامل مع الفتى، حتى لو كان مخرفًا فهذا الأمر ليس بيده ولا يستحق عليه تلك الرعونة. فأجابني مبتسمًا ببساطة:

- دعك من الأمر، لقد شككت أنه لص فتعمدت طرده.. دعنا

ننم قليلًا فلا تزال الرحلة للمدرسة امامنا طويلة.

الحوار مع (أنور) ليس منه فائدة، فقد رحل الصبي وما حدث قد تم، لكني سأعتذر له إذا عاد لتلك العربة من جديد.

حاولت النوم كما اقترح (أنور) لكن هناك شيء يزعج جلستي! نهضت لإلقاء نظرة على المقعد فعثرت على دبلة صدأة!

هذه الدبلة ليست لي أو تخص (أنور) بالطبع، كما أنها لم تكن موجودة هنا منذ بداية الرحلة، لا بد أنها ملكٌ للصبي، كدت أطالع (أنور) عليها لكني وجدته يغط في نومٍ عميق، فتغاضيت عن الأمر وتركتها بجانبي حتى يعود الغلام لأخذها.. وحتى هذه الأثناء سأريح جفوني الثقيلة لبعض الوقت.

***

ها قد وصلنا المدرسة أخيرًا التي أدرج إليها بصفتي طالب أساسي بها بعد أن تخطيت اختبارها وإثبات أني من نوابغ (عبدالناصر).

دلفنا لغرفتنا التي كانت مغلفة بالأتربة، فلم يأت أحدٌ من ذوينا لتنظيفها وتهيئتها لنا بحكم سفرهم بالطبع، فتركت هذه المهمة بشقائها على عاتقنا، لقد سافرنا يومًا مبكرًا

عن بداية العام الدراسي تحضرًا لهذا الأمر على أي حال. فاندمجت أنا و(أنور) في تنظيف الحجرة المكونة من فراشين ودولابين غير المكتبين الصغيرين، إنها حجرة ضيقة ولن تأخذ منا الكثير من الوقت أو الجهد.

عثرت بالحجرة على شق صغير بالجزء السفلي من الجدار الملاصق للفراش الذي اتخذته لي، يبدو أنه جحر فأر أو برص ما. فدسست بالجحر قطعة من الورق المقوى سادًا أياها بساق الفراش بشكل مؤقت، لأقطع على ضيفنا الثالث طريقه لمنزله، مع تذكير (أنور) بلزوم شراء سمٍ للفئران ومبيدًا للحشرات بأقرب فرصة، فيبدو أن إغلاق هذا المبنى طوال الأجازة الصيفية يحيله لمستوطنة لمختلف الزواحف.

بعد ما يقارب من الساعتين انتهى كلانا من إزالة الأتربة بالحجرة. فذهب (أنور) للحمامات للاستحمام من ذرات التراب العالقة بشعره وجسده، بينما وكل لي مهمة ترتيب ملابسنا وحاجياتنا من الكتب الخارجية للدراسة والمعدات الأخرى بالدولابين. إنها المرة الأولى التي ألاحظ بها مدى التشابه بين ملابس كلينا، ولكن ما جذب تركيزي حقًا حين قاربت على إفراغ حقيبتي بأكملها عثرت بقاعها تلك الدبلة الصدأة من جديد!

لقد نسيت أمرها تمامًا ولم أتفقدها حين استيقظت في

القطار، ناهيك أني لا أعرف كيف وصلت لحقيبتي من الأساس. يبدو أن (أنور) ظن أنها ملكي فدسها في حقيبتي حتى لا أنساها. فقذفت بها بقاع الدولاب بإهمال غير عابئ لها، عسى ألا تمثل للصبي قيمة أسرية ما، فهي قطعة حلي رخيصة لا تبدو ثمينة على أي حال.

علي الآن الاستحمام لمقابلة الغد بأحسن صورة ممكنة.. إن لم أحافظ على طلتي بأبهى صورها للغد فمتى سأفعل؟

(١٠)

فقدت ذاتي

المـــدرسة

يوم الاحد من الاسبوع الثاني

بعد انتهاء اليوم الدراسي

سأقفز بالأيام بعض الشيء، فبالطبع أنت لا تريد سماع رحلتي الاستكشافية لمعلمي المدرسة المخيبين للآمال والتنافس المستعار بين الطلاب على إثبات التفوق. هذه التفاصيل قد يسردها غيري من طلاب المدرسة بشاكلة أكثر دقة أو أبلغ وصفًا، أما أنا فلدي تفاصيل خاصة.

كنت ممددًا على فراشي بحجرتي متأملًا تلك الخطوط الحمراء المتكونة على جسدي! لا تنس أن جسدي مغطى سلفًا بالكدمات التي لم أتعافى منها بشكل كامل، لكن تلك العلامات حديثة العهد بي. لقد رأيت مثلها على جسد أحد أقاربي حين كان يعاني من سمنة مفرطة لكنه مع المثابرة على الرياضة والحميات الغذائية ظفر بجسدٍ رياضي أقرب للمثالية، إلا أنه يعيبُه تلك العلامات التي يطلقون عليها (علامات التمدد).. هل نحل جسدي بتلك المدرسة؟ رغم رداءة الطعام فالجميع يتناول منه كما لو هي آخر وجباتهم

على قيد الحياة لعدم توافر أي مصدر للطعام غيره، وقد لاحظت بعض الزيادة في وزن (أنور) من طعام المدرسة، فلمَ أنا الوحيد الذي أنحف؟ عليا البحث عن الأمر على الانترنت فربما لها أسباب أخرى أنا جاهل بها.

تنبهت أن هاتف (أنور) المحمول الذكي ملقى على فراشه بإهمال، فرحت أخبؤه سريعًا قبل أن يلاحظه مشرف الدور أو أي من جواسيسه الصغار، حين قبضت عليه وجدت سطحه لازال مضاءًا وليس مغلقًا بقفل الشاشة، يبدو أن (أنور) ألقاه بإهمال على الفراش دون ملاحظة طرف الملاءة البارز الذي حال بين إغلاقه. كان الهاتف مطلًا على أحدى منتديات الماورائيات الممتلئة بالكلام السطحي عن تحضير الجان والتعاويذ الكاذبة لاستدعاء ملوكها. لم أعلم أن (أنور) من هواة مطالعة تلك الأشياء! لم أرمي للأمر بالًا كبيرًا فصديقي ليس بالشجاعة لتجربة ما كتب بتلك المنتديات، فربما هو يتصفحها للفضول لا أكثر.

فخبأت هاتفه ثم تناولت هاتفي المحمول من مخبأه هو الآخر وجال بخاطري تفقد منشوري على موقع minecraft قبل البحث عن أي شيء آخر، وكانت النتيجة كسابقتها، لقد اختفى الموضوع وكأنه لم ينشر من الأساس! لقد طفح كيلي بهذا الموقع الرديء، كم مرة علي نشر موضوعي ليثبت على

صفحتهم دون خلل؟ سأختلق عذرًا أخيرًا لهذا الموقع باعتبار أن شبكة الإنترنت بالقطار لم تكن بالقوى التي تسمح بنشر أي شيء. لهذا سأكتب الموضوع وسأظل رابضًا عليه حتى أرى بأم عيني التعداد الزمني على المنشور وهو يبدأ في عمله.. لكني هذه المرة تيقنت أن الموقع هو من يقوم بمسح المنشور والعلة ليست في الإنترنت. كيف عرفت هذا؟ لأني لم ألبث ضغط زر الأرسال على الموضوع حتى مسح عن الشاشة تلقائيًا كما لو أن أحدهم يتبرص بي؟

وبعد أقل من ثانية أتتني رسالة في صندوق بريد عضوية الموقع تحمل كلمتين لا ثالث لهما من جديد.. كانتا stop it!

لم يثر انتباهي نص الرسالة أو حتى مدى سرعتها في الإرسال، بقدر غرابة اسم الباعث الذي كان اسمه herobrine! حاولت فتح صفحته الخاصة لرؤية هذا الشخص العجيب الذي يبعث لي رسالة أمرية كتلك، لكن دومًا ما تأتيني صفحة error 404، أي أن هذا الشخص غير متواجد من الأساس! كان الاسم عجيبًا أكثر من اللازم، فبحثت عنه على الشبكة العنكبوتية ليأتيني مقالٌ يوضح أصل هذا الأسم وليتني لم أعرفه قط.

بعد ترجمته تبينت أن المقال عبارة عن حوار صحفي بين إحدى الجرائد الكبرى ومصمم اللعبة (ماركوس بيرسون)،

وبعد كثير من الهراء عن رد فعل المصمم بنجاح اللعبة غير المسبوق بلغت النقطة التي تسأل فيها الصحفية عن أول شيء قام به المصمم بعد إتمام اللعبة من كافة جوانب البرمجة. ليجيبها أنه أنشأ عالم باسم herobrine ثم ظل يلعب بطور التصميم لمدة ربع ساعة صانعًا قبرًا عملاقًا يحمل ذات الاسم تخليدًا لذكرى وفاة أخيه، الذي وافته المنية قبل أن يتم حلمه هو وأخيه في إنشاء اللعبة، مضيفًا على القبر الكثير من التواريخ التي جمعت بينهما الذكريات واسم زوجته والكلمة التي كثيرًا ما رددها على لسانه كما لو أنها ملتصقه بفمه والتي كانت (good job)، ثم أغلق هذا العالم ومسحه للأبد مصممًا عالمًا آخر باسمه المعروف به حاليًا وهو (نوتش).

بالتأكيد راودتك فكرة أن يكون هذا مجرد منتحل للإسم، فكما يبدو من سهولة الوصول لأصل الاسم أنه منتشر وليس بالسر الخطير، وأمر الشاشة المغلقة تلك ليست سوى إحدى حيل المخترقين أو الهاكر كما نطلق عليهم. ولكن بعد بحث صغير اكتشفت أن هذا الاسم ممنوع استخدامه كإسم عضو مثله مثل (نوتش) اسم المصمم الشخصي، ناهيك بالطبع عن تخلخل نظرية المخترق تلك على المواقع العالمية التي تدفع سنويا بالملايين لتأمين موقعهم حتى لا يخترق أو يتم العبث به.

أي إن ميتًا كان يحادثني منذ ثوان؟! ليس لدي أي تفسير للأمر لكني على يقين بأني لن أقترب من تلك اللعبة أو حتى موقعها لعقود على الأقل.

هنا دلف (أنور) للحجرة مغيرًا دفة تفكيري ككل مرة حتى أصبح الأمر مريبًا.. في الواقع إن كل شيء يخص صاحبي بات مثيرًا للحيرة

أضحى يتفه ويقلل من شأن أي شيء أطلعه عليه كالعلامات التي نشأت على جسدي أو حتى حين حاولت تمهيد أمر minecraft له، راح يبرر أن كل تلك أمور عادية وأنا من أهول من الأمور. هذا غير عاداته الحديثة التي لم أعاصرها يومًا، فقد بات يستيقظ مبكرًا –على غير طبيعته- لتناول وجبة الفطور متفردًا بدوني، أو أي وجبة أخرى يسبقني إليها كما لو أنه يتعمد عدم مشاركتي أي مكان مغلق غير الفصل الدراسي وحجرة الداخلي، بل ينتابني شعور إن هيئت له الفرصة لإقصائي عن حياته للأبد لفعلها بالفعل. لقد هجرني وحيدًا لأضحى منبوذًا مهملًا من الآخرين لعدم استطاعتي على تكوين صداقات في مثل براعته، تخيل أنه قد مر أسبوعٌ كامل في المدرسة ولم أتعرف على أحدٍ بعد! بل وحين حاولت المبادرة بالأمر لم ألقى سوى التجاهل.

ظل يثرثر عن درجات الاختبار الأسبوعي البسيط الذي

يقوم به معلم اللغة الإنجليزية والذي جنينا به ذات الدرجة المرتفعة، لكني كنت شاردًا في خطتي المستقبلية في التلميح له بإفتقادي لصداقتنا القديمة التي قاربت على التبدد، ولو فشلت كعادتي سأجهر بالامر علنًا دون خجل.

فبدأت تنفيذ الخطة متحاشيًا الجلوس معه بذات المكان كما يفعل هو، فخرجت من الحجرة لأترجل بالمدرسة قليلًا حتى يحين موعد العشاء الذي لم يتبقى عليه الكثير، دون إطلاعه على وجهتي.

لم أجد ما أفعله، فراحت قدماي تسوقاني صوب مبنى المعلمين بالأخص مكتب معلم اللغة الإنجليزية لمطالعة درجاتي التي علقها على باب مكتبه قبل رحيله، لكني لم أعثر على اسمي بين بقية زملائي!

عثرت على إسم (أنور) لكن يبدو أني لست الوحيد المتغيب عن تلك القائمة، فهي تحمل عشرون اسمًا فحسب في حين أن الفصل يضم أربعة وعشرون طالبًا، يبدو أن المعلم لم ينهي تصحيح باقي أوراق الإمتحان لكافة الطلاب، وإن ادعاء (أنور) بظفرنا بتلك النتيجة لهي ربما تخمينٌ نبع من مذاكرتنا سويًا لذات النقاط وذات الفترة الزمنية، أو سربها من المعلم ذاته لكنه لم يدونها ضمن القائمة بعد.

- إذا سمحت، هل هنالك أحد من قسم الرياضيات في

مكتبهم؟

أتاني هذا السؤال بأدب من طالب آخر يبدو عليه أنه يكبرني بدفعة على الأكثر، فأجبته أنهم جميعًا رحلوا وليس هناك سوى بعض المعلمين بقسم الكيمياء والفيزياء لليوم، ليجيبني بدوره:

- يالها من خسارة، كنت أريد سؤال أحد المعلمين عن طريقة عمل المصفوفة على الألة الحاسبة اختصارًا لحلها يدويًا، لكن يبدو أن ما باليد حيلة.

أنا بالطبع لا أعلم طريقة حل المصفوفة على الآلة الحاسبة لكني أعرف الوسيلة التي ستكسبه هذا العلم، أخرجت هاتفي المحمول الذي كنت أخفيه بين طيات ملابسي، سائلًا الإنترنت عن حل معضلتنا تلك، ولم يخيب أملي ككل مرة ليبرهن لي فائدة عدم الإنصياع للأوامر.

فرح الفتى للغاية بمساعدتي وعرض علي مشاركته هو وأصدقائه طاولة العشاء الذي حان موعده وبالطبع لم أكذب خبرًا، فظللت أتحدث معهم بحماس غير طبيعي عن أي شيء مهما بلغت تفاهته أو سطحيته كما لو كنت أعوض فترة الانعزال السابقة تلك. كنت في حالة جفاف تامة من التحاور وأخيرًا بددت ظمأي. في حاجة إلي من يشاركني الضحك، من يقاطعني في كلماتي ليدلي برأيه الأخرق، من يبادلني

السباب المازح، من ينغمس معي في السخرية من المعلمين وثقل حمل المواد الدراسية.. إنه شعور الصداقة الذي كدت أنساه غارقًا في توحدي. قد تكون المدرسة في أنظار العديدين هي السجن بالنسبة لهم، أما أنا فسجني متمثل في شريكي بالحجرة.

انتهى وقت العشاء وحان وقت الحبس بالغرف من جديد، فودعت أصدقائي الجدد على وعد باللقاء في استراحة اليوم المدرسي بالغد ووقت الغداء، ثم انطلق كلٌ منا لمبناه الخاص، أنا بالمبنى الداخلي الملاصق للمطعم المتفرد بطلاب الصف الأول الثانوي، وهم بالمبنى المجاور المخصص لطلاب الصف الثاني والثالث الثانوي.

وبعد ليلة من المذاكرة التقليدية أرحت بالي عن أي شيء يعكرني سواء اللعبة الشيطانية تلك أو برود (أنور) في التعامل، فاعتليت قطار الراحة لمحطة النوم الهانئ غير متوقع أن تعاودني الكوابيس التي لا أتذكرها من جديد، لكني هذه المرة تذكرت اسم ذكر وسط تلك الهمهمات، والذي كان (حمدي)!

***

اليوم التالي

ظللت أبحث عن أصدقائي الجدد وبالأخص (حمدي) بالطابور الصباحي لكني لم أعثر عليهم، وكانت النتيجة مماثلة حين نويت تأجيل البحث عنهم لوقت الاستراحة المدرسية.

لم أجد من الحلول سبلًا غير طلب العون من مشرف الغياب لألجأ إليه، ليعلمني بفاجعه تعرضهم لحالة جماعية من التسمم ونقلهم لأقرب مشفى من المدرسة! بعد صدمة الخبر التي كادت تخرج عيني من محجريهما، راودني الشك! فرحت أعدو مسابقًا الريح صوب حجرتي عقب انتهاء اليوم الدراسي وقتما يفتح المبنى الداخلي، وقد تيقنت من كل ظنوني.

لم تمر دقيقة حتى دلف (أنور) للحجرة لترك حقيبته قبل الذهاب للغداء من دوني كعادته، فاستوقفته وأنا ألقي بزجاجة المبيد الحشري أرضًا صائحًا في غضب:

- هل لديك تفسير لما يحدث هنا؟

ليسألني في برود عما أتحدث، فأجبته بأكثر نفعال:

- لقد كونت صداقة لأول مرة منذ حضوري لتلك المدرسة الكئيبة، وباليوم التالي يصابوا أجمعين بتسمم رغم تناولي العشاء معهم وها أنا معافى دون أن يمسني شيء. وهذا

يتزامن مع اضمحلال الغاز بالمبيد الحشري الذي اشتريناه حديثًا للنصف.. هل يمكنك أن تفسر لي سبب كل تلك المصادفات؟

- لازال ليس لدي فكرة عما تتحدث.. ثم كيف كونت صداقات من الأساس؟

أجابني بمزيد من البلادة ساخرًا من اجتماعيتي الضحلة، لأصيح به بأضعاف من الغضب متجاهلًا سؤاله الأخير:

- إنها ليست صدف من الأساس بل هنالك تدخل بالأمر. لقد ظللت الأمس بأكمله تتجنب الحديث معي كما لو أنك تكتم سخطًا شخصي.. لما تريد تقييدي بهذه الطريقة في كنفك؟

- يبدو أنك مخبول اليوم وتهرطق بكلام فارغ.

ثم غادر الغرفة قاصدًا المطعم تاركًا الغيظ يأكل بروحي كما يتغذى الصدأ على المعدن، لكني موقن من أني لمحت شبح ابتسامة ساخرة على ثغره!

***

بعد يومين

لقد تحاشيت (أنور) لمدة يومين كاملين بلا أي حديث، ليس غضبًا منه بل خشية من انفعاله. لقد طرد الصبي

بالقطار بكل عنف وسمم (حمدي) وأصدقاءه بدم بارد، وها هو يجلس أمامي على فراشه يستذكر دروسه وهو يستمع لأغنيه بكل هدوء الدنيا والآخرة، قد يبدو على ملامحه بعض الحزن المكتوم لعله بعضٌ من تأنيب الضمير الذي غفل عنه لفترة لا بأس بها، لكن هذا بالطبع لا يشفع له.

كنت متربعًا على فراشي مبعثرًا الكتب المدرسية والخارجية حولي كما هي عادتي، ثم لاحظت أني رحت أكتب كلمات عجيبة ليس لها أي معنى أو أي صلة بالدروس التي أستذكرها. في الأغلب أنا لست من هؤلاء الذين يكتبون كلام فارغ، كأساميهم وأسماء لاعبي الكرة المفضلين لديهم، حين يشردون أثناء المذاكرة. وها أنا الآن أبصر الصفحات بعد أن أغرقتها بتلك الكلمات العجيبة بمجرد أن سرحت بفكري لثوان! لم تكن تلك الواقعة المرة الأولى للأمر، فيبدو أني لست معتادًا على الداخلي كما كنت أتوهم، أو أن هنالك الكثير من العادات تغيرت بي عقب الحادث.

طرق لسمعي صوت مراقب الدور وهو يرحب بأحدهم من آخر الرواق للعنبر! لابد أنها أسرة جديدة آتية لإلحاق نجلها بالمدرسة بعد أن أتى دورهم في قائمة الإنتظار، هذا الأمر طبيعي ومعهود بالأسابيع الأولى للدراسة على أي طالب، لكن العجيب هنا كان (أنور) الذي حدقت عينيه كما لو أن صاعقة

قد ضربت كيانه توازيًا مع صوت مشرف الدور.

- عليك الرحيل من هنا.. حالًا.

كان يحاورني من بداية اليوم بشكل عادي لكني لم أجبه ولو مرة، لكن حديثه هذه المرة أثار حفيظتي بالفعل لأسأله عن السبب، ليجيبني بلهفة متلفتًا حوله كاللصوص:

- سأخبرك فيما بعد، هيا تحرك قبل فوات الأوان.

لم يمهلني فرصة للرد، فدنى مني بعد أن أوقف أغانيه، جاذبًا إياي من ذراعي بنوع من العنف نجح في ترجلي عن الفراش، لكني حررت ذراعي من معصمه بحركة خاطفة بالنهاية وأنا أصيح به طالبًا التوقف عن تلك الحركات الصبيانية.

لاحظت بعض علامات التمدد على جسد (أنور) مثلي، بل أكاد أجزم أنها بذات المواضع من جسدي! لكن ملاحظتي تلك لم تستحوذ على عقلي للكثير من الوقت بالأخص مع فتح مشرف الطابق لغرفتنا مقتحمًا إياها برفقة زوجين وابنهما على ما يبدو، مردفًا:

- رحب معي يا (أنور) ب(علي) زميلك الجديد بالحجرة.

لابد أنه أخطأ بالحجرة، فالإنسان خطاء ويجب التماس

الأعذار للذاكرة البشرية الضعيفة، لكن لما ينظرون جميعًا ل(أنور) دون أي اعتبار لي! فأجاب (أنور) بنوع من الحرج:

- لم تلك الغرفة بالتحديد؟ ألا يمكنك إيداعه بأي حجرة بالعنبر أو العنابر الأخرى.

ليجيب مشرف الدور محاولًا مداراة إحراجه:

- لقد امتلأت كافة العنابر عن آخرها ولم يتبقى سوى غرفتك لآخر طالب حتى تكتمل الدفعة.. لقد وافقت على طلبك على مضدد بتركك وحيدًا بحجرتك أكبر وقت ممكن وتصريف طلاب قائمة الانتظار بحجرات أخرى، لكنها قواعد المدرسة في الإلزام بعدد الدفعة المحدد الذي لا يمكنني خرقه.

هل يمكن أن يكون ما جال بخاطري حقيقي؟ لقد رسبت في امتحان قبول المدرسة على نقيض (أنور) الذي أخفى الأمر عني حتى لا أشعر بالغيرة منه! إنني هنا بصفة غير رسمية مستغلًا لطيبة المشرف أو ربما لسذاجته!.

كدت ألملم حاجياتي فرارًا من هذا المكان حتى لا يتعرض (أنور) للتحقيق بسبب وجودي قد يودي بفصله من المدرسة. لكن الفاجعة هنا إني لم أعثر على حاجياتي من الأساس!

الفراش خاوي من أي شيء، سواء كتبي الدراسية التي

كنت أبعثرها حولي منذ ثوان أو حتى ملائة السرير ذاتها! حقيبتي المدرسية الراقدة بجوار الباب لم يعد لها أثر، حذائي المتكنف أسفل الفراش شارك أقرانه في المصير مختفيًا! هببت صوب دولابي الخاص فاتحًا درفته بعنف، نجم عنها شهقة الأم وهي تستعيذ بالله، وكان الدولاب خاويًا كما لو أنه لم يمس من قبل! إلا من شيء واحد يبرق على أحد رفوفه!

كانت دبلة صبي قطار القاهرة! كيف وصلت لهنا؟ فآخر ما أتذكره هو قذفي إياها بإهمال بقاع الدولاب، لا هنا!

- اتصالٌ هاتفي للطالب (أنور عسكر) من والدته..

قاطع هذا النداء من آخر رواق العنبر من أحد مشرفي الدور تفكيري، يبدو أن هواتفنا المحمولة الجديدة انتهت بطاريتها لقلة اهتمامنا بها أو حتى بشحنها، فلم نفعل ولدينا هواتفنا الذكية بالفعل بخطوتها الجديدة التي لم نطلع عليها أي أحد من أسرتينا، فلم يجدوا بدًا من الإتصال بالقسم الداخلي ذاته.

هرعت صوب الهاتف الأرضي على عجالة رغم أن النداء ليس لي، لكني في حاجة للحديث مع أي من أقاربي أو أي أحد من الأساس قبل أن أجن. فحملت سماعة الهاتف مثبتًا أياها على أذني، وقبل أن أنطق بحرف راح صوت والدة (أنور) يسيل بين الأسلاك المعدنية قائلة بحماس فرح، بعد أن استشعرت أنفاسي:

- مبارك علينا يا بني. لقد ربحنا القضية التي رفعنا على شركة النقل وسيتم محاكمة الجميع على تقصيرهم، أعلم أن هذا لن يعيد إلينا فقدائنا، لكنها الطريقة الوحيدة الماثلة أمامنا لجعل كل من ابن عمك، و(رمزي) وخاله يرقدون مرتاحي البال في قبورهم.. مبارك علينا يا (أنور) سنعود بالغد لمصر لمتابعة القضية.

أتعلم تلك العبارة المتداولة «لا أحد يستطيع التعبير عن شعور ما بشكل كامل إذا لم يمر به» فها أنا أمر بشعور ما ولا أستطيع وصفه أو حتى تسميته. كيف لم ألحظ أني لم أحادث والداي ولو مرة منذ إفاقتي من الغيبوبة؟ وكان (أنور) دومًا من يتولى إقناعي بالأمر على غرار أنه بعث لهم رسالة إلكترونية تطمئنهم على حالي، أو أن والدتي هاتفتني أثناء نومي لكنه لم يبغى إزعاجي باعثًا لها السلام نيابة عني، أو يبلغني تمنياتهم المشتركة بالتفوق أثناء انشغالي عنه. كيف لم انتبه لمحاولاته المستبدة في فعل كل شيء بالنيابة عني حتى لا أضطر للاختلاط بالكثير من البشر؟

وأنا من كنت أظن سؤاله حول كيفية تمكني من تكوين صداقات جديدة كسخرية على خجلي واجتماعيتي الضحلة وهي في الحقيقة استنكارٌ عن كيفية محادثة غيره من الأساس.

لكن ماذا عن (حمدي) وأصدقائه وصبي القطار والكثير غيرهم، فأنا موقن أن هذا الشهر الأخير حادثت وتفاعلت مع الكثيرين غير (أنور) حتى لو بكلمات عابرة. ثم كيف اختفت حاجياتي من غرفتي في حين أني لا أزال أشعر ببعض الأغراض في جيوب بنطالي مؤكدة أني لم أكن أتوهم لهذه الدرجة. فدسست كفاي في جيوبي لأجد بها هاتفي المحمول الذكي وسلسلة مفاتيحي بميدليتها الفضية والدبلة من جديد! ما فهمته من الليلة أني روح هائمة دون وعي مني، لكن لهذه الدبلة علاقة وطيدة بالأمر لا محالة، وعليا معرفة علاقتها بي.

حضر (أنور) ليُجيب النداء الذي سبقته إليه، لتلتقي أعيننا في نظرات تحمل آلاف المعاني المختلطة ما بين العتاب والرهبة والفزع. أغلق الخط على والدته دون أن يجيب أو يستمع لما أرادت أن تبلغه حتى، لتخيم حالة الصمت على كلينا لكني سرعان ما قطعتها:

- عد لغرفتك يا (أنور) قبل أن يراك أحدهم متهمًا إياك بالجنون لحملقتك بالجدار بهذا الشكل العجيب.

ليسأل في إحراج:

- كنت أتمنى أن أطلعك أنا بالأمر قبل أن تكتشفه وحدك، لكن يبدو أني أجلته لأكثر من اللازم حتى تبددت كذبتي.

قاطعته مستفسرًا عن كيفية بداية الأمر، ليجيبني بأني نجوت من الحادث لكني لم أنجو من الموت بشكل عام، فقد تربص لي الموت على رأس فراش المشفى التي نقلت لها. نُقلت لمنزلي ليتم تغسيلي وتكفيني استعدادًا للسفر لعمان لدفني هناك مع بقية الأسرة عدا (أنور) الذي عاد لمنزله منتظرًا بداية العام الدراسي لكنه لم يتوقع أبدًا أن يجدني ممدًا على فراشه أخطرف بالكلمات. كان على يقين تام أني مكبل بالكفن وفي طريقي لأرقد بالتراب، معقبًا:

- لم أعلم ما كونك من الأساس، إن كنت ميت عائدًا للحياة أو روحك بُعثت لتؤنسني أو حتى جنيًا متشكلًا في هيئتك ليعبث بي.. لم أعرف ولم أعبئ رأسي بالتفكير، لقد خفت في بداية الأمر منك بالطبع، لكني سرعان ما تكيفت مع الموقف، فقدت استعدت صديق طفولتي كما لو أن الحياة دبت في كينونتي أنا من جديد لا أنت.. وهذا كل ما همني.

وحتى الآن لم يفهم ماهيتي بشكل كامل لكنه حاول التعايش معها بقدر الإمكان، بالأخص حين رحت أطلعه على أسرار لا يعرفها سواه وتجارب لم يخضها غيره دون أن يشاركها معي من قبل، هنا تيقن أني مرتبطٌ بعقله بطريقة كاملة. فأضحت كل مرة أتناول بها وجبات المدرسة أو أخوض الإختبارات الدراسية، كانت تلك ذكريات (أنور)

التي أقحم نفسي بها عنوةً عنه أو أخلق نسخة لها بخيالي مثل الكتب المدرسية ذات نفس علامات المذاكرة والملابس التي ملأت ركني الخاص من الحجرة المماثلة لملابسه، والهاتفان المحمولان المتماثلان حد التطابق والتي لم تكن صدفة بدورها. وهذا ما يؤكد أن اسمي المفقود من كشف اختبار اللغة الإنجليزية كان بسبب أني لست مقيدًا بالفصل أو المدرسة برمتها من الأساس ليس أي حجة ساذجة أخرى اقنعت نفسي بها، وأن أصل الاسماء الناقصة بالكشف تعود لعدم اكتمال طلابه.

ثم أضاف (أنور):

- لقد قرأت في منتديات الماورائيات أن الروح تعلق في عالم الأحياء حين يكون لها هدف لم تتمه أو يملؤها شعور ما حتى الموت ذاته غير قادر على احتوائه.. وأنت يا (رمزي) تنطبق عليك كافة الحالات، فقد تملكك حلم الانضمام لمدرسة (عبدالناصر) بجوار صديقك الأكثر من أخيك المتمثل في. كلها طاقات لم يحتويها الموت فخرجت عن طوعه.

وعلى حد قوله فيبدو أني حين عدت من الموت لم أكن وحيدًا. فقد بدأ (أنور) يشعر بتغير مفاجيء بدرجات الحرارة حيث يتعرق تارة وتقشعر شعيرات ساعده تارة أخرى، ثم

بعض الأعراض الجسدية كتضارب رئتيه أو تباطىء دقات قلبه. في البدء ظن أن تلك الأعراض متعلقة بوجودي، لكنه سرعان ما تبين الحقيقة حين رآها.

عينين حمراويتين داميتين كجمر النار المشتعل، أذاقته ويلات الرعب. أكدت له الشعور بأنه لم يعد يتشارك المنزل أو الحياة بوجه عام مع شبح هائم فحسب، بل هناك كيان آخر لا يعلم من نواياه شيئًا أو قد يوجد الكثير غيره لم يكشفوا عن نفسهم بعد.. وسبب قراءته لتلك المواقع المثيرة للقشعريرة هو محاولة معرفة طريقة للتخلص من هذا الكيان، لكنه بالطبع لم يحصد منها أي مفيد.

طلب مني السماح، لكني لم أجد ما أجيب به، فانسحبت صامتًا عن المكان.

ربما كان لدي حلم وعاطفة شبثوني بتلك الحياة، لكني لم أعلق بها عن طيب خاطر معارضًا لكافة قوانين الأموات، بل حدث الأمر عنوة مني أودت في عقبها الكثير من الأهوال متمثلة في الكيان المطارد ل(أنور). عليا الآن الامتثال لقواعد الموت كغيري مادام بقائي هنا سيعود على صديقي بالمصائب، أنا من قضى نحبه بالحادث وليس هو ولا ذنب له في تحمل هذا البلاء.. لكن ماذا أفعل؟

هل أسبح في عنان الفضاء بحثًا عن الفردوس؟ أم اخترق

باطن الأرض مفتشًا عن الجحيم؟ هل سُئلت من الأساس؟ أليس عليا الإنتظار في قبري حتى يوم الدينونة؟ ولكن كيف أبلغ قبري هذا في حين جثتي ترقد في قبور الأراضي العمانية؟ هل أطلب من أسرتي حجز طائرة لي لعمان؟ أم أنني شبح يحق لي التحليق حتى أبلغها؟ وماذا عن هذا الكيان الذي تخطى مرحلة الكابوس؟ هل سيترك (أنور) ينعم بحياته الطبيعية حين انسحب من الصورة أم أنه قارب على بلوغ مراده بالفعل وأي محاولات لي ليست أكثر من عبث لا طائل منه؟

فعقدت عزمي على إبلاغ هذا الكيان أن يفعل بي ما يشاء تاركًا (أنور) في سلام، فأنا مجرد روح لميت حزن ذويه عليه مسبقًا، أما (أنور) فلديه حياته التي تستحق بعضًا من الاستقرار. لكن كيف أتواصل معه من الأساس؟ هل أخترق الجانب الآخر من المرآة أم أقدم ذبيحة حيوانية على ضوء القمر كالأفلام. فالحياة الواقعية ليست بالسذاجة التي تبتاع بها كتبًا للسحر الحقيقي من على ناصية الشارع المجاور، فقد حاول (أنور) الأمر مسبقًا على الشبكة العنكبوتية ولم يعثر إلا على الهراء المستوحى من واسعي الخيال. لكن الحياة سخريتها تكمن في طريقة إيصالها للعلامات.

إن كنت سأتعامل مع كيان غير بشري، سأستعين بالموقف

الوحيد الذي صادفته مثل تلك الخوارق.. سأستخدم ال minecraftبعد أن تعاهدت بالابتعاد عن غرابتها للأبد، لكن مقارنةً بما أمر به الآن فما من شيء قد يستطيع التفوق على حالتي في الغرابة.

أخرجت هاتفي المحمول من جيبي والذي لازلت لا أعلم كيف أستخدمه حتى الآن، ربما لأنه كان بجيبي وقت الحادث فارتبط بي حتى بعد موتي، بل إني كذلك لم ألحظ أنه ظل سليما بعد الحادث! لا أستبعد أي ظن مهما بلغ سخيفًا كحملي لشبح هاتفي المحمول، بعد أن عرفت إني طيفٌ بدوري. عبثت على شاشة الهاتف بعض الشيء حتى بلغت صفحة تحاوري مع herobrine. فكتبت له (أريد مقابلته) ليأتيني الرد في أقل من ثانية كما لو أنه كان بانتظاري، برابط تحميل بعض الملفات!

إن تلك أطوار خاصة للعبة minecraft! من لا يعلم ماهية الأطوار فهي مسابقات مصغرة بذات نمط اللعبة تكون في الأغلب سباقات أو معارك منفردة، يتم تطويرها من قبل محبي اللعبة لا الشركة الرئيسية لها، لهذا لم أكن أفضلها كثيرًا لأنني لا أضمن براعة هذا المبرمج في الحفاظ على جوهر اللعبة الأصلي دون العبث به ولأن أغلب هذه الأطوار قصيرة تتضمن تحديات مبتذلة ستمل منها بعد مرة واحدة..

ولكن هل أمامي خيار؟ فحملت الملفات ودون تثبيتها فتحت اللعبة تلقائيًا على هاتفي المحمول!

بدأت اللعبة على شخصيتي بنفق أسود لا تصله الإضاءة ليبدو كفجوة سوداء لا ختام لها، لكن يمكنني تمييز بعض التحركات المعهودة للزومبي والهياكل العظمية وغيرهم من أشرار اللعبة المعهودين لكن العجيب كان الكلاب! الكثير الكثير منها بأعداد أزيد من أي وحش آخر.

والكلاب باللعبة هي كائنات مسالمة إلا إذا هجمت عليها، في هذه الحالة تتحول لوحوش ضارية تطاردك هي وكل من حولها من قطيع حتى لو لم تمسهم من الأساس.. أي أن أي ضربة خاطئة لأي وحش ستحيلني لفريسة ضعيفة الحيلة.

ثم بدأت التعليمات تظهر على الشاشة موضحة أن هذا مجرد طور لسباقات عادية، عليا تخطي كافة أنواع الحواجز سواء أفخاخ أو وحوش مع تجميع الموارد التي ستساعدني المنتشرة بكافة أرجاء النفق بالصناديق، والفائز هو أول من يضغط على الزر القابع بآخر النفق من بين كافة المتسابقين المتفرقين على أنفاق أخرى متنوعة العوائق لكنها مشتركة في النهاية.

ثم بدأت أصوات بقية المتسابقين تتعالى مؤكدين على أني ألعب بالطور الجماعي، منهم الخائف والمتحمس والمستنكر،

وهنالك من يتحدث العربية والإنجليزية ولغات أخرى لم أفهمها، تبينت ستة أصوات مختلفة بين ذكور وإناث متنوعين بالأعمار.

كان هنالك من يسأل عن كيف وصل به المطاف لهذا الطور، ومن يستعلم عن كيفيته اللعب بطريقة جماعية في حين أنه لا يوصل الإنترنت بجهازه، ومن يستفسر عن ماهية هذه اللعبة من الأساس، والكثير من الأسئلة التي لم أفهمها.. لكن ما من مجيب، فقد بدأت اللعبة بالفعل.

أفتح الصناديق، أجمع الأسلحة، أرتدي الدروع، أقذف السهام صوب المسوخ محاولًا تحاشي الكلاب، أخطو فوق إحدى الفخاخ فينهار جزء من الأرض أمامي كدت أهوي معها لولا حذري، أثب على قطع الصخور المتبقية لأعبر هذه الحفرة، تتكاثر المسوخ حولي فلا أجد بدًا من استخدام السيف، لا تنس أن اللعبة بدائية وأسلحتها مقتصرة في السيف والسهم والرماح، ألوح بالسيف على أمل أن يحقق ضرر لأكبر قدر من المسوخ من حولي في آن واحد. بلغ مسامعي صوت أحد اللاعبين وهو يصرخ في ألم، فيصيح به لاعب آخر أن يكف عن تلك الضوضاء تاركًا إياهم يركزون في اللعب، فراح هذا الأخير يستعرض موسوعته الخاصة في إلقاء السباب موضحًا أنه لا يصرخ كنوع من الحماس،

بل إنها تأوهات ألم حقيقية مفاجئة! ليأكد ادعائه صرخة من إحدى اللاعبات مصرحة بأنه ذات الألم الذي تعرضت لها شخصيتها باللعبة!

كدت ابتسم ساخرًا على تلك السخافات لكني شعرت بألم مفاجئ متزامنًا مع عضة الزومبي التي أصابت لاعبي، وللعلم كانت تلك الضربة الأولى التي تعرضت لها منذ بداية السباق. هذه المرة الأولى التي لاحظت بها أن شخصيتي باللعبة ترتدي ذات الملابس التي أرتديها الأن بل تمتلك ذات قصة الشعر كذلك؟ هذا السباق ليس عاديًا ولم يكن منذ بدايته، إنه سباق لأجل النجاة بأرواحنا الحقيقية، الموت باللعبة يعني الموت بالحقيقة!

هل تنطبق عليا هذه القاعدة وأنا ميت بالفعل؟ بل لمَ من الأساس انخرطت في تلك اللعبة متجاهلًا ما كنت أسعى إليه في التواصل مع الكيان الشيطاني؟ لكن هل سأخاطر بإغلاق اللعبة أو الخسارة بها رغم أني شبح؟ ما من شيء مضمون بحالتي، فكل تلك احتمالات كونها عقلي المجهد الذي لم يفق من صدمة أني مكفنٌ بقبري منذ شهر.. لذا علي استئناف اللعب.

تصيب إحدى ضربات سيفي الكلاب فتحول عيونها للأحمر أجمعين صابة هجومها على عاتقي، أحاول الوثب

متفاديًا إياها، لا أتوقف عن التلويح بسيفي ضاربًا أكبر قدرٍ من المسوخ، التحكم بشخصيتي على الهاتف المحمول أصعب من الحاسوب لكن عليا التعامل مع الأمر مهما كلفني من تركيز، أسمع لصرخات واستغاثات من اللاعبين الآخرين بالأنفاق المجاورة، بل إن هناك من اختفى صوته عن اللعبة برمتها كما لو أنه انسحب من السباق أو خسر بإحدى الأفخاخ وبكلتا الحالتين فلا أريد تخيل نهايتهما الفعلية بأرض الواقع، كما أني أشعر بآلام متفرقة مع كل ضربة تتلقاها شخصيتي باللعبة لكني أحاول كبت تأوهاتي بقدر الإمكان. الإضاءة تنخفض لكني لم يعد لدي المزيد من المشاعل لإنارة النفق! سأركض للأمام وليكن ما يكن.

لقد بلغت غرفة النهاية المزعومة أخيرًا وها هو الزر منتظرًا لتتويج الفائز، لكن هنالك أحد اللاعبين يسبقني صوب الزر عدوًا وأنا استمع للهاثه المتوجع. علي إيقافه لكن ماذا أفعل؟ هل أقتل نفسًا بريئة لأجل مصلحتي أنا الميت مسبقًا؟ لكني هنا لا أخاطر لأجلي فحسب بل ل(أنور) وربما كل عائلتينا تعاني ذات الخطر من بطش الكيان ذو العين الحمراويتين. لم يبقى بين اللاعب والزر سوى خطوات معدودة فأطلقت سهمي صوب رأسه دون تردد، ليقتل على الفور مختفية جثته كعادة اللعبة. ولم أدري إن كان صوت تلك الحشرجة ظلت مستمرة حتى بعد اختفاء جثته أم هو عقلي النادم ظل

يصعق بها أذني رغم كتمها، لكني واثق أني لن أنسى هذه الحشرجة المعاتبة طالما حييت أو مت إن ابتغينا الدقة.

دنوت من الزر وكدت أضغط عليه خاتمًا هذا الكابوس لكن صوت ما استوقفني. كان طلبًا بالنجدة من أحد الأنفاق، ما المشكلة في هذا؟ إن الصوت كان بالرقة والطفولية الجاهرة بأنه نابع من حنجرة فتاة لم تتعدى العشر أعوام بعدا.. يبدو أنه كان هنالك سبع متسابقين غيري لا ستة فأنا لم أسمع تلك الصغيرة منذ بداية السباق.

ظهرت من ظلام النفق عادية كغيرها من اللاعبين، فاللعبة لا تظهر الإصابات التي تعرضت لها الشخصية أو إن كان موشك على الموت أم لا، لكن مع نحيبها المصاحب لتوسلاتها بالنجدة كونت لي صورة لا بأس بها تنفطر لها القلوب عن فتاة تتناثر على جسدها الحروق أو الطعنات الدامية.. بالمناسبة أنا لا أدمي نسبة لحالتي الشبحية لكني أتألم.

كالعادة ذات الأسئلة الوجودية قليلة الحيلة خاصتي، وذات الصمت الذي ألقاه في كل مرة. فلو كنت أحارب لأجل عائلتي فما الذي يمنع احتمالية أن تفعل الفتاة ذات الأمر؟ بل ما يميز عائلتي عن عائلة تلك الصغيرة لأحكم عليها بالإعدام؟ فالله وحده أعلم بما جمع هؤلاء السبعة بهذا المكان، قد يملك كلًا منهم مصائبهم التعسة الخاصة التي جمعت بيننا في هذا

الجحيم المشترك.

لم أشعر بهذا الوهن والتخدير في أناملي؟ تفقدت مؤشر الحياة الخاصة بلاعبي لأجده يتناقص بشكل مستمر من فعل التسمم كما فعلت بي العناكب من قبل.. عليا حسم قراري بسرعة، فإما الآن وإما أبدًا..

فقلت كاتمًا دموعي:

- سامحيني.. فلدي ما أقاتل لأجله.

ثم ضغطت الزر ليسود الظلام شاشة الهاتف المحمول دون سابق إنذار، وعيني كذلك. لكني هذه المرة استمعت للكلمات التي تتردد أثناء نومي بطريقة أكثر وضوحًا ولأول مرة!

***

(١١)

أضعت كل شيء

أفق أيها الطيني.

كانت الكلمات خشنة تمزق طبول أذني مع كل حرف منها، بلغة لا أعرفها، وبعبارات لا أفطن من لكنتها حرفًا، بل لا أدري إن كانت حروفًا تتشابك لتصنع الكلمات بالفعل أم هي مجرد خليط بين زئير وصراخ وعويل.. لكنني فهمتها رغم كل هذا! كنت أريد أن أجيبه لكني بالطبع لا أعرف الرد بتلك اللغة فأجبت بالعربيتي الأم بكل تلقائية:

- ما الذي تريده مني أيها الشيطان الرجيم؟ أنت تشرع بالفعل على تخريب حياة صديقي، بل وقهرتني على قتل نفسين بريئتين إحداهما فتاة صغيرة.. لمَ تفعل كل هذا معي؟

ليجيبني الصوت بغضب:

- أريد إذلالك أيها الطيني الساذج، كما فعل جدك الأكبر يا حفيد (ابن الحظرد).

فهمت من الشيطان أن الأساطير تزعم أن قبائل من الجان المتمرد بعون بعض أمراء الجحيم، حاولوا التمرد على ملوك

عالم الجان السبعة بل والاستحواذ عليه كذلك من قبضتهم. في البدء تملكوا السلطة بكل بساطة دون قتال أو إراقة قطرة دماء واحدة، رغم الجحافل التي أعدوها استعدادًا للحرب. ظن المتمردين أن بالأمر خدعة وأن الملوك يعدون لهجوم كاسح يزيلهم عن وجه الأرض والجحيم سواء، فحافظوا على استعدادهم لأي هجمة غادرة. لكن انتظارهم هذا طال أكثر من اللازم.

مر أول عام بخير والثاني والثالث حتى العام العاشر، دون أثر للملوك من الأساس، رغم الجهود المبذولة في البحث عن مخبأهم. هل من الممكن أن يكونوا انتحروا هروبًا من ويلات الخسارة؟ هل انتهت أسطورة ملوك الأيام السبع بتلك البساطة؟ فحتى الأقلاء من البشر بهذا العصر الذين يقومون بتعاويذ تحمل طلاسمها شهادة أيًا من الملوك، ترد في عدم استجابة دلالة على أختفائهم عن بكرة أبيهم!

قل الحرص، وأخذ الملوك الجدد من المتمردين في صرف أذهانهم في أشياء أخرى.. لكن دوام هذا الحال كان مستحيلًا فقد عاد الملوك عقب ستة عشر عامًا من اختفائهم محملين بالحلول.

تسربت أخبار الغارة من المتمردين للملوك، فعلم سبعتهم أنهم ليسوا ندًا لهذا الغزو. فمهما بلغ بهم الغرور أو حتى

الخلافات، لن يسمحوا أبدًا أن يسكرهم زهو السلطة عن التعقل. لقد قدروا الموقف بتمعن ورأوا أن المقاومة لن تعود عليهم إلا بالأسر مدى الحياة في أحسن الظروف إن لم يكن الإعدام مصيرهم.. لهذا قرروا الإختفاء على وعد بالعودة بالوسيلة التي يخضعوا بها كل متمرد.

وبالفعل بعد ستة عشر عام، عاد الملوك السبعة بسبع تعاويذ خارقة. منها للقتل دون مقدمات ومنها للأسر في قلة حيلة، منها لإضعاف قوة العدو حتى بالكاد يحمل جسده، ومنها لتضخيم قوة الملوك حد الإطاحة بدزائن كاملة بضربة واحدة.. ستة عشر عامًا قضوها في تلاوة التعاويذ والترنم بالعزائم وصياغة الأسفار، ليخرجوا بالنهاية بالتعاويذ التي استردوا بها حكمهم من براثن المعتدين والمتمردين، في معركة عظيمة أثرت على العوالم أجمع.

وعقب كل هذا، حُفظت أسرار تلك التعاويذ بين الملوك على قسم منهم بعدم استخدامها مرة أخرى إلا في الضرورات القصوى مثل تلك المواقف، دون الرجوع إليها لتحقيق منافع شخصية، أو خلافات فردية أو أي شيء من هذا القبيل.

قد تكون تلك القصة الحقيقية أم إنها مجرد شائعات حرص الملوك على تعميمها بين الألسنة كي لا يستدل على طريقة أصل تلك التعاويذ الحقيقي. المهم إنه ما من مخلوق من

الجان أو الشياطين، يعلم ولو كلمة واحدة من عزائم تلك التعاويذ السبع، إلا السادة والملوك بالطبع. وأستمر سرها مخفيًا عن العالم أجمع، حتى تسربت إحداها وربما كلها لبشري يدعى (عبدالله بن الحظرد) اليمني.

فهمت منه كذلك أني من نسل زوجة (ابن الحظرد) العمانية! التي تزوجها سرًا ثم أرسلها للاحتماء بمصر، حيث كان يخطط للقضاء على هذا الشيطان بذات المكان، لكنه مسح كافة تلك الذكريات عن عقله وبالمثل فعل مع شقيقته (زبيدة).

رغم إن تعويذة (الحلقة) التي استخدمها جدي الأكبر على هذا الشيطان، كانت إحدى تعاويذ ملوك الجان السبعة المحرمة، إلا أنها كانت تعويذة كغيرها بنهاية المطاف، لها طقوس عمل وطقوس تجديد.. والأهم طقوس للفك.

وبما إن تلك التعويذة صنعت من شيئين وهما رمال بئر راهوت الطاهرة ودماء نسر أمير الظلام الدنسة، كانت يجب أن تُحل على مرحلتين كذلك. تمثلت الأولى في تعويذة الإستدعاء.. فأكمل الكيان:

- لو كانت تلك التعويذة تخص أي كيان عادي، فبأي تعويذة استدعاء تقليدية يمكنها فك الشق الأول من (الحلقة). لكن عن أي كيان عادي تتحدث؟ فأنا (ابن المضبع) الشيطان

الواحد والعشرين من ذمرة السادة.

لم يعرف أحدًا من الطينيين –كما يطلق عليهم- عن العشرين شيطان وأخيهم الأخير شيئًا قبل (ابن الحظرد)، لهذا أراد (ابن المضبع) المخطوط الذي به وسيلة استدعائه التي تحيله من سيد لا يقهر، لكيان عادي كغيره يمكن تحضيره وصرفه، فكيف يكون سلطانًا إن لم يكن مميزًا؟ فانطلق خادمه المخلص (إيواس) ذو العين الصفراء في بحثه عن المخطوط الوحيد الذي به تعويذة استدعاء سيده التي حتى هو لا يعلمها، لكنه لم يوفق بسبب تعاويذ حماية جدي على شقيقته (زبيدة) ونسلها، ذات التأثير الأذلي. حتى أوقع القدر بحامل المخطوط في يد ساحر، تلقن عنه كيفية إزالة تلك الحماية.

وبعام **١٩١٠م** تمكن تلميذ الساحر من إتمام الشق الأول من فك تعويذة الحلقة. ليتحرر (ابن المضبع) من ثباته، لكنه لازال أسيرًا رغم هذا.

حيث لم يستطع مغادرة حجرة الهرم السرية التي حُضر بها كما أخبرني. كان بوده أن يعجل بحل الشق الثاني والأخير من التعويذة لكن الأمر ليس بتلك البساطة، فكان عليه الانتظار ستة عشر عامًا أخرى كالتي قضاها الملوك في صنع تلك التعويذة، والتي تسمى ب(فترة الإتمام). وكما فهمت

منه هي الفترة التي يجب الانتظار فيها حتى يتم حل كل شق للتعويذة على حدا، بسلام دون أي تدخلات أو حوادث، وإلا سينال جزاءًا مضاعفًا.

لكن كافة شروط وطقوس وحتى فترات الإتمام للتعويذة يتم تحريفها على حسب مستخدمها. ولأن صانعها من البشر، كان على (ابن المضبع) انتظار الستة عشر عامًا تلك بما تعادلها بعالم البشر، والتي تمثل القرن الكامل.

أما الشرط الثاني تم تحريفه بدوره، ليتمثل في: إذا قام نسل مستخدم التعويذة ذو عمر ستة عشر عامًا أرضية، بالعبث في نمط الحياة البشرية العادية، كمزاولة السحر أو التواصل مع أي عوالم مختلفة، بهذه الفترة الزمنية. سيستطيع الشيطان إرسال حلقة الّثبات المكسورة إلى البشري، الذي بمجرد أن يرتديها سيتملك الشيطان جسده ويتحرر للأبد عقب فترة إتمام قصيرة.

- وبمجرد أن انقضى هذا القرن المرير بوقتكم، انتظرت الوقت المناسب حتى أضرب ضربتي الحاسمة، لكني بالطبع لا أستطيع التدخل لتنفيذ شرط التعويذة وإلا سيعتبر هذا احتيالًا قد يعود عليا بمضاعفة فترة حبسي، لكنه لا بأس بتعجيل حدوث هذا الشرط عن طريق وسوسة صغيرة في أذن الشاب النائم بالعربة المجاروة للحافلة التي تقلها أثناء

عودتك لدارك، حالته لآلة قتل بشرية.. قد أكون أسيرًا لكني لازلت أتمتع ببعض القوى الشيطانية الروحية التي تؤثر في الآخرين عن بعد.

الآن أدركت كم أحسن (ابن المضبع) في اختيار اليوم الذي يبدأ به لعبته! صنع لي هدفًا أتعلق به بعالم الأحياء وهو مشاركة (أنور) حلم الانتساب لمدرسة (عبدالناصر)، كما ترك لغزًا سيتملك تفكيري بسبب تعلقه بأكثر لعبة تستهويني وهي minecraft.. فأكمل الشيطان:

- كان ينقصك الباب الذي بمجرد عبوره ستتعلق بعالم الأحياء كما أخطط، وكل ما فعلته أنا هو فتحه لك، وترك نفسك البشرية تقودك لوهم سعادة الحياة، غير مدرك أن بفعلتك تلك قد كتبت على كل أسرتك بالهلاك.

كل شيء نطق به (ابن المضبع) كان يمر أمام عيني بسرعة الضوء، بالصوت والصورة، لقد عاصرت معه عشرات الحيوات ومررت على مختلف العصور، ورأيت هيئته البشعة أثناء صراعه الأول مع جدي الأكبر. حتى قارب عقلي على الانفجار إن لم يكن فعلها بالفعل دون أن ألحظ! فأكمل الشيطان وأنا غير قادر على الرد حتى أو مجاراته الحديث:

- بعدها أرسلت لك خادمي المخلص (إيواس) متشكلًا في هيئة صبي طيني مثلك بالقطار، ليقدم لك حلقة الأسر التي

كسرتها حين تحررت من الشق الأول من التعويذة، على هيئة (دبلة) كما تطلق عليها.. تاركًا ارتدائها هذا على عاتقي.

لقد قالها الشيطان من قبل، إنه لا يستطيع التدخل لكن بمقدوره تسريع الأمر، وبنفس النهج لن يستطيع إرغام أحدنا على إرتداء الدبلة جبرًا، لكن بمقدوره تهديدنا حتى نرتديها إتقانًا من بطشه.

فأكمل موضحًا، أنه بذل الكثير من قوته الروحية ليغير حالتي بين المادية والشبحية، فتارة أضحى بها كائنًا ملموسًا يراه الآخرين ويتفاعل معهم كما حدث مع (حمدي) وأصدقائه، وتارة أخرى أضحى بها مجرد شبح صانعًا عالمي الخاص بعقلي دون اعتراضات. ومن ضمنها حادث (حمدي) الذي كان هو من تسبب به من الأساس.. ليثبت إنني و(أنور) لسنا وحدنا، وحين أتيت من الموت كنت برفقة كيان شيطاني يعبث بحياتنا كيفما يشاء.

سيبتز كلينا لارتداء الحلقة التي تحرره. فلوحت بيدي بنوع من الفخر متحديًا:

- يبدو أن البشر أذكى مما تصورت أيها الشيطان، فأنا لم أرتد الحلقة ولو لمرة واحدة، ولن أفعل أبدًا.

تبسم الشيطان في سخرية أثارت قشعريرة جسدي، مجيبًا:

- من قال أنك كنت هدفي من البداية؟

ثم انتقلنا! بالفعل أنا لم ألحظ أين كنت واقفًا؟ هل كل ما رأيته هذا كان مجرد رؤى في حين أني لازلت بالمدرسة؟ أم أني كنت انتقل عبر الزمن معه؟ بل ما كان موضعي حين فتحت اللعبة وانخرطت في سباقها الجهنمي؟ ليس لدي ذكرى واحدة لموضع ثابت بالمدرسة كما لو أني كنت بكل أرجاء المدرسة بذات اللحظة! لكننا هذه المرة بلغنا الحجرة التي أقمت بها لأسبوع وأكثر ظانًا أني كنت كائنًا حيًا يحلم ويتنفس قبل أن أدرك فادحة أصلي.

كان كل شيء كما تركته مع اختلاف ذلك الفتى المسمى (علي) المتربع على الفراش الذي كان ملكًا لي يومًا، وبالفراش الآخر (أنور)...! لقد كان (أنور) يرتدي الدبلة بأحد أنامله!

كيف حدث هذا؟ لقد كانت بجيب بنطالي بآخر مرة تفقدته بها، لكني بالطبع لم أرهق نفسي بالتأكد من ظني، فما أدراني أن تلك الدبلة كانت تطاردني وحدي؟ فهي لم تقبع أمام عيني طوال الوقت، بل أغلب الأحيان كنت ألقي بها بإهمال ناسيًا أمرها دون حسبان.

هل سيربح الشيطان الجولة بتلك البساطة؟ لا بد أن أفعل شيئًا لإنقاذ (أنور) أو لعل هنالك ثغرة ما أستطيع إستغلالها..

مهلًا لحظة، تذكرت شيئًا..

- لقد قلت إنك ستستحوذ على بشري ذو ستة عشر عامًا كشرط من التعويذة، و(أنور) خمسة عشر عامًا فحسب، أي أنك لن تتحرر من سجنك هذا بعد.

كادت ابتسامة النصر تشرق على وجهي. لدينا عامًا كاملًا نستطيع فيه فعل الكثير، قد نبحث في الأمر حتى نتمكن من إبطال تأثير التعويذة أو أسر الشيطان بتعويذة أخرى أو حتى جعله يتلبس أي شخص آخر غيرنا. رحت أرسم آلاف السيناريوهات والخطط التي هدمها الشيطان بأكملها على رأسي حين قال:

- يبدو أن ما عرضته عليك الآن من أحداث أكبر مما قد يستوعبه عقلك الطيني المحدود لدرجة أنه بدأ في حذف الذكريات منه بشكل عشوائي.. أحقًا نسيت عيد مولد صديقك العزيز رغم أنك كنت تبحث له عن هدية منذ شهر ونصف؟

عيد مولده! كيف نسيت الأمر؟ بل متى حضر من الأساس؟ إن عيد مولده هذا من المفترض أنه بعد أسبوع حسب آخر ما أتذكره حين اكتشف إني طيف، يبدو إنني قضيت وقتًا أكثر من اللازم في خوض تحدي اللعبة، وحواري مع هذا الشيطان يفوق الزمن البشري بمراحل.

الآن فهمت لما نجى (أنور) من الحادث ورحت أنا ضحيته، لم يكن الأمر عبثيًا، بل لم يوجد أي شيء وليد الصدفة على الإطلاق. حيث حمى الشيطان (أنور) لينجو هو من الحادث لأنه سيتم السادسة عشر قبلي، فهو يكبرني بثلاثة أشهر كما ذكرت سالفًا. أما أنا سأؤخر خطته في التحرر إن ظللت أنا الحي.. لقد انتظر (ابن المضبع) مائة عام كاملة في قضاء فترة إتمام التعويذة، وسيفعل أي شيء يكفل له أن يتحرر ساعة مبكرة، فما بالك بالثلاثة أشهر إذًن؟!

نظرت ل(أنور) فلاحظت أنفاسه ثقيلة، بل بالكاد يلتقطها، مع تناثر العرق على جبهته كما لو أنه مصاب بحمى شديدة. هذا ما يبصره العامة، أما عيني أنا فقد توسمت ظلًا يغلف الجانب الأيسر من وجهه وربما كيانه بأكمله، ثم استمعت لصوت (ابن المضبع) يتردد في عقلي هذه المرة دون إبصار موضعه، قائلًا:

- إننا بالثانية عشر بعد منتصف الليل، باليوم الذي أتم فيه صديقك السادسة عشر عامًا بالتمام.. لن يبقى لديه سوى سويعات معدودة حتى استحوذ على جسده بالكامل، وسأتركك هكذا تراقب موت صديقك الطيني أمام عينيك دون أي حيلة منك، لتتذكر دومًا أني أنتصر بالنهاية مهما تأخرت، فأنا..

صمت عن الحديث هنيهة ثم أكمل:

- لقد لقبوني بمختلف الأسماء على مر السنين. الشيطان الواحد والعشرين أو (ابن المضبع) أو كيان الفناء وغيرها، لكن هذا البعث الجديد يستحق اسمًا خاصًا، وبما أننا بالقاهرة.. إذن أنا (القاهر بن المضبع) أعلن انتصاري.

ثم ظل يقهقه بزهو اهتزت على إثرها روحي وربما المدرسة بأسرها، في حين كان (أنور) ينظر لي في توسل بالنجدة.

***

بالطبع لم أرهق نفسي في محاولة انتزاع الدبلة أو الحلقة بالأصح من أنامل (أنور) فالتصاقها بجسده جليًا على أي حال، وحتى لو بترنا يده بأكملها، فقد ارتبطت الحلقة بجزء من جسد نسل (عبدالله بن الحظرد) وهذا هو المهم.

لا ألوم (أنور) على أنه قبل بارتداء الدبلة، فقد رأيت بنفسي الهول ذاته وأنا لست سوى وسيلة لإتمام خطة الشيطان، فما بالك إذن بما رآه (أنور) وهو بالأصل الجسد المنتظر الذي سيتلبسه. ربما هدده أنه سيلتهم روحي أو يعذبها بالجحيم قبل أن يصوب بطشه على رأس عائلتينا البريئتين. أو حتى لو كان اختيار (أنور) ماثل في زوالي بصخبي عن حياته

للأبد لينعم بالهدوء الذي كان عليه قبل الحادث، فكيف أعاتبه وهو يخير من قبل شيطانًا؟

لقد قاربت الساعة على الثالثة بعد منتصف الليل وقد استحوذ (القاهر بن المضبع) على نصف وجه (أنور) حسبما أظن، ولم يبقى له سوى سويعات حتى يعلن هيمنته التامة على جسد صديقي العزيز.. بالفعل هذا تخميني للأحداث ولست متأكدًا منها.

فقد حالت صحة (أنور) لما لا يحسد عليه من وهن، فبالكاد يحافظ قلبه على استمرارية نبضه فما بالك بمقاومة شيطانٍ جهنمي؟ في حين يصنع له (علي) –زميله الحديث بالحجرة- بعضًا من كمادات المياة المثلجة باعتبارها حمى عادية، لكنه تيقن أنها ليست كذلك حين شرع (أنور) في تقيؤ حامض أسود نتن الرائحة، لم يعلموا أنه كان يومًا دماء نسل أمير الجحيم، في دلالة على انحلال الشق الثاني من التعويذة. أبلغ (علي) مدير الطابق عن حالة (أنور) التي لا تقدر عليها حيل الإسعافات البدائية تلك، وضرورة نقله لأقرب مشفى.

وقد رحلوا بالفعل تاركين إياي بالحجرة مع (علي) الغارق في نومه. لهذا قررت تسجيل كل شيء على هاتفي المحمول، توثيقًا للأحداث. فأنا مؤمن إن هذا الفوز لل(قاهر) مؤقت، وأن هنالك خير ما سينتصر فيما بعد، لعل من ينقب في أصل

الحكاية يتوصل لهذا التسجيل الصوتي يومًا ما.. لقد كان هدف تعلقي بالحياة هو المدرسة و(أنور) واللعبة، أما الآن فهدفي الجديد هو تحقيق النصر على (ابن المضبع) يومًا ما.. خاصة أني أريد إضافة شيئًا آخر.

لقد فسر لي (القاهر) كل شيء، عدا أمرًا واحدًا. تلك العبارات التي أسمعها بمنامي، وأتمتم بعضًا منها دون وعي مني، والتي أخطها على الأوراق مع شرودي. لم يعلق الشيطان عليها ولم يأتي بذكرها من الأساس. لكني أشك أنني قد فهمت ماهيتها.

لا أعلم إن كان هذا نوعًا من ترابط العقول مثلما حدث بيني وبين (أنور) حين رحت أتقاسم معه الذكريات والأغراض، فحدث المثل مع (القاهر) أم أن تلك روح جدي الأكبر (ابن الحظرد) يحاول التواصل معي بطريقة ما. المهم أني سمعتها بشكل واضح وسليم بعدما ضغطت على الزر في اللعبة لأول مرة، بل وحفظتها عن ظهر قلب كذلك.. ما سأردده الآن هي تعويذة قتل (القاهر بن المضبع) التي مسحت عن التاريخ بموت تلميذ الساحر (كراولي).

أعلم أن تلك الطلاسم بلا فائدة من دون بقية طقوس التعويذة، لكنها أفضل من لا شيء على أقل تقدير، عسى أن يستغلها أحدهم في المستقبل للخلاص من هذا الشيطان

المدنس.

ورد بخاطري إيصال هذا التسجيل لذوينا بكفر الشيخ، لكن من زعم أن للأشباح حرية الحركة كما بالأفلام؟ فأنا مقيد بتلك الحجرة أنتظر استحواذ (القاهر) على جسد صديقي بالمشفى.

هنالك شيء يحدث بجسدي! علامات التمدد الحمراء تلك، إنها تتشكل على هيئة حلقات حول كافة مفاصلي، أعتقد أن جسدي ليس الوحيد الذي يعاني من تلك الظاهرة العجيبة، فهنالك مثيلتها على كيان (أنور) بالمشفى بكل تأكيد.. إنها أقرب للحلقات المعدنية المكبلة لجسد (القاهر بن المضبع).

من المفترض أنه سيتحكم بجسد (أنور)، ولا أعلم مصيري أنا، لكني لن أنتظر حتى أعرف، فعلي تخبئة هذا التسجيل الصوتي قبل أن يعثر عليه (القاهر)، فكما سجلته بهاتفي المحمول الذي علق معي منذ الحادث سأخبئ بطاقة الذاكرة بال readerالفضي الذي كان برفقتي على شاكلة ميدالية هو الآخر. لقد توقف عقلي عن التفكير من فرط التوتر فلم أجد موضعًا لتخبئة هذا القاريء سوى بجحر الفأر المكتنز خلف فراشي، عسى ألا يجده غير الخير الذي أنشده.. سأفعل هذا الآن منتظرًا مصيري المجهول، فأرجو منكم الدعاء لي بالرحمة أو الجحيم فلا فارق لدي، فأنا متأكد أن أي مكان

مهما بلغت بشاعته سيبيت أهون مما سيفعله هذا الشيطان بي.

لا تنسوني أبدًا..

رمزي عسكر

***

(١٢)

أنهي الأمر معي

المبنى المهجور

انتهى (علاء) من التسجيل الصوتي دون أن يشعر بأي شيء، سواء أنه يتربع بين الأوساخ والحشرات المعربدة بكل حدب وصوب حوله، أو الوقت الذي اختلسه من هذا اليوم من دون قصد. كاد يعيد تشغيل التسجيل للمرة الثانية لاستبيان بعض المعلومات التي سقطت منه سهوًا، ولتجميع تشابك المزيد من الخيوط سويًا، لكنه تراجع عن الأمر بعد أن أدرك الفادحة التي ارتكبها، لقد قضى بالمبنى المهجور الوقت الكافي ليبلغ فيه (دياب) عنه لمشرفي الطوابق بل وناظر المدرسة ذاته، وربما هم في طريقهم الآن للمبنى بحثًا عنه.. عليه الخروج من هنا أولًا ثم استكمال حكاية المبنى التي لا تنتهي لاحقًا.

شرع يضرب بكفيه على جسمه في محاولة لإزالة الأتربة التي جذبت لكيانه كالمغناطيس، ثم انطلق يترجل من الحجرة عابرًا العنبر وهو يفكر في الترابطات التي جمعها حتى الآن بين ما سمعه بالتسجيل وبين عجائب الليل الأربعة وبقية حوادث المدرسة الفرعية. فعلى سبيل المثال حكاية

(دياب) مع المخزن رقم (٩) هي في ذات الوقت ترمز للعربة رقم (٩) بالقطار الذي استقله (رمزي) منذ عشر سنوات وكان لقائه الأول مع (إيواس). هذا غير الأصوات التي استمع إليها (مهدي) وبقية الطلاب بالثالثة بعد منتصف الليل المعبرة عن الساعة التي أتم فيها (القاهر) الاستحواذ على جسد (أنور)، هل يمكن أن تضحى آثار الأقدام التي صادفها الطلاب على الأسرة هي بقايا الألف روح التي قتلها الساحر الأجنبي كقربان لل(قاهر)؟ بخلاف حادث (محسن) مع كلمة (أحسنت صنيعًا) النابعة من مبنى المكتبة ليلًا، هي في الأصل كلمة (good job) المترددة على لسان شقيق مصمم لعبة minecraft والتي سمعها (رمزي) أثناء إغلاقه للعبة. وكذلك السبع قطط المتربعة بالمطعم هي كنية عن السبع أرواح التي واجهها (رمزي) بلعبة minecraft حتى يتمكن من التواصل مع (القاهر).

وعلى ذكر أمر اللعبة، فبالفعل (علاء) قد سمع عن تلك الحكاية فيما سبق، حيث ادعى عدد كبير من مستهلكي اللعبة ظهور تلك الشخصية الغامضة التي لقبوها ب(herobrine) باعتباره بالفعل روح شقيق صاحب اللعبة المتوفي، مع اختلاف الحكايات على كل لسان حتى لم يعد بإمكانك معرفة الصدق من نفاقه. بل وبدأ بعض المطورين صنع أطوار للعبة تحتوي على تلك الشخصية عن قصد بل

ويكون هناك علامات لوجوده باللعبة أو لا، حتى استغلت الشركة الرسمية للعبة minecraft الشهرة التي حظتها تلك الشخصية وبدأت تضيفها على أغلفة لعبتها بأنفسهم، لكن بدون أي تصريح إن كانت موجودة باللعبة من قبلهم بالفعل أم هي روح هائمة كما يدعي أغلب اللاعبين.

لكن هنالك بعض العجائب لم يفهم كنهها بعد، كجنون الكلب الليلي! فحتى الدلالات التي لصمها سويًا لم تحل عنها كافة علامات الاستفهام، فلمَ السبع قطط مكتنفة بالمطعم عن غيره؟ ولمَ تتردد تلك الكلمة (أحسنت صنيعًا) بالمكتبة عن دونها من المباني؟ يمكننا تفسير هذه النقطة بأن (رمزي) ذاته لم يستطع تحديد موضعه بالمدرسة بعد إدراك حقيقة كيانه الروحاني، فنتج عنها انتشار المس بكل أرجاء المدرسة بعشوائية دون تحديد. وهل يمكن أن يكون هذا الصوت الأنثوي الصادر ليلًا من المبنى هو كناية عن الفتاة التي اضطر (رمزي) لقتلها أو أسر روحها بنهاية سباق اللعبة؟ أم هي (أمينة) هانم من كابوس (حمدي) أثناء وعكته الصحية؟ أم هنالك عنصر أنثوي آخر بالحكاية لم يعرفه بعد؟ أوليس من الممكن أن ترمز الساعة الثالثة التي تنبع بها الأصوات تلك للغرفة رقم (٣) التي كان يقيم بها كلًا من (رمزي وأنور)؟ إن تلك ليست سوى توقعات وقد ترمز هذه العجائب لأشياء مناقضة تمامًا لم يدركها (علاء) بعد. عليه إعادة تشغيل

مسجل الصوت لعله يتعرف على بعض التفاصيل التي سقطت منه سهوًا، لكن أين هو الآن من الأساس!

تخلص (علاء) من شروده وهو يتطلع حوله في تعجب للعنبر الذي يسير به وكان كل شيء به سليم؟ الدهانات عن الجدران براقة، البلاط على الأرض من تحته لامع، الأبواب من حوله مغلقة بإحكام دون أن تعيبها شائبة، بل إن هناك بعض الغرف مضاءة من الداخل لتظهر من نافذة الباب الصغيرة حاجيات الطلاب التي رغم إهمالها لكنها نظيفة على أقل تقدير. هل عاود مبناه الداخلي دون أن يشعر من فرط التفكير؟ بالطبع لا فهو لا يتذكر مروره بمدخل المبنى المهجور المدجج بالقمامة، كما أن هذا ليس عنبره من الأساس. قد يكونا متطابقين في كل شيء من عدد الحجرات وتقسيمها لكنه أقام بالمبنى الداخلي لشهرين وربما أكثر ليستطيع تمييز عنبره الخاص ولو هناك مئات النسخ منه.

أثناء تجوله لمح طالبين يبدو عليهما أنهما بذات عمره، يتحاوران بإحدى الحجرات على نقيض باقي الغرف الفارغة، فورد بخاطره أن يطرق عليهما ليسأل عن ماهية هذا المكان. لم يلبث أن يقرع بقبضته على جزع الباب المنتصب حتى جحظت عينيه من هول المفاجأة. ازدرد لعابه في غير تصديق، بدأت أطرافه في الارتجاف من مجرد مرور الفكرة

على مخيلته.. لقد اخترقت قبضته الباب كالأشباح!

لم يدري كيف يتصرف، لكن الخيارات أمامه لا تتعدى حيز العويل أو البكاء، فقرر اقتحام الحجرة لعل نجدته تكمن داخلها. أغلق عينيه بقوة حتى كادت جفونه تمزق بعضها البعض، ثم تقدم للأمام حتى بات حوار الصبيان أكثر وضوحًا، فتح (علاء) عينيه متباطئًا متمنيًا أن يبصر الطالبان يحملقان له بدهشة لكنه وجدهما يستأنفان حديثهما بكل أريحية، فحاول مناداتهما أو لمسهما أو حتى التراقص أمام عينيهما لكنهما لم يعبئا بوجوده أو ربما لم يعلما بدلوفه الغرفة من الأساس!.. لكنه سرعان ما توقف عن هذه الأفعال بمجرد أن توسم في حوارهما ما جذب أنتباهه بالفعل، حين غمغم أحدهما:

- ما يقوم به (أنور) هذا غير طبيعي يا (علي)

أجابه المدعو (علي) وهو يعض على أسنانه في توتر:

- بل ليس أدميًا من الأساس، أقسم لك يا (أمجد)، لقد شعرت إحدى المرات ب(أنور) يقتحم عقلي منقبًا عن أسراري الدفينة ثم يخرج منها ثانيةً بعدما نال مراده، ليطلعني عليها بكل فجور متحدي.

تلفت (أمجد) حوله كما لو أنه يتأكد بأن لا أحد معهم

بالغرفة –دون ملاحظة (علاء)- وهو يرد:

- لقد شعرت بهذا الأمر أنا الآخر، بل في الواقع لدي يقين أنه قد اقتحم عقول الجميع ليعرف أسرارهم وحياتهم بطريقة ما.

ظلت مقلتي (علي) ترتجف في محجريه وهو يؤكد ظن (أمجد) ساردًا علم (أنور) ببواطن الكثير من الأمور مثل هذا الطالب الذي يسرق مال الدروس الخصوصية من أبيه صارفًا إياها على الفتيات، وهذا الذي يخبئ السجائر في علبة الأقلام أسفل فراشه، وهذا الذي ينفق كل مصروفه الشهري على المواقع الإلكترونية المحرمة، وهذا الذي يسرق سيارة أخيه الأكبر للقيام ببعض الجولات الخبيثة بالمناطق الصحراوية، وهذا وهذا وهذا.. كان (أنور) يعلم أسرار الجميع ويستمتع بإحالتهم عبيدًا لأوامره حتى لا يجهر بتلك الأسرار التي قد يودي بعضها بالفصل من المدرسة أو تبري العائلة من نجلها على أقل تقدير. كافة الطلاب يخشوه وباقي المعلمين يهابوه، فلا يوجد بالمدرسة من نجى من ألاعيبه الذهنية.

حاول (أمجد) تجنب الحديث عن الأمر لكن (علي) قاطعه في حدة محاولًا كتم صياحه بقدر الإمكان:

- إذا كنت خائفًا منه ولا تريد أن تتحدث عنه في ظهره، فأنت حقًا لا تعرف شيئًا عن الخوف الذي أعاصره يوميًا. فأنا

من أشاركه الغرفة كل ليلة وأشهد على تصرفاته الغريبة.. أنت لم تسمعه منذ أسبوعين وهناك صوتان يصدران من حلقه بعد أن كاد يموت بفعل الحمى، وحين عاد من المشفى باليوم التالي كان معافًا سالمًا كأنه لم يمرض ولو مرة واحدة طوال حياته أو أن الحياة دبت بقلبه من جديد، فأنت لم تستيقظ من نومك من قبل لتبصر شريكك بالحجرة جالسًا القرفصاء على فراشه متطلعًا للفراغ وعينيه الحمراوتين تبرقان في الظلام بجانب توهج دبلته السخيفة التي لا ينزعها عن يده كما لو أنها ملتصقة به. أنت لم تحاول أن تضربه كنوع من المزاح الصبياني لتجد نفسك مثبتًا بالحائط فاقدًا القدرة على الحركة أو السيطرة على مثانتك.. هذا الحقير جعلني أتبول في سروالي وأنت من لا تختلط به إلا بالفصل المدرسي أو بالمطعم متوجس من ذكر اسمه؟

لو كان هذا المشهد تابع للرسوم المتحركة، لرأيت الدخان الساخن وهو يتصاعد من رأس (علي) كدلالة على الغضب، فرد (أمجد) والإجفال يحكم قبضته على عنقه أكثر:

- أنت تتحدث عن شخص لا ينام وعينه تضيء في الظلام ويتلاعب بالهواء ويكشف الأسرار.. فهمت أنك تعاشر الشيطان ذاته، لكن عليك ألا تنسى أن هذا الشيطان يبتزني بأسراري أنا الآخر كغيري، فما بيدي من حيلة إذًن؟

- ليس بيد منا أي شيء لكنني أريد مساعدتك في التوصل لطريقة للتخلص منه باعتبارنا صديقان مقربان من قبل أن نلتحق بتلك المدرسة من الأساس.

- وكيف تظننا سنفعل هذا يا محرر العبيد؟

اقتحم رجلًا الغرفة بطريقة مسرحية كما لو أنه كان يختلس السمع من خارج الحجرة متربصًا اللحظة المناسبة للتدخل في الحوار. ليتبادل الثلاث أشخاص نظرات مستفسرة في حين ينتهز الصمت الفرصة صانعًا طبقاته الجليدية بينهم، لكن سرعان ما ذاب هذا الجليد مع كلمة الرجل التي ترددت بالحجرة في صدى مخيف.

- سنقتله.

بعد عدة ثوان من التوجس وغيرها من الصمت لمحاولة استيعاب ما نطق به هذا الرجل، ناهيك عن ثوان تبادل النظرات المحملة بعبق الخوف. خرجت الكلمات من فم (علي) مرتعشة سائلة عن مقصده بتلك الكلمة لعله أغفل فهمها أو سماعها، لكن الرجل أعاد ذات الكلمة التي تفوق أعمارهم اليافعة متحججًا بأن (أنور) ممسوسًا ويستحق الموت.

فلوح (أمجد) بيديه في الهواء ليجذب انتباههما وهو

يستطرد:

- إنه ممسوسًا كما قلت، فواجبنا مساعدته بجلب شيخٍ لعونه أو ننهال عليه بما نحفظه من أدعية دينية أو حتى نطلب العون من هذا الصحفي الذي كتب عن الأرواح من قبل الملقب ب(آدم سمير).. نفعل أي شيء غير القتل، فلا يزال هناك بقايا لفتى برئ في هذا الجسد.

كان (أمجد) من أصل قروي حيث كانت دومًا ما تنتهي حالات المس المماثلة لتلك التي صادفها قومه، بالقتل بفعل الأهالي على الأغلب، لهذا فهو على دراية أن هذا الرجل لو انتوى الإقدام على الأمر لأتمه بالفعل، لكن (أمجد) يحاول تحكيم العقل في الأمر. فرد الرجل بحدة وعينيه توحي بأنه اكتفى من تلك الثرثرة الفارغة قبل بدايتها:

- و هل تظن أني أستمتع بقتل الأطفال الصغار أم أنها هواية لدي أشغل بها وقت فراغي؟ لقد حاولت يا فتي قراءة آيات من القرآن والإنجيل حتى لكنها لم تكن ذات مفعول عليه، بل إن الفتى لم يرمش حتى.

رد (أمجد) في محاولة للتعقل من جديد:

- لا تؤاخذني في القول لكن المعالجة الروحانية تلك ليست بالأمر المتداول بين العامة، فهي تحتاج لمتخصصين.

ليجيب الرجل باقتضاب بأن الكيان المتلبس لجسد (أنور) سيعلم إن جاء أحدهم للتخلص منه وقد يقتله على أقل تقدير إن كان رحيمًا معه، ناهيك عن استحالة افتعال طريقة لإدخال معالجٍ روحاني للمدرسة من الأساس. وإن افتعلوا واحدة بل ونجح المعالج في إخراج الكيان عن جسد الصبي، ما يضمن أن المعالج لن يقتل الكيان وسيكتفي بطرده من جسد (أنور)؟ ليضحى أي شخص بالمدرسة عرضة لخطر التلبس من هذا الكيان الشيطاني الذي سيطول انتقامه الجميع.. إنها مخاطرة ليسوا مستعدين لتحمل عواقبها.

خاتمًا حديثه ب:

- إنها الطريقة الأكثر ضمانًا لموقفنا المرهون.. اقتل المضيف ليموت المستحوذ.

فأجابهم (أمجد) بعد أن يأس من محاولة إقناعه، أن يفعلوا ما يحلو لهم إن كان بقتل (أنور) أو حتى التهامه حيًا فهو لن يشارك بتلك الجريمة، ليرد الرجل بسرعة كما لو توقع رد الفعل هذا:

- ثلاثتنا سيشترك بالأمر، إلا إذا كنت تريد أن تحرق مع المبنى الداخلي!

ردد الاثنين في نفس مندهش واحد كلمة الرجل الأخيرة

مؤكدين أن هذا المختل قد تعدى كل حدود المنطق بتفكيره، ليصيح بهما الرجل بصوت مكتوم أن يتوقفا عن ردود الأفعال الطفولية تلك ولينضجا قليلاً، إنهم يتآمرون لاغتيال كيان شيطاني وليس لسرقة حلوى من طفل.

صمت هنيهةً يلتقط فيها أنفاسه المذعورة ليستعيد الخطة من دهاليز عقله المتوتر، ثم شرع يوضح استحالة نجاح نظرية قذفه من مرتفع تاركين الباقي على الجاذبية، أو محاولة قتله بالطرق المعهودة كضرب رأسه بثقل حتى الموت أو حتى بالأعيرة النارية، فالفتى يتحكم بالأشياء والأجساد عن بعد فإذا فرضية أنه يطفو في الفراغ قائمة ناهيك أنه ربما لديه الكثير من القوى الشيطانية التي لم يظهرها بعد. لقد انبثق هذا الكيان الخبيث من النار لذلك قرر أن يواجهه بالنار هو الآخر. لكنه بالطبع لن يستطيع أن يرشه بالجازولين ثم يلقي عليه عود ثقاب بتلك السذاجة أمام العامة، يجب على الأمر أن يبدو كحادث تجنبًا لأي تحقيق من الشرطة.

المكان الوحيد الذي يتواجد به (أنور) لأكبر فترة هو المبنى الداخلي، يتجول بين الحجرات المكتظة بعبيده المخلصين لما يحمل عليهم من أسرار. وهو قليل المنافذ مما يصعب عليه النجاة. فراح الرجل يعد على أصابعه مراحل خطته

كالتالي:

١- بمجرد أن تأتي ساعة العشاء، سأتسلل أنا لغرفة الطاقة الرئيسية للمبنى لتعطيل كل أنظمة الأمان بها.

٢- في هذه الأثناء تقومان أنتما بإغراق طرقة العنبر بالجاز سريع الاشتعال بالأخص غرفة (أنور) بعد أن تتأكدوا أن العنبر خال من جميع الطلاب.

٣- سأعبث بالأسلاك الكهربية لينتج عنها شرر كهربي ليتسبب في الحريق، كي يبدو الأمر كماس كهربي طبيعي.

١- عليكم التأكد من حبس (أنور) بحجرته حتى لا يهبط لتناول العشاء كالآخرين وليضحى هو وجبة للنيران.

٢- سأحاول منع أي من المشرفين من محاولة إطفاء الحريق مؤكدًا أن هذا الحريق ناتج عن الكهرباء وأي محاولة لإخماده بالماء لن تزيد من الأمر إلا سوءً وأنه من الأفضل انتظار المطافيء حامدين الله على أن جميع الطلاب بالمطعم يتناولون عشاءهم وما من أحد بالمبنى بأسره.

٣- سيبتعد كلاكما طوال اليوم عن (أنور) حتى لا يقرأ أفكاركما كما يفعل، بالأخص أنت يا (علي) حتى لو اقتضى الأمر أن تبيت معي بالكشك الخاص بي.

صمت الجميع احترامًا لتلك الخطة التي لا توجد كلمات لوصفها، فإن كان ما يتلبس (أنور) شيطانًا، فهذه الخطة قد أعدت من قبل إبليس ذاته.

كان هذا الرجل أكثرهم إصرارًا على التخلص من (أنور)، فيملك هذا الفتى من أسرار كفيلة بلقاء حتفه.

الفتى يعرف بأمر المخدرات والحبوب المهلوسة التي يبتاعها للمراهقين ويجعل من المدرسة مخزنًا لبضاعته المحرمة. هو يعلم أمر قتله لرجلان في بلده تحت بند الثأر لكن الشرطة لم تقتنع بهذا الإدعاء. لا هو ليس مطلوبًا للعدالة، فلم يتم التعرف على قاتل الجثتين وقيدت القضية ضد مجهول لينتهي الأمر منذ أعوام، لكنه لم ينتهي بذات اليسر بالنسبة لعائلة الرجلين. فرغم أن الثأر ذاته انقضى منذ سنوات طوال ولم يحل موضعه غير السلام لكن للبانجو ألاعيبه الخبيثة بعقل صاحبنا ضللت عنه إن كان الثأر منتهيًا أم لازال قائمًا، ولو اكتشفت العائلة هوية القاتل الحقيقية ستقوم حربٌ أهلية قد يخسر على إثرها أسرته بأكملها، لذلك اتخذ من عمله بالقاهرة حجة لتخفيه عن الأنظار حتى ولو مؤقتًا كما أن الفتى على دراية بأمور البقعة التي يستغلها الرجل لزراعة الحشيش بالمدرسة بحكم الثقة التي اكتسبها كبستاني المدرسة الأول التي أهلته للعبث بتربتها كيفما

يشاء دون أن يعقب عليه أحدهم. الفتى كذلك يفطن بأمر اختلاسه لبعض الأموال التي تحول إلى جيبه بدلًا من شراء السماد للحدائق ومستلزمات العمل الأخرى.

الفتى واعٍ بالكثير وعليه أن يتخلص منه سريعًا ناهيك عن الزئير الذي يستمع إليه قادمًا من حجرة (أنور) والكوابيس التي تراوده عن شباب، بل إنها تخطت مرحلة الرؤى الحسية ليظهر لها أثرًا ملموسًا على أرض الواقع المتمثل في هذا الجرح الصغير على شفته العليا كما انتهى المطاف بوالده. ربما عليه مداراة الجرح بإطالة شاربه مستقبليًا. أما الآن فقد أعد كل شيء دون أي ثغرات قد تعرقل طريقه مع الكثير من الخطط الفرعية تحسبًا لأي أحداث طارئة.

خرج الرجل من شروده في تاريخه المحمل بالمصائب على صوت الطلاب وهم صاعدين للمبنى بعد انتهاء فترة العشاء، قائلًا في عجالة: - سننفذ الأمر بالغد الموافق يوم الخميس، حيث يضحى المبنى شبه خالٍ إلا من بعض طلاب الأقاليم البعيدة.. اتفقنا؟

لقد وجد الصبيان نفسهما بين ثانية وضحاها منخرطان في هول لا فرار منه. ما بيدهما حيلة غير طاعة الرجل على تنفيذ أشنع جريمة على مر التاريخ، بهذا السن اليافع. لكن مهما بلغ الفتل من فحاشة، لن يتعادل مع ما ينتظرهما على

النقيض الآخر من تحمل عقاب (أنور) حين يعلم تأمرهم ضده دون أن يحذراه، فرفضهما للمشاركة يعتبر تعاون بحد ذاته إن لم يسعيا لإيقافه، وما أدراك من عقاب الشياطين.

ليجيبه الفتيان بصوت منكسر موحد بعد أن فضلا جحيم الرجل على جنة (أنور):

- اتفقنا يا (جودة)

***

الآن فهم (علاء) الكثير، لم يصل لفك طلاسم كل شيء لكنه على الأقل توصل لحل جزء لا بأس به من اللغز.

يمكن ل(علاء) تكوين صورة لا بأس بها عن الحريق الذي أشعله (جودة) بالمبنى واضعًا من خلاله الحد لمن يظن أنه (أنور) غير عالم أنه كان يعادي الشيطان الواحد والعشرين بهيبته. هل هلك (القاهر) بتلك البساطة؟ أيعقل أن يُغتال من فر من تعويذة الحلقة، على يد بشري لا حول له ولا قوة؟

الكثير من الظنون والتساؤلات لكن ما فائدة أن يفهم من الأساس؟ كم تبدو هذه المعلومات تافهة بلا أي أهمية حين يتعلق الأمر بحياته الطبيعية؟ فكيف يخرج من تلك الحالة الشبحية أو كيف يعود لزمنه؟ خطى خارج الغرفة كطيف كما دلفها والتوتر يعتصر قلبه، ليجد المكان المحيط به خرابة

متفحمة كما عهدها. كاد يتنفس الصعداء إن هذا الكابوس قد انتهى أخيرًا وسيعود الآن لحياته الطبيعية السالمة، لكنه لم يجد متسعًا لرسم بقية تلك الخطط، حيث شعر بطرف محقن يدس بعنقه بحركة غادرة.

حاول (علاء) أن ينتفض، أو يقاوم أو حتى يصرخ، لكن المخدر المنسال في عروقة كان أسرع من أي ردة فعل قد يقدم عليها، فهوى أرضًا ليلثم الأرض بجبهته مختلطه بالرماد والأتربة، ثم أخذ جفنيه يثقلان حتى أحكما الإغلاق ليغوص في غيبوبة إجبارية، وكان آخر ما لمحه.. كان.. كان.. الأستاذ (حمدي)!

***

(١٣)

عنان السماء

رائحة عطرة تتسلل لخياشيمه، أصوات مبهمة تأمره بشيء ما لا يستبينه، صفعات خفيفة على ثغره، حركات عنيفة تنفض ملابسه وربما جسده بأكمله.. جميعها عوامل خارجية تحث (علاء) على الإفاقة، حتى استجاب أخيرًا.

فتح عينيه بتثاقل وهو بالكاد يقاوم النعاس، قام برفع رأسه المتدلية على صدره في بطء، ماسحًا المكان من حوله بعينيه في عدم فهم لما حدث له. فطن أنه بمخزن إحدى المصانع المهجورة وسط أعداد ليست بالقليلة من الأشخاص يملأون المكان في حركات متنوعة.

هنالك من ينقل صناديق ضخمة مدججة بالأسلحة النارية والذخيرة، وهنالك من يتجمعون حول صبورة مثبت عليها عدة صور ومكتوب بجانبها معلومات شخصية بأصحاب تلك الصور، هنالك من يتدربون على الملاكمة في كيس ضخم من الرمال، وهنالك من ينظف عدد مهول من الأسلحة البيضاء متأكدًا من حدة نصولها.. ما هذا المكان بحق السماء؟

حاول (علاء) أن يهب فارًا من وكر العصابات هذا، لكنه فوجيء بأن معصميه مقيدان بكلبشات حديدة بالمقعد الذي

يجلس عليه! هل تم خطفه؟ هو ليس نجلًا لأحد الأثرياء الذي سيدفع مبالغ مهولة لاسترجاعه حيًا، كما أنه ليس حفيدًا لأحد السياسين الذين سيبتذوه بحياته، أو إبنًا لأحد رجال العصابات الكبرى حيث يفضوا خلافاتهم عن طريق إراقة دمه.. (علاء) أبسط من كل هذا، وماذا إن لم يكن؟

تحرك رجلًا من جوار (علاء) لاحظ أنه يعلق مسدسًا ناريًا ببنطاله من وجهه الظهر، ليجلس على مقعد قريب منه بعد أن تيقن أنه أفاق، ثم قال مبتسمًا مرحبًا:

- مرحبًا بك يا (علاء) في مقرنا السري الصغير، أم يجب أن أقول مرحبًا يا عابد الثيليما؟

فسأل (علاء) في لوعة وهو يحاول تحرير نفسه:

- أستاذ (حمدي)! لمَ أتيت بي إلى هنا بتلك الطريقة؟ وعن أي عابد تتحدث؟...

لم يلبث (علاء) استكمال أسئلته الوجودية وتوسلاته بأن يتركه يذهب لحاله، حتى قاطعه (حمدي) شارحًا:

- كانت البداية بعام ١٩٠٤م، حين أتى ساحر لمصر يدعى (ألستر كراولي) كتب بها كتابه الشيطاني المدعو (كتاب القانون)، عُرف بين الناس أنه عبادة للإله (حورس) الفرعوني، فظن الجميع أنه من هؤلاء المخابيل الذين لازالوا

يعبدون الآلهه الفرعونية أو الإغريقية أو الإسكندنافية حتى يومنا هذا.. لكن ما من أحد كان يتوقع أنه بالأصل عبادة لأحد كيانات الشياطين القديمة، ما يلقب بالشيطان الواحد والعشرين.

ثم تذكر (حمدي) باقي الحكاية التي يحفظها عن ظهر قلب، بأن هذا الساحر كان يدعو لديانة (الثيليما) تلك بشكل محدود في وطنه الأم بريطانيا. وعقب أن ألف كتاب القانون بمصر، راح أتباعه يتزايدون بالمئات يوميًا، ثم انطلق في رحلة بين إيطاليا والجزائر واليمن والهند وإيران حتى استقر أخيرًا بالولايات المتحدة، ومع كل مدينة يغادرها يخلف بها آلاف من معتنقي ديانته الخبيثة وعشرات الداعين لها.

لم تكن تلك الديانة كغيرها من عبادات الشيطان التي يكون بها أقصى فجورهم مجرد اغتصاب العذراوات، بل كانت الأضحيات البشرية جزء أساسي من شعائرهم الدنيئة وينالون بالمقابل تسخيرًا حقيقي بالسحر وليس إدعاءات كاذبة كأمثالهم.

فكما تكون هذا الشر، كان على الخير أن يولد بدوره ليردعه عن الانتشار، ومن هنا تكونت جماعة من المبشرين اتخذوا من التعقل سلاحًا لهم في بداية الأمر لإرجاع هؤلاء المغيبين عن معتقداتهم، وبالطبع راحت كافة جهودهم سدى، بل وإن

بعضهم لقى حتفه إثر تعاويذ الثيليما الدنسة، فوجدوا أن الإبادة الجماعية وسيلة أسهل وأكثر إيجازًا للمجهود، وهكذا نشأت (صائدي الثيليما).

ثم أكمل (حمدي):

- وبدون التطرق إلى تفاصيل سرية، استطعنا معرفة كل شيء عنكم، يمكنك القول أن لنا جواسيس بين جماعتك أو استطعنا سرقة نسخة من كتاب القانون الأصلي وحللنا شفراته لنستخدمه ضدكم.. المهم أن كافة أسراركم بحوذتنا الآن، وبها استطعنا تتبع كافة تحركاتكم وخطتكم المستقبلية بكل الدول.

كانت لديهم معلومات وثيقة إن بمدرسة (عبدالناصر) شيء سيتهافت عليه هذه الديانة بداية من عام ٢٠١٠م، لكنهم لا يعلمون ما هو بالتحديد، لذلك تركوا بها الكثير من الأعين وكان أهمهم هو (حمدي) الذي بالفعل تخرج من تلك المدرسة وتقرب عمدًا من إحدى معلمات المدرسة لتطلعه دومًا بمستجدات الأخبار، بل ومن سلسال عريق من (صائدي الثيليما) كذلك..

بهذه اللحظة فحسب لاحظ (علاء) أن بعضًا من الرجال المنتشرين بالمصنع يعرفهم جيدًا أو رآهم من قبل على أقل تقدير، هناك بعض العمال والمعلمين من مدرسته، بل لاحظ

بعض أولياء الأمور وموجهي الوزارة، الذين كانوا يترددون على المدرسة في نمط مستمر!

ثم أكمل (حمدي) أنهم استطاعوا القبض على الكثير من أتباع تلك الديانة أثناء تسللهم للمدرسة، ولكن حين استجوبوهم لم يعرفوا بدورهم عما يبحثون، بل إن جميعهم أقروا بذات القول إن هناك أمر أتاهم بالبحث عن شيء ما بالمبنى المهجور وربما بالمدرسة كلها سيعلمون كنهه حين يجدوه.. لهذا وجب تغيير سياسة الصيادين.

فبدلًا من منع أي مقتحم للمدرسة، تمثلت الخطة في تركه حتى يخرج بمراده بل ومساعدته على الأمر كذلك، حتى يتمكن (صائدي الثيليما) من الحصول على هذا الغرض الغامض بالنهاية منهم.

لهذا قام (حمدي) بمد (علاء) بكافة المعلومات التي احتاجها بكل يسر رغم خطورتها، لعلها تقربه من مراده.. وقد فعلت!

- لازلت لا أعرف أي شيء عما تتحدث به ولا يعنيني، أنا مجرد فتى عادي، كنت أبحث عن تاريخ المبنى بدافع من الفضول الصبياني لا أكثر، وليس لدي أي انتماء لتلك الديانة التي لا أستطيع حتى نطق اسمها.

قالها (علاء) والدموع كادت تفر من عينيه، نادبًا حظه على انغماسه بهذا الوحل من البداية، فما شأنه بالمبنى إن كان تعرض لحريق أو حتى لانفجار نووي؟ كاد أن يفقد عقله حين ظن أنه علق برؤية المبنى عن أصل الحريق على يد (جودة)، والآن سيفقد حياته بأكملها على يد هؤلاء المخابيل الذين يظنون إن طفلًا ذو ستة عشر عامًا منضمًا لتنظيم تابع لعبدة (القاهر). فلوح (حمدي) بالقاريء بين يديه، مردفًا:

- أتعلم أننا مشطنا المبنى المهجور بأكمله ولم نعثر به على هذا القاريء، استعنا بأحدث الأجهزة لكشف المعادن حتى كدنا نهدم المبنى عن بكرة أبيه، لكنك الوحيد من استطعت الظفر به.

هنا تغيرت ملامح (علاء) بسرعة خارقة من التوسل إلى الغضب! لم تكن نظرة سخط عادية كغيرها التي يوجهها الأشخاص لأعدائهم، بل كانت نظرة لا يقدر عليها صبي بهذا العمر مهما بلغ حقد العالم بقلبه.. هي نظرة شيطانية بكل ما تحمله الكلمة من هول.

طرقت لمسامع الجميع بداخل مخزن المصنع بعض الجلبة قادمة من خارجه، حاولوا تجاهلها باعتبارها حادث عرضي، فراح الصوت يتكرر عدة مرات مما أثار ريبتهم. كاد (حمدي) أن يهب من مقعده لتفقد الأمر أو على الأقل يأمر بعضًا من

أصدقائه بتولي الأمر عنه، لكن حديث (علاء) جذب كل تركيزه حين قال:

- ليس لديك فكرة عن مدى قصر المدة التي كانت تنقصني لإنهاء فترة إتمام الشق الأخير من التعويذة ولأتحرر بشكل كامل؟ فكما أخبرت صديقك الطيني (رمزي) منذ عشر سنوات، فلا شيء يخص تعويذة الحلقة يتم حتى نهايته بتلك البساطة.

لقد انتظر الشيطان الواحد والعشرين ستة عشر سنة بتقويم الجان للبدء في فك الشق الثاني من التعويذة، وبالمثل عليه الإنتظار ستة عشر يومًا بتوقيت البشر لإنهاء الشق الثاني، حتى يكتمل تحرره، مستردًا كافة قواة الشيطانية.

مجرد ستة عشر يومًا، يقضيهم بجسد (أنور) على خير ثم يبدأ مجد (القاهر بن المضبع) لغزو العالم، لكن هيهات.. لن يتوقف البشر عن إذهاله بمدى حماقتهم أو ذكائهم غير المسبوق يومًا، فقد أحرقوا جسده المؤقت مع المبنى عقب إعلانهم للتمرد، ليضطر حينها للفرار لأقرب جسد آخر، كاسرًا فترة إتمام التعويذة، فتضاعفت مدة عقوبته لستة عشر عامًا بشرية.

عليه قضاء الستة عشر عامًا تلك، يتعايش بين البشر

كواحد منهم رغم كرهه الشديد لهم، مع عقاب إضافي أنه لن يظفر من قواه الشيطانية إلا ما يكفيه لتلبس الأجساد المختلفة، وزيادة القوة الجسدية للكيان الذي يتملكه بعض الشيء.

بدأت أصوات طلقات النيران تندلع من خارج المخزن، ويظهر أثرها من الإنفجارات الضوئية من النوافذ والأبواب المفتوحة، فاندفع بعضًا من الرجال للخارج حاملين السلاح لعون زملائهم، ليكمل (علاء):

- لقد كنت المخطيء منذ البداية، ليتني كظمت بعضًا من رغبتي الملحة في تكوين الأتباع والعبيد لي. لكني حينها كنت الطفل حديث الولادة الذي يملأ الدنيا صراخًا مبرهنًا أنه حي يرزق.. فرحت مثله أقرأ الأفكار وأتباهى بهذه المقدرة لإخضاع الطلاب، جابرًا إياهم على التعامل معي كسيد معظم.. لقد اشتقت لهذا الشعور حينها وليتني لم أفعل.

لو قضى هذه الفترة مدعيًا البراءة بين الطلاب، لكان الآن حرًا يشرع في تنفيذ خطته للسيطرة على العالم أو ربما أحكم قبضته عليه بالفعل، لكن عوضًا عن هذا أثار سخط (جودة) والطلاب الذين انقلبوا عليه، ليضاعفوا فترة حبسه لسنوات طوال، بهيئة أضعف حتى من الأشباح.. بل ما أثار جنون (ابن المضبع) أنهم لو انتظروا يومين فحسب، لكان

الآن حرًا من جسد (أنور)، تاركًا إياهم في سلام. لهذا صنع من الإنتقام من تلك الدفعة ضرورة قصوى لا تتحمل أي تأخير.

عليه الإعتراف أن نشوة الإنتقام قد أسكرته بالفعل. فمادام سيتقيد بين البشر كل هذه الأعوام، قرر استغلالها فيما يشفي غليله على أقل تقدير، فعقد العزم على قتل كل طلاب تلك الدفعة بنفسه دون طلب العون من أحد، كجزاء على هذا الأسر الإضافي.. ليطلق عليهم وكيل شؤون الطلبة لقب (دفعة الشؤم) الذي أخبر به (علاء) سلفًا.

كان (علاء) يتذكر كل هذه التفاصيل التي لا تعني أحدًا في شيء غيره، في حين بدأت أصوات الصراخ ونداءات الإستغاثة تأتي من خارج المخزن، مصحوبة بخوار قريب لزمجرة آلاف الوحوش الضارية. وثب (حمدي) من مقعده متوترًا، وهو يخرج سلاحه الناري من خلف ظهره، لعله يجد في ملمسه المعدني بعض الأمان.

- كنت أعلم أن طيف (رمزي) استغل غيابي وفعل شيئًا.

بمجرد أن استحوذ الشيطان الواحد والعشرين على جسد (أنور)، انفصل عن (رمزي) بشكل نهائي، فاستغل هذا الأخير الموقف هروبًا من المدرسة بالقاريء الفضي. في الأغلب تضحى الأرواح مرتبطة بمكان أو بشخص ما إن

تمردت عن الموت بملء إرادتها، ولا تفارقه أبدًا إلا بتحقيق رغبة تلك الروح العالقة أو بصرفها لترقد في سلام، لكن في حالة (رمزي) كان (القاهر) هو السبب في كل شيء. بالطبع (القاهر) لم يلقي بروح (رمزي) لعالم الأحياء عنوة وإلا ما انحلت التعويذة لتدخله بها، لكنه هو من مهد الطريق إلى عودة (رمزي)، وبتلك الحالة لم يُربط الفتى بمكان أو حتى بشخص، بل كان متعلقًا بعالم الأحياء على وجه عام.

فاكتسب (رمزي) قوة نادرة، لم تتطرق عالم الأطياف إلا نادرًا. فأضحى له حق التجول والتمويه عن عيون متعقبيه، بشرًا كانوا أو أي كيان جحيمي آخر، ساعيًا لتنفيذ هدفه الخاص.

لم يفهم (حمدي) عم يتحدث به هذا الصبي، لكن تركيزه انجذب صوب أحد أصدقاؤه الذي حاول العدو فارًا لداخل المخزن، محاولًا الهروب من هذا الجحيم الذي طبع على جسده كافة تلك الجروح الدامية والكدمات المؤلمة، لكنه لم يكاد يطرق من باب المخزن حتى وجد نفسه يسحب لخارجها من جديد بقوة تفوق البشر، لاختلطت صرخاته بالآخرين.

- حاولت العثور على طيف (رمزي)، لكنه كان أقوى وأمهر مني شخصيًا، مهما أرسلت من أتباع سواء كانوا من

الشياطين أو حتى البشر، كانوا دائمًا يخيبوا رجائي.

كان (رمزي) يتعامل مع الموقف أنه بلعبة فيديو كبيرة كالتي يدمنها، مع اختلاف أنها أزلية لن تنتهي إلا بتحقيق مراده.. ما هوا! إنها آخر نية ل(رمزي) قبل أن ينفصل بشكل كامل عن (القاهر)، الماثلة في إيصال ذلك القاريء الفضي بما يحويه من أسرار لليد التي يأتمنها. ناهيك أن المدرسة مليئة بالأرواح الهائمة من الأساس التي تصعب عملية البحث عن أي تابع شيطاني لل(قاهر)، وتسهل على (رمزي) الاختباء لو افترضنا إن ظل ماكثًا بالمدرسة من الأساس دون ترحال.. لكن ما صفات هذا المختار؟

لقد عاشر (القاهر) هذا الفتى لشهر وأكثر، بما يكفيه لمعرفة الطريقة المناسبة لكسب ثقته، الكامنة في أن تصبح مثله! فتلبس جسد صبي في نفس عمره، ادعى حبه لذات الهوايات التي كان يعشقها (رمزي)، كان يتصرف مثله في كل شيء، حتى بدا أن بحثه عن تاريخ المبنى حقيقي نابع من فضول صبياني عادي ليس تفتيش عن غرض مخبأ.

لم تكن تلك محاولة (القاهر) الأولى، بل جرب الكثير من الخدع التي بائت أجمعها بالفشل، حتى قرر بالنهاية التخلي عن هيبته الشيطانية والتعايش مع البشر بطبيعية حتى يكتسب ثقة الفتى على الأقل ثم يحرق المدرسة برمتها فيما

بعد إن أراد.. لقد قضى عشر سنوات مريرة بين البشر علمته الكثير، وشعر بذات المعاناة التي عانى منها أخوته العشرين حين تجسدوا كالبشر وعلقوا بهذه الأجساد.

بمجرد أن أنهى (علاء) جملته فرد ذراعه على استقامته، محطمًا كافة الكلبشات الفولاذية التي تقيده، كأنها مصنوعه من الورق. فوجه (حمدي) سلاحه الناري صوب (علاء) وهو يحذره بأنه لو قام بخطوة واحدة إضافية سيقوم بتفريغ خزانة مسدسه في جسده، لكن (علاء) نهض عن الكرسي وهو يدلك رسغه من أثر القيود، مكملًا في غير مبالاة:

- فمن شابه جده فما ظلم، كما لو أنه مقدر لي مطاردة نسل الشيخ (عبدالله بن الحظرد) حتى آخر الزمان.. فأنت تعرف أصل الحكاية يا.. أعذر ضعف ذاكرتي، لقد كان اسمك (حمدي راشد النباش) أليس كذلك؟

حين كان (القاهر) يتمتع بكل قواه الشيطانية من قراءة الأفكار، استطاع أن يعلم أن (حمدي) هو حفيد (النباش)، أحد أوائل (صائدي الثيليما) المصريين. فقرر أن يرسل إلى عقله تلك الرؤى عن تحضيره على يد الخواجة، مع ذرع نصًا لتعويذة خاطئة بالطبع. فقد عانى (القاهر) الأمرين للظفر بالمخطوط الذي به اسمه من (عبدالله بن الحظرد) وبالمثل فعل الآن مع حفيده لاسترداد القاريء الذي يحوي

على تعويذة قتله حتى لو كانت ناقصة. فهو بالطبع ليس بالغباء الذي يقدم ل(صائدي الثيليما) تعويذة تحضيره بتلك البساطة على طبق من ذهب.. حيث كانت التعويذة التي رآها (حمدي) عبارة عن تسليط خدم من الجان على مستخدميها حتى الموت، كنوع من العبث لا أكثر حتى يتسنى له الوقت المناسب لوأدهم أجمعين.. كما كان يسرب ل(جودة) مقتطفات عن حياة والده.

كاد (حمدي) أن يطلق النار على جسد (علاء) لكن كلبًا رماديًا ملطخ بالدماء وثب من العدم، قاضمًا على مسدسه من يده، فانطلقت طلقة أو اثنتين شاردتين لم تصب هدفها، فهوى (حمدي) أرضًا ممسكًا بقبضته اليمنى التي راحت تدمي بعد أن خلفت أنياب الكلب جروحًا غائرة بساعده.

أثناء كتمه لتأوهاته، ومحاولة إعمال عقله في الإرتجال بخطة للهروب من هذا الموقف، مسح المكان بعينيه لعله يعثر على أي معين، ليجد المخزن خالي تمامًا، قد يكونوا قتلوا جميعًا إثر تلك الضوضاء التي كانت بالخارج، أو حتى فروا من المكان خوفًا على حياتهم.. المهم أنه وحده في مواجهه هذا الخطر.

لا.. ليس وحده تمامًا!.. هنالك خيط من الدمال يسيل على الأرض صوب اتجاه معين؟ حاول تدقيق النظر ليرى أنه

أحد أصدقائه من (صائدي الثيليما)! أو بقايا أحد أصدقائه إن أصدقنا القول. فقد كان الرجل مبتور الساقين بطريقة همجية كما لو أنه خرج لتوه من شجار مع دب بري على أقل تقدير، ملابسه ممزقة بالكامل ولا يستره إلا قطع بالية من القماش، بكل جسده جروح تنبض بقدر ضخم من الدماء يؤكد أن دقائقه بالحياة معدودة. لكن رغمًا عن كل هذا فهو يزحف صوب...!

فجأة ظهر (علاء) أمام (حمدي)! كيف قطع تلك المسافة بهذه السرعة؟ بل دون أن يشعر به من الأساس؟ وهل هنالك أي شيء منطقي فيما قاله هذا الصبي منذ بداية الجلسة لتضحى تصرفاته طبيعية؟ فلا تستبعد أن يحلق بالهواء الآن أو ينفث النار من حلقه. حمله (علاء) بيد واحدة من ياقة ملابسه، رغم أن (حمدي) يمثل ضعف جسده، كنوع من استعراض القوى، وهو يقول مبتسمًا:

- نسيت أن أعرفك ب(إيواس) خادمي المخلص والأمين.

ثم أشار صوب الكلب الرمادي! فراحت عيني (حمدي) تتسع في دهشة غير مصدقًا لما يبصره! ناهيك عن إن عين الكلب صفراء تمامًا دون أي ألوان أخرى، وبخلاف أن بأقدامه ثلاثة أصابع فحسب لا أربعة كأقرانه، وبخلاف أنه يمضغ

مسدسه المدني بين قواطعه كما لو أنه يلوك قطعة من اللحم الطازج. إنه يعرف هذا الكلب جيدًا.. إنه (فندق)!

- لقد كان (إيواس) معي في كل شيء، أثناء استدراج الشيخ (عبدالله بن الحظرد) لاستخلاص المخطوط منه، وهو من قدم الحلقة ل(رمزي) على هيئة صبي طيني.. وكانت آخر المهمات التي وكلتها إليه، هي أن يظل بالمدرسة ترقبًا لو وصلت جماعتك من (صائدي الثيليما) للقارئ أولًا، ستضحى مهمته أن يأتيني به حتى لو كانت حياته على المحك.

رمى (علاء) ب(حمدي) كقطعة قماش بالية، ليصطدم بطرف إحدى الطاولات الثقيلة، راح يتأوه من فرط الألم وكان هذا أقصى ما يمكنه فعله، حيث كان (فندق) أو (إيواس) إن صح التعبير، واقفًا أمامه في تأهب للانقضاض عليه إن حاول فعل أي حركة غادرة. ما بوسع (حمدي) حيلة في قتال شيطان متجسد في هيئة كلب مسعور، وأحد سادة الجحيم متلبس كيان صبي صغير. فأقصى ما واجهه من تحدي أثناء عمله مع (صائدي الثيليما) هو الانتصار على أتباع تلك الديانة الشيطانية وما يجيدوه من ألاعيب سحرية خبيثة لم تتعدى حيز تحريك الأشياء دون لمسها، لكن مواجهة الشياطين التي بوسعها القضاء على جيش كامل كما

حدث منذ دقائق لهو موقف جديد عليه برمته.

ظل (القاهر) المستحوذ على جسد (علاء) يتذكر كيف تخلى عنه أتباعه جميعًا. الذين كانوا معه في مواجهه (ابن الحظرد) وكذلك في حصد الألف روح لتحضيره، لكن عقب أن كتب عليه الأسر بين البشر لستة عشر عامًا، بواحد بالمائة فحسب من قواه الأساسية، رأوا أنه بات عاديًا لا يوجد به ما يميزه ليتبعوه أو يمجدوه.. لقد صار ضعيفًا، ولم يبقى على وعده بالولاء والطاعة غير (إيواس) الذي قضى فترة أسر (ابن المضبع) بتعويذة الحلقة، ينشر ديانة (الثيليما) بين الناس منذ القرن الرابع عشر، تمهيدًا لحضوره، حتى لو لم يكن يعرف طريقة البعد. لكنه لم يفقد الأمل ولو لدقيقة واحدة إن سيده سيتحرر ويعود.. لذا فقد صدق حين أخبر (حمدي) بأنه ليس من معتنقي تلك الديانه، بل هو معبودهم المبجل. عليه أن يكافئ (إيواس) على إخلاصه هذا بممالك عظيمة حين يسيطر على العالم في القريب العاجل. أما الآن عليه أن يركز على عدم ترك أي ثغرات خلفه.

التقط (علاء) القارئ الفضي، ليجده فارغًا! الآن تذكر أنه نسى بطاقة الذاكرة بهاتفه المحمول ولم يعيده للقارئ حين خرج من حجرة (رمزي)، بسبب انغماسه في تلك الرؤية عن سبب الحريق.. لقد أوصل (رمزي) معلومته الكاملة لمختاره

عما حدث قديمًا بالمبنى المهجور، ورقد في سلام بعد أن أتم الهدف الذي صنعه من نفسه، دون مزيد من الألاعيب. لكن أين بطاقة الذاكرة التي تحتوي على تعويذة قتله؟

- لقد تأخرت كثيرًا أيها المدنس، لقد بعثت محتوى بطاقة الذاكرة ل(فكري بيه) أحد قادة (صائدي الثيليما).. وربما يتم استغلال ما بها من معلومات لنفيك عن عالمنا بينما نتحدث الآن.

تذكر (القاهر) أن تلك الكلمات مشابهة لآخر ما نطق ب(ابن الحظرد) قبل أن تقتله تعويذة الحلقة، فهرس القاريء بين أنامله محيلًا أياه لرماد بحركة لا يقدر عليها بشر، وهو يتمنى لو كانت قواه كاملة بهذه الأثناء ليقرأ أفكار (حمدي) عالمًا عن مكان (فكري) هذا. لن يستطيع انتظار ستة سنوات إضافية حتى يتحرر بشكل كامل ومطاردهم، فالأمر الآن خرج من حيز روح صبي طائش لجماعة كاملة تحاول قتله.. عليه إنهاء الأمر الآن، لكن عليه أولًا إعمال عقله وعدم السماح لغضبه بالسيطرة على تصرفاته من جديد.

تقدم صوب (حمدي) في هدوء، وعينيه تتوهج بالأحمر وهو يقول بصوت غليظ لا يتناسب مع شاكلته:

- ربما حان الوقت لتعرفني على صديقك الطيني (فكري بيه) هذا.. لقد بدأ موسم اصطياد (صائدي الثيليما).

إنه بالطبع ليس ذات ال(فكري بيك) الذي جند (النباش) قديمًا ل(صائدي الثيليما) حين كان بالمشفى أو ما تعرف بالإسبيتالية قديمًا، ف(فكري) هذا كاللقب أو الإسم التمويهي الذي يتناقله القادة عبر العصور.. لكن (القاهر) لن يعلم هذا أبدًا.

- لقد فات الأوان يا (ابن المضبع) كما أخبرتك.

توقف جسد (علاء) عن التقدم متعجبًا من نبرة الثقة التي ينطق بها هذا البشري وهو يكاد يذوق عذاب الجحيم على يده الشيطانية، فسأله عن مقصده، ليجيب (حمدي):

- ما فهمته منك أنك تحتاج لجسد مضيف لتهرب إليه كما فعلت أثناء حريق المبنى، لكن ماذا لو لم تجد هذه المرة ما تفر إليه وكان الحريق أقوى منك؟

ثم صرخ دون مقدمات كما لو أنه يحاول إيصال نداءه لشخص معين:

- الآاااااااااااااااااااااان.

لم يفهم الشيطان الواحد والعشرين أو حتى (إيواس) معنى كلمته الأخيرة! لكن صديق (حمدي) مبتور الساقين فعل..

بكل مخبأ ل(صائدي الثيليما) زرًا خاص للتفجير الذاتي حتى لا تقع أي معلومات عنهم في يد عابدي تلك الديانة أو حتى الشرطة، وقد فطن (حمدي) إن صديقه في طريقه لفعل ذات الأمر حين أبصره يزحف صوب الزر.. كل ما كان يحتاجه هو بعض الوقت حتى يبلغ الزر، فحرص (حمدي) أن يمثل الإلهاء المناسب كي يجذب الأنظار عنه.

انطلق (إيواس) بجسد الكلب صوب صديق (حمدي) في حين أن (علاء) ظل واقفًا مذهولًا مما يحدث، تصاعدت الأنفاس وتسارعت دقات القلوب، لكن يد صديق (حمدي) وهي تضغط المكبس كانت أسرع منهم جميعًا.. وانطلقت الانفجارات المصحوبة بالنيران تحيل كل شيء لهشيم، وسط صرخات (القاهر) الغاضبة.

إن جسده يذوب كالشمعة، كما حدث بمبنى المدرسة! عليه العثور على جسد قريب ينقل وعيه إليه قبل فوات الأوان ويقتل مع هذا الجسد إلى الأبد، لكنه لم يجد إلا ألسنة اللهب أمام عينيه.. فما العمل؟ حاول الركض هو الآخر لكنه فوجيء بجسد (حمدي) بتشبث به بين النيران مانعًا هروبه.

ثم بلغت الأدخنة عنان السماء وكان للإنفجار دويًا عظيمًا سمعته القاهرة بأسرها معلنة إنهاء قاهرها.

***

الختام

«أين اختفيت يا (علاء)؟»

كالعادة لم يجد (دياب) مجيبًا على هذا السؤال الذي أرق نومه لأسابيع، فها نحن بالترم الدراسي الثاني ولم يستدل أحدهم على مكان (علاء) بعد أو حتى جثمانه، لقد اختفى كما لو أن المبنى المهجور انشق وابتلعه. لقد تبخر في ظروف عجيبة كما قتل جده بطريقة أعجب، حين وجوده جثة راقدة على ممر الكباش بعد أن نهشته مسوخ غير آدمية أو حيوانية، لقد كان جد (علاء) هو الحارس صديق (عبدالمعطي) من كان أول قرابين (القاهر).

كان (دياب) يحضر حصة الأحياء بالمعمل وهو يتأمل الهيكل الهظمي الراقد بصندوقه الزجاجي للعرض، حين شرد متذكرًا إدلاؤه بالإبلاغ عن صديقه بعد أن مضت الفترة التي اتفقوا عليها منفذًا تهديده، لكنه استنتج -بعد فوات الأوان- سخافة هذا التهديد وأنه كان عليه منعه من دلوف المبنى من الأصل. كما أن حملة البحث التي انطلق بها مشرفي الأدوار تفتيشًا عنه بأروقة المبنى المهجور لم تجدي بأي نتيجة، فحتى نظام التتبع الذي أوصله بين هاتفه وهاتف (علاء) المحمول توقف عن العمل بالمبنى قبل أن يختفي أثره. لقد فكر (دياب) بسذاجة طفولية لا يمكن معاتبته عليها

تباعًا لسنه اليافع، ولكن هل هذا يمثل عذرًا لإحساس الذنب المهيمن على روحه؟

لقد أبلغت المدرسة الشرطة عن اختفاء (علاء) لتبرئ نفسها من ذمته، وليت يستطيع (دياب) فعل أمر مشابه لكنه موقن أن دماء (علاء) على كفيه إن كان مقتولًا، ومسؤليته على ذمته إن كان مفقودًا فحسب.

رفعت معلمة الأحياء من نبرة صوتها قليلا لتجذب انتباه الغارقين في الهيام ك(دياب)، فتنبه هذا الأخير أن جمجمة الهيكل العظمي لا تطالع لذات اتجاه جذعه، فحرك (دياب)عينيه صوب ما ينظر إليه الهيكل العظمي بحركة تلقائية، ليجد أنه يقصد باب المعمل المفتوح. عاد (دياب) بنظره صوب الهيكل العظمي مرة أخرى ليجد جمجمته تحركت عن سابق مؤشرها!

ازداد اتساع عيني (دياب) وتفاقم توجسه حين همس له (مهدي) في أذنه بصوت خافت حتى لا تسمعهما المعلمة:

- ألاحظت هذا معي؟

لم يجيبه (دياب) بل لم ينتظر (مهدي) الإجابة من الأساس، فأشار للهيكل العظمي بخفوت مردفًا بذات الهمس:

- لقد تحركت الجمجمة للتو، سمعت أن هذا الهيكل

العظمي مسكون ويتحرك تلقائيًا، بل الأدهى أني قد سمعت أنه لأحد العاملين بالفيلا التي كانت على تلك الأرض قبل هدمها لإنشاء المدرسة.. هنالك أقاويل إن فدادين المدرسة تعود لإمرأة ثرية اختفت دون أثر لها، تدعى (أمينة) هانم، ثم استحوذت الحكومة عليها لعدم وجود مُلاك أو ورثة لها.. وقد طافت جثة هذا العامل المسكين على المشارح والجامعات الطبية بحكم أن ليس له أهل لاستلام جثمانه، لينتهي به المطاف في نفس المكان الذي عمل وربما قتل به، بعدما فتك طلاب كليات الطب بلحم جسده.. فما من أحد متأكد إن كان موت الرجل طبيعيًا أم بفعل أحدهم...

قطعت كلماته المختلسة تلك النغمة المميزة الصادرة من هاتفه المحمول، والتي كانت إشعارً بوصول رسالة جديدة على بريده الإلكتروني. ما من أحد يستقبل الرسائل على البريد الإلكتروني إلا لمراسلة الشركات أو مختلف الهيئات، فتضاعف فضوله في معرفة أي شركة تلك الراغبة في التواصل معه. فاعتدل بجلسته غير سامح لمعلمته برؤيته وهو يخرج هاتفه ليجد أن محتوى الرسالة هو ملفات تحميل لعبة ما!

لم يجذب انتباهه أن ما وصله رسالة بملفات لعبة ما، رغم أنه غير مهتم بالألعاب الإلكترونية من الأساس، بجانب

تعطيله لكافة الإعلانات عن هاتفه المحمول، بقدر أن ما استرع انتباهه كان باعث الرسالة، الذي أجبر أنامله على الارتجاف غير مصدق.. لقد كانت من (علاء)!

لم يلحظ (دياب) بالطبع أن هاتفه غير موصل بالإنترنت من الأساس، لكن ابتهاجه بظهور صديقه الغائب (علاء) أغفله عن كل شيء من حوله، حتى عن تلك اللعبة التي بدأت في التحميل لهاتفه من تلقاء نفسها دون أن يُفعل هو الأمر. لكن هذه مجرد تفاهات وتفاصيل أكثر من اللازم.. لقد عاد (علاء) وهذا هو المهم.. أو هكذا ظن!

تمت بحمد الله...

عن الكاتب:

يدرس بقسم التشييد بكلية الهندسة في الجامعة الروسية المصرية.

صدرت له عدة روايات هي:

ـ رواية المقايض

ـ رواية صندوق الموتى

ـ رواية المتربص

وتعتبر تلك الرواية آخر أعماله الأدبية.

وحصل على العديد من الجوائز منها:

ـ المركز الأول بمسابقة صلاح هلال الأدبية للقصة القصيرة عن قصة (اللوحة الملعونة).

ـ القائمة القصيرة لجائزة إبداع ٨ عن رواية (قضية ثمرة الكمثرى) دورة (لطيفة الزيات).